احياء العلوم
للغزالي

قره‌جه قوجه‌لي حسن افندی وقفيدر

كتاب التوبة وهو اول المنجيات من كتاب احياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم بالنعيم في دار الثواب
وباسمه يتسلي الاشقيا وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعدا بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجا من يعلم انه الملك
الرحيم الغفور التواب ونمزج برجائه الخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ونصلي علي نبيه محمد وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفي
وحسن ماب اما بعد فان التوبة من الذنوب بالرجوع الي ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس
مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين ولابينا ادم
عليه السلام ولساير الانبيا اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتدا بالابا والاجدا فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة
يعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا
طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع ادم عليه السلام سن الندم وتندم علي ما سبق منه وتقدم فمن
اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون الخير
والتلافي سجية الشياطين والرجوع الي الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الادميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك
الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الي الخير علي الحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان
شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الي الملك او الي ادم او الي الشيطان فالتائب قد اقام البرهان
علي صحة نسبه الي ادم بملازمة حد الانسان والمصر علي الطغيان مسجل علي نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح
النسب بالتجرد لمحض الخير الي الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة ادم عليه السلام عجنا
محكما لا يخلصه الا احدي النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث
الشيطان واليك الان اختيار اهون النارين والمبادرة الي اخف الشرين قبل ان يطوي بساط الاختيار ويساق الي دار
الاضطرار اما الي الجنة واما الي النار واذا كانت التوبة من الدين بهذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات
لنشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلاماتها وثمرتها والافات المانعة منها والادوية الميسرة
لها ويتضح ذلك بذكر اركان اربعة الركن الاول في نفس التوبة وحدها وبيان حقيقتها وحدها وانها

واجبة

واجبة علي الفور وعلي جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه
التوبة وهي الذنوب وبيان انقسامها الي صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالي وبيان كيفية
توزع الدرجات والدركات علي الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان
شرط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضي من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان انقسام الناس في دوام التوبة الركن الرابع
في السبب الباعث علي التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة
الركن الاول في نفس التوبة بيان حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معني ينتظم ويلتئم من ثلثة
امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث والاول يوجب الثاني والثاني يوجب الثالث
ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد
وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب علي قلبه ثار من هذه المعرفة تالم
للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات المحبوب تالم فان كان فواته بفعله تاسف
علي الفعل المفوت فيسمي تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم علي القلب
واستولي انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخري تسمي ارادة وقصدا الي فعل له تعلق بالحال وبالماضي
وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم علي ترك الذنب
المفوت للمحبوب الي اخر العمر واما في الماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول
وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة
واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه علي القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما
اشرق علي القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه
كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراي محبوبه
قد اشرف علي الهلاك فاستعلت نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم
والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة
علي مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة علي معني الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة
والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال النبي عليه السلام الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم
اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار

قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطايا فان هذه تعرض لمجرد الالم وكذلك قيل هو نار في القلب تلتهب
وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال
سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل
الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حد التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلثة
وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقايق الامور اهم
من طلب الالفاظ المجردة **بيان وجوب التوبة وفضلها** اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وهو
واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الاسلام عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك
اما اعمى لا يستغني عن قائد في خطوة واما بصير يهدي الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس
في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان
يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله عليه السلام وربما يعوزه ذلك فيتحير فسيره هذا وان طال
عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ينتبه بادنى
اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القران ونور الايمان
وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو على
نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب
التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب
والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد
والنجاة من هلاك الابد اذ لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه
واجبا معنى معقول وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا
في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه هو الوسيلة
الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة يحول
بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والا
نس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فواته قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا
قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طالبا للانس به بدوام ذكره والمحبة له

بمعرفة

بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله
المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب
للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالندم والعلم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد
عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم
فلا شك في ان المعاني الثلثة ضروري في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة
واما من لم يترشح لهذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال يتوصل
الى النجاة من الهلاك فيلاحظ فيه قول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول السلف الصالحين فقد قال الله
تعالى فتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا ومعنى النصوح الخالص لله خاليا من الشوائب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة
قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال عليه السلام التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له
وقال عليه السلام لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه
فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال
ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده
وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك
وانت عبدي وعن الحسن لما تاب الله على ادم عليه السلام هنته الملائكة فهبط جبرئيل عليه السلام وميكائيل عليه السلام
فقالا يا ادم قرت عينيك بتوبة الله عليك فقال ادم عليه السلام يا جبرئيل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين
مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته
كتلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه بها لاني قريب مجيب يا ادم احشر التائبين في القبور مستبشرين
ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والايات والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد بين الامة على وجوبها
اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات عن الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد
تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم
على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه اما الندم على
ما سبق والحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا وهو نوع الم يحصل لا محالة

بعقب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان غلب ثالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار
فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق المعرفة بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى
دخل تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة
والقدرة والقادر والمقدور الكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى
هذا ضلال فان قلت اوليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله
بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله تعالى خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام
اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب ان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر
المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم
خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد
تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام
الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول
الفعل ضروريا فتحصل الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله تعالى وانجزام
الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب
على البعض ترتبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم
يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حيوة وما لم يخلق فيها ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة
ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال
او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة
الجازمة والارادة والقدرة ابدا يستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض
مخلوقاته شرط للبعض ولذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد الحيوة ولا يخلق الحيوة
الا بعد خلق الجسم ويكون الجسم شرطا لحدوث الحيوة لا ان الحيوة يتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا
لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحيوة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم
شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا
ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف

فحصل

فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب
كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب فالعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد
كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل
شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الازلي الكلي الاشارة بقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فهم
مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده
تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت
من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة
المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات
الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتلهم يعذبهم الله بايديكم وعند
هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل
الى انه كسب ولو فتحت لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد كان صادقا من وجه وان
القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علما بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة
الى عالم الغيب فانه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء
ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما
يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه
صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال
فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلدة التي هم بها حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته
ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه
فوقع يد بعض العميان على رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا
سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر
الا انه الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه املس لا خشونة فيه وليس
في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما
ولكن قال ما هو مثل عمود ولا مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد منهم صدق من وجه

فخبر كل واحد عما وقع اليه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه
صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا الكلام يناطح علوم المكاشفة
ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلثة العلم و
الندم والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخلل
بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ
معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن عهدة وجوبه هو الذي عرفه بمعرفة
زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفة التي لا تتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد لكونه
باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا والعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها
فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى
علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه المعاصي الزنا وانما اراد به نفي الايمان
بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم لا يتناوله فانه اذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى
انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله
اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاه شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا
اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلم الاظفار نقي البشرة عن
الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالا
يمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح فالذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة
هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله
قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له
الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان يتقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة
قدوم ملك الموت وورودة فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف
الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى
رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع انا مؤمن كما انت مؤمن كقول شجرة اليقطين لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما

احسن

احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك ينقلع اصولك
وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار
افرس تحتك ام حمار فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة
التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة
للابدان اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته فان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض
خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة
للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن وتغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر به الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة
وكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ان يترك السموم وما يضره من الماكولات
في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه
ان يتقيأ ويرجع عن تناوله باخراجه من المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه
الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى
للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذه السموم فوات الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار
الجحيم والعذاب المقيم التي يتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته اخر البتة فالبدار البدار
الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه حد الاختيار الطبي ولا ينفع بعده الاحتماء
فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وحق عليه الكلمة انه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون الى قوله لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافر اذ
بين لك ان الايمان نيف وسبعون بابا وان الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب و
فروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم
للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الاصل والفرع الا في شيء واحد
وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل ووجود الاصل يستدعي وجود الفرع ولكن بقاءه يستدعي وجود
الفرع فبقاء الفرع بالاصل ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل ولا يستغني
احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها
خير من وجودها فانها ان لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في العذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل

الفاجر كما اوردناه في الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص البتة** اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل علي
هذا اذ قال تعالي وتوبوا الي الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يشير اليه اذ معني التوبة
هو الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالي المقرب الي الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة
الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الي اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين
واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقل جند الملائكة فاذا اجتمعا قام
القتال بين الجندين بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة
ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولي
علي المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة لمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب عليه ذلك وعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح
العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من يد اعدائه شيئا شيئا علي التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب
للشيطان وانجز اللعين وعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان
بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع علي سبيل القهر الي العبادات ولا معني للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله
الشهوة وخفيره الشيطان الي طريق الله تعالي وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة علي عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان
مقدمة علي غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه علي مساعدة الشيطان ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او
غبيا ولا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم عليه السلام • فلا تحسبا هندا لها العذر وحدها • سجية نفس كل غانية هند
بل هو حكم ازلي مكتوب علي جبين الانسان لا يمكن فيه خلافه ما لم يبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها
فاذا كل من بلغ كافرا كان او جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة
اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معني الاسلام فانه لا يغني عنه شيئا اسلام ابويه ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع
عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الي قالب حدود الله في المنع والاطلاق والكف والاسترسال
وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص
لا يتصور ان يستغني عنه احد من البشر كما لم يستغن عنه ادم عليه السلام فخلقة الولد لا تتسع لما لا تتسع له خلقة الوالد اصلا
واما بيان وجوبها علي الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية في جوارحه اذ لم يخل عنها الانبياء عليهم السلام
كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم علي خطاياهم فان خلا في بعض الاوقات عن معصية الجوارح
فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالي

فان خلا

فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه
بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الي ضده والمراد بالتوبة الرجوع فلا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا
النقص انما يتفاوتون في المقادير واما الاصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام انه ليغان علي قلبي في اليوم
والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالي بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت فلا يخفي ان ما يطرا علي القلب من الهم والخواطر نقص وان
الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان
الانتقال الي الكمال من اسباب النقص رجوع وتوبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول
بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك
التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات
اصلا وليس معني التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضي وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفعت منها
ظلمة الي القلب كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الي وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوة صار رينا
كما يصير بخار النفس في وجه المراة عند تراكمه خبثا كما قال كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين
صار طبعا فيطبع علي قلبه كالخبث علي وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل
التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك
الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصورة في المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في
المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار وكما يرتفع الي القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور
من الطاعات وترك الشهوة فيمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام اتبع السيئة
الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من الاحوال عن محو اثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد
اثارها اثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول
ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المراة كشغله في عمل اصل المراة فهذه اشغال طويلة
لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع الي التوبة واما قولك ان هذا لا يسمي واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب
له معنيان احدهما ما يدخل في فتوي الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب
العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك

الي بطلان التقوي بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوي بل يشغل الحراثة والحياكة والخبز بيته فري
جميع عمره كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد
منه للوصول به الي القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود من الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه
واجب في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يوصل اليه الا بها فاما من
رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد
والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الي درجات
العلي في الدنيا فاما من قنع باصل الحيوة ورضي بان يكون كلحم في وضم وخرق مطروحة فليس يشترط لمثل هذا
الحيوة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوي العامة لا يوصل الي النجاة واصل النجاة كاصل الحياة
وما وراء اصل الحيوة من السعادات التي بها تتهيأ الحيوة يجري مجري الاعضاء والالات التي بها تتهيأ الحيوة
من السعادات وفيها سعي الانبياء والاولياء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحوله كان تطوافهم ولاجله كان
رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتي انتهي عيسي عليه السلام الي ان توسد حجرا عند نومه فاتاه الشيطان وقال اما كنت
تركت الدنيا للاخرة قال نعم وما الذي حدث قال توسدك بهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك علي الارض فرمي
بالحجر ووضع راسه علي الارض وكان رميه بالحجر توبة من ذلك التنعم افتري ان عيسي عليه السلام لم يعلم ان
وضع الراس علي الارض لا يسمي واجبا في فتوي العامة افتري ان نبينا عليه السلام لما شغله الثوب الذي عليه علم
في صلوته حتي نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتي اعاد الشراك الخلق ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه
الذي لكافة العباد فاذا علم ذلك لم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه من بلوغ المقام
المحمود الذي قد وعد به او تري الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه
في فيه ليخرجه حتي كان ان يخرج معه روحه اوما علم من الفقه ان ما قد اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في
فتوي الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك علي حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا
لسر وقر في صدره عرف ذلك السر ان فتوي العامة حديث اخر وان خطر طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون
فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله تعالي وبمكر الله وبمكامن الغرور
بالله فاياك مرة واحدة ان يغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور وهذه اسرار
من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه

ولو عمر نوح

ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب علي الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل
فيما بقي من عمره الا علي فوت ما مضي منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الي الممات وكيف من
يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضي من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة فضاعت منه
بغير فائدة بكي عليها لا محالة فانه ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل
كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان يوصلك الي سعادة الابد وينقذك من شقاوة الابد
واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفته الي معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا
فان كنت تبكي علي هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب به
انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل
مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد دفع الناس عن التدارك قال بعض العارفين اذا ظهر ملك الموت للعبد
اعلمه انه قد بقي من عمره ساعة وانه لا يتاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذا
فيرها لخرج منها علي ان يضيف الي تلك الساعة ساعة اخري ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول
ما يظهر من معاني قوله تعالي وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول
رب لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها قيل الاجل القريب
الذي يطلبه معناه انه يقول العبد عند كشف الغطا يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الي ربي واتوب واتزود صالحا
لنفسي فيقول فنيت الايام فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عنه باب التوبة فيغرغر بروحه و
يتردد بانفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة علي تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه
في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت قد سبقت له من الله الحسني خرجت روحه علي التوحيد فذلك
حسن الخاتمة فان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه علي الشك والاضطراب وذلك سوء
الخاتمة وبمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتي اذا حضر احدهم الموت الي قوله تعالي
ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم
علي القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال لقمن لابنه يا بني لا تؤخر التوبة
فان الموت ياتيك بغتة ومن ترك المبادرة الي التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم
الظلمة علي قلبه من المعاصي حتي يصير رينا وطبعا ولا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة

لاشتغاله بالمحو فلذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان تختطفه الاجل فيلقى الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله تعالى عنده وكذا سائر اسباب الطاعات فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى سرين يسرهما الى عبده على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول عبدي قد اخرجتك الى الدنيا نظيفا طاهرا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب والاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الاخرة في جوار الله تعالى ومستعد بان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة تمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول وانما عليك التزكية والتطهير فاما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله قد افلح من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين الظلمة والنور تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يبق معه الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه ومن صفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف قلبه وكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ

لطول

لطول تراكمه في تجاويف الثوب واخلاله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول الانسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يتغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن فيه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله تعالى بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة لكنا نعضد جناحه بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به فقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الايات وقال عليه السلام لله افرح بتوبة عبده الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال عليه السلام ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا قابل وقال عليه السلام لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال عليه السلام كفارة الذنب الندامة وقال عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروي ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا اخرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى عز وجل وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا مما لا يحصى واما الاثار يقول الله عز وجل بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم توبتهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال سعيد ابن المسيب نزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق ابن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة الم بها فوجل بها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من الانبياء اذنب ذنبا فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه فيه وقال حبيب ابن ابي ثابت يعرض على العبد ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول

اما اني كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروي ان رجلا سال ابن مسعود عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض
عنه ثم التفت فراي تذرفان فقال ان للجنة ثمانية ابواب كلها تغلق وتفتح الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به
لا يغلق فاعمل ولا تياس قال عبد الرحمن ابن القسي تذاكرنا عند عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان توبة
المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله ابن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا
ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق
افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي ومتى قال اذا تاب علي وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف منه ان
احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين
سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المراة فراي الشيب في لحيته فساه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة
وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يري شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا
فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبيدا نصبوا اشجار
الخطايا نصب رايق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا
بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر عن طول
البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجال فكرهم بين سرايا حجب الجبروت فاستظلوا تحت رواق الندم
وقراوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة
الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى
حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحار الحيوة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء
العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى
رياض الراحة ومعدن العز والكرامة وهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة لا محالة مقبولة فان قلت افتقول
ما قال المعتزلة ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرناه من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده
القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال
العطش وانه اذا منع من شرب الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت فليس في شيء من ذلك
ما تريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة

كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به
ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في
زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة لها اركان وشروط
دقيقة كما ياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي شك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك حصول
في شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته
فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها الركن الثاني
فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها اعلم ان التوبة عبارة عن ترك الذنب ولا يمكن ترك
الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجب
والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله من ترك وفعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها
الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها **بيان انقسام الذنوب**
بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب
عجائب القلب وعوالمه ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطا
نية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضي
كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والزعفران والخل في السكنجبين
اثارا مختلفة فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبروت
وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى
كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب عنه جملة من كبائر الذنوب غفل عنه الخلق
ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه
في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي تتشعب منها الحسد والبغي والحيل
والخداع والامر بالفساد ويدخل فيه الغش والنفاق والدعوة الى البدعة والضلال
الثالثة الصفة البهيمية فمنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن
والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواطة والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات
الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم

والقتل واستهلا الاموال ويتفرع منه جملة من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة
فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم يتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملت
العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي
الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء علي جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنا
بعها ثم يتفجر الذنوب من هذه المنابع علي الجوارح فبعضها علي القلب خاصة كالكفر والبدعة
والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها علي العين والسمع وبعضها علي اللسان وبعضها علي
البطن والفرج وبعضها علي اليد والرجل وبعضها علي سائر الجسد ولا حاجة بنا الي تفصيل ذلك
فانها واضحة قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الي ما بين العبد وبين الله والي ما يتعلق بحقوق
العباد فما يتعلق بالخالق خاصة كترك الصلوة والصوم وسائر الواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق
العباد كترك الزكوة وقتل النفس وشتم الاعراض وكل متناول من حق الغير اما نفس او طرف
او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الي البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج
اسباب الجراءة علي الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء علي جانب الخوف وما يتعلق
بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه اقرب وارجا وقد
جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي
يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله واما الذنوب الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان
الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتي يتفصي عنه قسمة ثالثة اعلم
ان الذنوب تنقسم الي صغاير وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قائلون لا صغيرة بل كل
مخالفة الله تعالي فهو كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وقال تعالي الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال عليه السلام الصلوات
الخمس والجمعة الي الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنب الكبائر وفي لفظ اخر كفارات لما بينهن الا
الكبائر وقال عليه السلام فيما رواه عبد الله ابن عمر والكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين و
قتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الي سبع
الي تسع الي احدي عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع وقال

عبد الله ابن عمرو هن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا بلغه قول ابن عمر هن سبع يقول هي الي سبعين
اقرب منها الي سبع وقال مرة كل ما نهي الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما توعد الله عليه فهو كبيرة
وقال بعض السلف كل ما يوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة
يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرا من اول سورة النساء الي ثلثين اية منها عند قوله ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهي الله عنه في هذه السورة الي ههنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي
الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن
عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالي والاصرار علي المعصية والقنوط من الرحمة
والامن من مكر الله واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس
وهي التي يحق بها باطلا ويبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت
غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضو
عات الخلقة وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا
وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو الزنا واللواطة واثنتان في اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة في
الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من الاثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد
وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه فلا يبرهما وان يلاه حاجة فلا يقضيهما وان يسباه
فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله ابو طالب وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن
الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية علي الاموال ولم
يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقؤ العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين من
الضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف
وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد علي قذف
المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر
كنا نعدها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهي الله
عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معني الكبيرة
والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا لا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معني الحرام اولا ثم البحث عن وجوده

في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع لان الكبيرة والصغيرة من
المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الي ما دونه وصغيرة الي ما فوقه فالمضاجعة للاجنبية كبيرة بالا
ضافة الي النظر صغيرة بالاضافة الي الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الي الضرب صغيرة بالاضافة الي
قتله نعم للانسان ان يطلق علي ما توعد بالنار علي فعله خاصة لفظة الكبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة
بالنار عظيم وله ان يطلق ذلك علي ما اوجب عليه نظرا الي ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة
وله ان يطلق ذلك علي ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القران يدل علي
عظمه ثم يكون كبيرا وعظيما لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القران ايضا تتفاوت درجاتها فهذه
الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها علي شي
من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان يعلم معني قول الله تعالي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سياتكم وقول رسول الله صلي الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا
اثبات حكم للكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الي ما يعلم استعظامه اياها والي ما
يعلم انها معدودة في الصغاير والي ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او حد
جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يقول اني
اردت بالكبائر عشرة او خمسة ويفصلها فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلث من الكبائر
وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن
السبع والثلث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع وربما
قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه علي وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم
لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف بها اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق اما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب
ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الي معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع
وانوار البصائر جميعا ان مقاصد الشرائع كلها سياقة الخلق الي جوار الله تعالي وسعادة لقائه
وانه لا وصول لهم الي ذلك الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالي
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا ليكونوا عبيدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه
بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصي ببعثة الانبيا

ولكن

ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعني بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ
الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما
يسد باب معرفة الله تعالي فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي ذلك كل ما يسد باب
المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة علي القلوب والحيوة علي الابدان والاموال
علي الاشخاص ضروري في مقصود الشرايع كلها وهذه ثلثة امور لا يتصور ان يختلف فيها الملل فلا يجوز
ان يبعث الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة
رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر علي ثلث مراتب
المرتبة الاولي ما يمنع من معرفة الله ومن معرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب
بين الله وبين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة هو العلم والمعرفة فقربه بقدر معرفته وبعده بقدر
جهله ويتلو الجهل الذي يسمي كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل
فمن عرف الله لم يتصور ان يكون امنا ولا ان يكون ايسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة
بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها علي حسب تفاوت الجهل وعلي حسب
تعلقها بذات الله سبحانه وصفاته وافعاله وشرايعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر
وهي تنقسم الي ما يعلم داخلا في تحت ذكر الكبائر المذكورة في القران والي ما يعلم انه لا يدخل والي ما
يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع المرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها
وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان
ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ الحيوة الدنيا لا تراد الا للاخرة والتوصل
اليها بمعرفة الله تعالي ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الي الهلاك حتي الضرب
وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواطة لانه لو اجتمع الناس علي الا
كتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع النسل قريب من قطع الوجود واما الزنا فانه
لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الاسباب
التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز
الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع

قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله
ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من
اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته المرتبة الثالثة
الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والقهر
والسرقة بل ينبغي ان يحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكنت استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فيها فينبغي ان
يكون ذلك من الكبائر وذلك باربعة طرق احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف
يتدارك الثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له
خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فيعظم الامر فيه بخلاف الغصب فانه ظاهر وبخلاف الخيانة
في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث تفويته بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة
وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن التدارك فيها ولا يجوز ان تختلف الشرائع في تحريمها اصلا
وبعضها اشد من بعض وكلها دون رتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان
يكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح
الدنيا تاثيرها واما اكل الربوا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع
ولا يبعد ان تختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا
الشرع من الكبائر فاكل الربوا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر
عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان كل دانق بالخيانة او الغصب
من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل
ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره
ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل
فهو جدير بان يكون من الكبائر ويدل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ
كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة
من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس فالقطرة

وحدها

فالقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع
وليس في قوة البشر الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف
فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب
واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وعظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون
كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي يريد بالكبيرة الان
ولكن من حيث انه يجوز ان يختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان
يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه
بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من
المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا ايضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع
واما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن ان يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه
من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فهو كبيرة والا فعظمه بحسب الضرر الذي يتولد منه
من هلاك نفس او مرض وغيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون
من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم
لهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل
ذلك في السبعة عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيها فالتوقف فيه غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميتها
كبيرة فليلحق بالكبائر فاذن رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات الخمس بحكم
الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف
فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص
الكتاب او سنة واذ لا مطمع فيها فطلب رفع الشك فيها محال فان قلت فهذه اقامة برهان على استحالة
معرفة حده فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان
يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من
حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيره وانما حكم الكبيرة ان
الصلوات الخمس لا يكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر

فلا يحترزون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب
قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه لكن اجتناب الكبيرة انما يكفرها الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع و يقتصر على نظر
ولمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامها
فهذا معني تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا لضرورة العجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف
امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا فكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر
الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك
نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها الى السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي
ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في موضع الشك
يكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ
متفرقة مختلفة فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال الصلوة الى الصلوة كفارة
ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث الشرك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك
السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان تبايع رجلا فتخرج عليه بالسيف تقاتله فهذا وامثاله
من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة
لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من
احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي
ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا يقبل
شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر قال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ
حددته ولم ارد شهادته وقد جعله كبيرة بايجاب الحد عليه ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة
نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل ذنب من الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو
الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب
في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد
والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار

والتكاسل

والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه من امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك
الشاهد عنها قليلها وكثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة
حتى يبقى على سجيته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام
والشهادات ولبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد شير ومجالسة الشرب في وقت الشرب
والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل والى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر
في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم احاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة
بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة والثلب للناس عادة وكذلك مجالسة الفجار و
مصادقتهم فالصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم
بالغنا على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الاخرة على الحسنات

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والاخرة من عالم الغيب والملكوت واعني
بالدنيا حالتك قبل الموت وبالاخرة حالتك بعد الموت فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك
يسمى القريب منها الدنيا والبعيد المتاخر اخرتك ونحن الان نتكلم من الدنيا في الاخرة فانا
الان في الدنيا وهي عالم الملك وغرضنا شرح الاخرة وهي من عالم الملكوت ولا يتصور شرح
عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون هذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال عليه السلام
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين في النوم الا بضرب الامثال
المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الاخرة ولا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة
الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعلمه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلثة امثلة
فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء
فقال انت مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر قال صدقت وجاء رجل اخر وقال رايت كاني اصب الزيت
في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها فابحث عن حالها فانها امك لان الزيت
من اصل الزيتون فهو رد الى الاصل فنظر فاذا امه كانت جارية وقد سبيت في صغره وقال اخر
رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انت تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال

والتعبير من اوله الي اخره امثلة تعرّفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثال اداء المعني في صورة
اذا نظر الي معناه وجده صادقا وان نظر الي صورته وجده كاذبا فالمؤذن اذا نظر الي صورة الخاتم والختم به
علي الفروج رآه كاذبا لانه لم يختم به قط وان نظر الي معناه وجده صادقا اذ صدر عنه روح الختم ومعناه
وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم امروا ان يكلموا
الناس علي قدر عقولهم لانهم في النوم والنائم لا ينكشف له الشيء الا بمثال فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان
المثل صادق ولذلك قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا
يعقلها الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدر ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمي تاويلا كما يسمي
تفسير ما يري من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالي يدا واصبعا تعالي عن قوله علوا كبيرا وكذلك في
قوله عليه السلام ان الله خلق ادم علي صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله
مثله تعالي عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتي في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا
الي غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الاخرة ضرب الامثلة يكذب بها الملحد
لجمود نظره علي ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله عليه السلام يؤتي بالموت يوم القيمة في صورة
كبش املح فيذبح فيثور الاحمق الملحد عند ذلك ويكذب به ويستدل به علي كذب الانبياء ويقول
يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب الكبش جسما وهل هذا الا محال ولكن الله
تعالي عزل هؤلاء الحمقي عن معرفة اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين
ان من قال رايت في المنام انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر
صدقت والامر كما رايت وهذا يدل علي ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع
الياس عنه فاذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقته الي ان الملك المو
كل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم علي ما في اللوح المحفوظ عرفه سر ما في اللوح
المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا
فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الي الاخرة نوم فيوصلون المعاني
الي افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه
دون ضرب المثل فقوله يؤتي بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الي الافهام حصول الياس

من الموت

من الموت وقد جبلت القلوب علي التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القران
بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلي الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
عن سرعة تقلبه وقد اشرنا الي جملة من ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الان الي الغرض
فالمقصود ان تعريف توزع الدرجات والدركات علي الحسنات والسيئات لا يمكن ان يفهم الا بضرب الا
مثال فليفهم من الامثال الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الاخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت
درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا و
شقاوتها فلا يفارق الاخرة الدنيا في هذا المعني اصلا والبتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له
وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء احاد الدرجات
فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الاخرة ينقسمون الي اربعة اقسام الهالكون والمعذبون
والناجون والفائزون ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك علي اقليم فيقتل بعضهم فهم
الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي عن بعض فهم الناجون ويخلع علي
بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا فلا يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لا
ستحقاق الملك ومعاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه
وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا برتبة الملك ولكن لم يقصر فيعذب ولم يخدم فيخلع عليه ولا يخلع
الا علي من ابلي عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة في الدرجات
بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات
معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها
بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الي درجات لا تنحصر وكذلك فافهم ان الناس
في الاخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج في دار السلام ومن فائز والفا
ئزون ينقسمون الي من يحلون في جنات عدن او جنات المأوي او جنات الفردوس والمعذبون
ينقسمون الي من يعذب قليلا والي من يعذب الف سنة والي سبعة الاف سنة وذلك اخر من يخرج من
النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الايسون من رحمة الله يتفاوتون درجاتهم وهذه الدرجات
بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليهم اما المرتبة الاولي

وهو الهلاك ونعني بالهلاك الايسين من رحمة الله اذ الذي تتلى الملك في المثال الذي ضربناه اخس من
من رضاء الملك واكرامه فلا تغفل من معاني المثال وهذه الدرجة لا يكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين
للدنيا المكذبين بالله وبكتبه ورسله فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه و
ذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون
وهم الايسون من رحمة الله ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وانبيائه المرسلين وهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فهو محول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا
مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما
مطلبنا اللقاء ومهربنا الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف
ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور والفواكه فلا يشتهيها واما النار فقد لا
يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق هي نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر عند الم الفؤاد ولذلك
قيل وفي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها فلا ينبغي ان تنكر هذا في عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد
في عالم الدنيا فقد راي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا
يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات
وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال عليه السلام الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد
اشد من احتراق الاجساد فالاشد يبطل الاحساس بالاضعف عما يراه فليس الهلاك من النار والسيف
الا من حيث انه يفرق بين جزئين يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي
يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهي اشد
ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة
هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان
وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس لم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك
الما بل قال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير السلطان مع الجلوس عليه ومن تغلبه
شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين جميل فعل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء

لاثر

لاثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا وفقد المعنى الذي بوجوده
يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفة البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها
ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان
والسمع الا في الاذن فلا يكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا يسمع ولا
يبصر فليس له لذة الالوان وحسن الصور وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقران مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكنفه
عظام الصدر من عالم الخلق بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه
والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي
قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيبا
وعالم الامر امير عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد فمن عرفها عرف نفسه ومن
عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله عليه السلام
ان الله خلق ادم على صورته وتنظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله
وان رحمته على الجامدين على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة
ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي
نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك
من كتاب الله وسنة رسوله لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها المرتبة الثانية رتبة المعذبين
هذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد
وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو مؤمن موحد بلسانه لا بالحقيقة
بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة
عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الاخرة فلا ينفك بشر

عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد
بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران
نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القران فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم
معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب
امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته اذ لا يخلو بشر في غالب الامر
عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى
الحسن رحمة الله عليه الخبر الوارد فيمن يخرج عن النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال يا ليتني
كنت هذا الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان من يخرج اخرا من النار بعد سبعة الاف سنة وان الاختلاف
في المدة بين اللحظة وبين سبعة الف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيه لبث
وبين اللحظة وسبعة الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف
بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة بالحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين
في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب و
يتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير الشدة والمدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة
المال فقط كمن يعذب بالمال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان
واليد والانف والاذن وغيره فهذه اختلافات ثابتة في عقاب الاخرة دل عليه قواطع الشرع
وهي بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة
العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه فباختلاف
انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القران بنور الايمان وهو المعنى
بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وبقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك
بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما حكاه عنه رسوله عليه السلام

سبقت

سبقت رحمتي على غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذن هذه الا
مور من ارتباط الدرجات والدركات في الحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع وبنور المعرفة
فاما التفصيل فلا يعلم الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين
الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان
الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط و
انه اذا حوسب يرجح حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة وصوم رمضان
كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص الكتاب يكفر الصغائر واقل درجات التكفير دفع
العذاب ان لم يدفع الحساب فمن هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في
الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في
جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان
العوام يصدقون فيما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى
حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح له ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود
الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب
من الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون وفيهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم
بالله تعالى ودرجات العارفين بالله في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة
ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق
الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب
اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب
رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى كل الفرائض اعني
الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمتي الشهادة باللسان والصلوة والزكوة والحج والصوم واما من ارتكب
كبيرة او كبائر او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم ير
تكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالثوب المغسول كالذي لم يتسخ اصلا فان مات قبل التوبة
فهذا امره مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة

لا سيما اذا كان ايمانا تقليديا فان المقلد وان كان جزما قابل للانحلال بادني شك وخيال والعارف البصير
ابعد من ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذب ان عذابا يزيد على عذاب المناقشة في
الحساب الا ان يعفو الله ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث
الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء
مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين
ففي الخبر اخر من يخرج من النار يعطي من الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا تظنن ان المراد بقدره بالمساحة
لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول
القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة فاعطاه مائة دينار فان لم تفهم من المثل
الا المثل في الوزن والثقل فلان مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره
بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اجسامها وهياكلها فان الجمل لا يقصد ثقله وطوله وعرضه
ومساحته بل ماليته فروحه الماليته وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية
لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والجمل بل لو اعطاه جوهرة وزنها
مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري
فان روح الجوهر لا يدرك بمجرد العين بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب بها الصبي بل القروي
والبدوي فالصبي يقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب
في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده
الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وسائر الا
موال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف
يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم
البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذ بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعالم مرحوم اذ بلي
بالبليد الابله في تفهيم تلك الموازنة ولذلك قال عليه السلام ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل
وغنيا افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقلهم بالاضافة اليهم

فتنة

فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل بهم سبق به القضاء الازلي وهو المعني بقوله صلى الله
عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء ايوب وهو الذي
ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كان دعاؤه لا يزيدهم الا فرارا
ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الناس قال رحم الله اخي موسى فلقد اوذي
باكثر من هذا فصبر فاذن كما لا يخلو الانبياء من الابتلاء بالجاحد فلا يخلو الاولياء والعلماء من الابتلاء
بالجاهلين وكذلك قلما يخلو الانبياء عن ضروب من الايذاء وانواع البلايا من الابتلاء بالاخراج من
البلاد والسعاية بهم الى السلطان والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين فواجب ان يكون اهل
المعرفة عند اهل الجهل من الكفرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الابل الكبيرة جوهرة صغيرة
عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقايق فامن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطي
اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر بالحواس فقط
فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم الحواس لا يصادف
الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز
المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم وكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليست ذات الله مدركا في هذا العالم
المحسوس بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله نفسه لا محالة ونزل الى افق البهائم وترك الترقي
الى افق الملاء الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه كان كافرا النعمة ومتعرضا
لنقمته الا انه اسوء حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذه فعنده امانة سترجع
لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت
الى هذه القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى
باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة
الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ مرجع الكل ومصيرهم اليه الا انها ناكسة رؤسها عن
جهة اعلى عليين الى اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين

انهم عند ربهم الا انهم منكوسون محوسون قد انقلبت وجوههم الي اقفيتهم وانتكست
رؤسهم عن جهة الفوق الي جهة اسفل وذلك حكم الله تعالي فيمن حرمه توفيقه ولم يهده
طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا انقسام من يخرج من النار و
يعطي مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه
لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته
وايدي العالمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحيوة فحيث لا يبقي رقبة ولا مال لا ينفع
القول باللسان بل ينفع الصدق بالتوحيد وكمال التوحيد ان يري الامور كلها من الله وعلامته ان
لا يغضب علي احد من الخلق بما يجري عليه ولا يري الوسائط وانما يري مسبب الاسباب كما سياتي
تحقيقه في كتاب التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم
من له مثقال ومنهم من له مقدار خردل وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من
النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان واخر من يخرج من في
قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة علي تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال
وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة علي سبيل ضرب المثل كما ذكرناه في الموازنة بين
اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو
الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاخبار ان العبد
ليوقف بين يدي الله تعالي وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة
فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض احد واخذ مال احد فيقتص لهم من حسناته حتي
لا يبقي له حسنة فيقول الملائكة يا رب قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثيرة فيقال القوا من
سيئاتهم علي سيئاته وصكوا له صكا الي النار وكما يهلك هو بسبب غيره بطريق القصاص فكذلك
ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به فقد حكي عن ابي عبد الله الجلاء
ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها
فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا
ما اردنا ان نذكره في اختلاف احوال العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم

بظاهر

بظاهر الاسباب بضاهي حكم الطبيب علي مريض انه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلي مريض
اخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يخطئ
الي المشرف علي الهلاك لانفس من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الي ذي العارض الخفيف
اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالي الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب
التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف علي كنهها وكذلك النجاة
والفوز في الاخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك
السبب الخفي المفضي الي النجاة بالعفو والرضاء وعما يفضي الي الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك
سر المشية الازلية التي لا يطلع عليها الخلق فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي و
ان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب علي المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد علي التقوي
والتقوي محله القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب
القلوب انه لا عفو عن العبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب
باطن يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم يكن الغضب والعفو جزاء علي الاعمال والاوصاف
ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن لما صح قوله تعالي وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله تعالي
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعي وان سعيه سوف يري كل نفس
بما كسبت رهينة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالي
ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا
اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يري القريب بعيدا والكبير
صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيه وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب فما يري بها لا
يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالي ما كذب الفؤاد ما راي المرتبة الثالثة
مرتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا
فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان
من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف الارض وعاشوا علي البله وعدم
المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية

يبعدهم نماطهم من اهل الجنة ولا هم من اهل النار بل يترددون في منزلة
بين منزلتين ومقام بين المقامين عبر عنه الشرع بالاعراف وحلول طائفة
من الخلق فيه معلوم يقينا من الايات والاخبار ومن انواع الاعتبار فاما الحكم
على العين مثلا كالحكم على الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمتيقن والا
طلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء و
العلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عايشة رضي الله
عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ما يدريك فاذن الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام
المرتبة الرابعة مرتبة الفائزين وهم العارفون المقربون السابقون دون
المقلدين فان المقلد وان كان له نور على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب
اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان
والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان
والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم هو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون
مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان يخطر على قلب بشر في
هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والحلي
والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوا اياها لم يقتنعوا
بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم
فهو غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك لما قيل لرابعة العدوية
كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء
سواه حتى عن انفسهم ومثالهم العاشق المستهتر بمعشوقه

المستوفي

المستوفي همه بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما
يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار
همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه
وهذه الحالة هي التي توصل في الاخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا
يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الى ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره
فعند ذلك يدرك حاله يعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته والدنيا حجاب على
التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الاخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون وهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات بيان ما تعظم
به الصغاير من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك
قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة تنصرم لا يتبعها مثلها لو تصور
ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على
الحجر على التوالي فيؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء يستبان باضدادها فاذا كان النافع
من العمل هو الدايم وان قل والكثير المتصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل
من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة
من غير سوابق ولواحق من جملة الصغاير فقل ما يزني الزاني من غير مراودة ومقدمات وقل ما يقتل
بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعادات فكل كبيرة يكتنفها صغاير سابقة ولاحقة ولو تصورت
كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره
ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله لان
استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره
يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور
تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة وقد
جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه

صفت
منافق

صفت
مؤمن

فاطاعه وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن
لعلمه بجلال الله واذا نظر الى عظم من عصى به راى الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى نبي من انبيائه
لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها
وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين
انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات اذ كانت
معرفة الصحابة بجلال الله تعالى اتم وكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب
يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف
لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها
واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند
العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به
لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف
فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى اخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في
التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته وهذا
وامثاله تكبر بها الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا وقع اليها العبد وظفر الشيطان به في الحمل
عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي
يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون
بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما
فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى فيكون ذلك لامنه من مكر الله واستدراجا تعالى وجهله بمكامن الغرور
كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها
ان ياتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على
ستر الله تعالى الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما
جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به وان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة
الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم

على ذنب

على ذنب قد ستره الله تعالى عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله
تعالى ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا
تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من
ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى
ذلك منه كبر ذلك ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال
السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان
في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا
الجاه كتعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم
آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال
بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس
فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها
وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى
الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت
من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى
اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك
التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع به ويقتدى
به العلماء والعوام يكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون
على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء
في طرفي الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في
تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها. **الركن الثالث** في تمام التوبة وشروطها في دوامها الى
آخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم

يكون المعاصي حائلة بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام
ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة
وسياتي واما الندم فهو توجع في القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة
والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال
عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد عليه من النار واي شيء
ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله فلو حدثه انسان واحد
يسمى طبيبا ان ولده المريض لا يبرا وانه سيموت منه طال في الحال حزنه فليس ولده اعز من نفسه
ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل
على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار والم الندم كلما كان اشد كان تكفيرا
للذنوب والمحاوها ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا
التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان يتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها
فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله تعالى قال لبعض انبيائه
وقد ساله القبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال
وعزتي لو شفع فيه اهل السماوات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه
في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من
تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال المه وتناثر شعره وفلجت
اعضاؤه فاذا قدم اليه العسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر
نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه
سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب
فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل
هذا الايمان عزت التوبة والتائبون كما ترى فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا
عليها فهذا شرط تمام التوبة وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع
الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد
مهما

مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه
من حيث انه سرقة وزنى بل من حيث انه مخالفة امر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب واما
القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس
له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو
دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول
يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما
ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان
كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس او صلى بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها
عن اخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه
اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما
الصوم فان كان قد تركه في مرض او سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض
فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكاة فيحسب جميع ماله
وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب
الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج
البدل وهو على مذهب الشافعي رضي الله عنه فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب
الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسال عن كيفية الخروج عنه
من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروج والان قد افلس
فعليه الخروج وان لم يقدر ح لافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن كسب ولا
مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات او الصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل
الحج مات عاصيا قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فلا عليه فليمت ان شا يهوديا وان نصرانيا
والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي
فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه
وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع

شاء صح

على جميعها صغارها وكبارها لم يتطرق فيها فان كان ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظلمة
العباد كالنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب
خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنه بالندم والتحسر عليها وبان
تحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة يناسبها فيأتي
من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله عليه السلام اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر
ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام
المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق
بكل شراب حلال مواظب عليه واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق
المضادة فان المرض يعالج بضده وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها
بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها
لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف
في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان
كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان
حب الدنيا رأس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها والحنين اليها فلا
جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى
بالهموم والغموم من دار الهموم قال عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ
اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال
تكفرها ادخل الله عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد
لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت
هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة
والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن
فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة
شهيد

لشهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم
العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق
منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها
فيقابل ايذاءه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بماله الحلال ويكفر تناول اعراضهم
بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من امثاله واقرانه ويكفر قتل
النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لغيره والاعتاق ايجاد لا تقدر
الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة
في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه
ولم يكفه حتى يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب
اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطا فتوبته بتسليم الدية ووصولها
الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص
فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان
شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او
قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك
ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه
بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان
رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى
بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت
نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت
فرده الثانية والثالثة فلما كان في الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فريقين
فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز
فقال رسول الله لقد تاب ماعز توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت
يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم

ترددني تريد ان ترددني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت
اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال فاذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتت
بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل
من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها
فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده
لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد
القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة
بنوع تلبيس كترويج زايف او ستر عيب من المبيع او اجره اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان
يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب اخراجه بعد البلوغ
ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ
وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حيوته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة
وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع
ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن عليه فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا
وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى
التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان
يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة
فتوخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم فيهلك بسيات غيره ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة
مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيات ارباب المظالم فيهلك بسيات غيره فهذا طريق
كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة
المظالم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت
ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته
اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا متعينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق
به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله

في كتاب الحلال

في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او بغيبتهم في الغيبة فليطلب
كل من تعرض له بلسانه او اذى قلبه بفعل من افعاله فليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد
فات امره ولا تدارك الا بتكثير الحسنات ليؤخذ عوضا في القيمة فاما من وجده واحله بطيبة قلب منه
فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك
وكثرة تعديه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة ياخذ من حسناته او يحمله من سياته
فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان
الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما عرفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل
منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب واما الذكر والتعريف فهو
سيئة جديدة يجب منها الاستحلال ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال
بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه
والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب
قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال وان ابى الا الاصرار فينبغي ان يكون تلطفه به واعتذاره
اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور
قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذايه حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك
منه عوضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجا بمثله وامتنع من له عن القبول
وعن الابرا فان الحاكم يحكم عليه بالقبض شا او ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل
المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله عليه السلام قال كان
فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه
وقال انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم
اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله
معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت
فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت

لملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فنا ماهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي واما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا موكدا ويعاهد بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع مرات لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة والفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف

يكون يتوجع على البعض دون البعض فالندم حال يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة لا ينال تلك الرتبة الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المماثلات دون البعض فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واضح نستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله تعالى ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل ومستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذر السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعر بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر وهذا غير محال وجوده فان اكلهما جميعا بحكم شهوته يندم على اكل العسل دون السكر والثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله تعالى كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه وهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لانه يتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو

ان يتنبه الى تركه بعض الذنوب لا لصلاح [illegible] ... وجود [illegible]

لا يدري ما يحسب تواتر شرب الخمر عنده فينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على
الماضي الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن
الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو أيضا ممكن ووجه
إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما إما قويا وإما ضعيفا ولكن
يكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل
والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم
ولا قويا عليه فإن سلم عن شهوة أقوى منه بل لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها
وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة
ما بالغيبة وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة
دون القوية فيوجب عليه عند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول في نفسه هذا الفاسق إن قهرني
الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكلية
بل أجاهده في بعض المعاصي فعساني أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم
يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله
فلا يصح وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن أمر الله تعالى فيه واحد فلا يتصور أن
تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي
أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا مليء في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر
فأقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا
وهذا هو حال كل مسلم إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله تعالى ومعصيته ولا سبب له
إلا هذا فإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف إذا كان من فعل
ماض أورث الندم والندم يورث الخوف وقد قال عليه السلام الندم توبة ولم يشترط الندم
على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني
يتبين أن التوبة عن بعض الزنا غير ممكن لأنها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى
نعم يجوز أن يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون
القليل

القليل لأن لكثرة المعصية تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك
بعض شهوته لله كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها
فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي
عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور
اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه
بعزمه على الترك يلحقه بمن لا يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي فإن قلت
فهل يصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فأقول لا لأن التوبة عبارة
عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه
ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه
احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكان حرقة الندم يقمع تلك الشهوة وتغلبها فإني
أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته إذ لا خلاف أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات
عقيبه كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسبابا بالقضاء الشهوة
ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فإذا لا يستحيل
أن يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئا
يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبل
منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين
أحدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة
ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا إن التوبة
لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك
مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا فإن قلت فإذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت
نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل
فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني
إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في

توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة القصور عن المجاهدة وما قاله كل واحد
من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذى انقطع نزوعه بنفسه الى حالتين
احديهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه فى نفس الشهوة فقط والمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة
قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته وهذا دليل قاطع على قوة النفس وعلى قوة الدين
واعنى بقوة الدين قوة الارادة التى تنبعث باشارة العقل وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشيطان
فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب
فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطا وهو كقول القائل العنين افضل لانه امن من خطر الشهوة
والصبى افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر لاعدائه لان المفلس لا عدو
له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر
غير عالم بان العز فى ركوب الاخطار وان العلو بشرط اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذى
ليس له فرس ولا كلب افضل فى صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه
امن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وامن ان يعضه الكلب ويتعدى
عليه وهذا خطا بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى
بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة
السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت باداب الشرع فلا تنبعث الا باشارة الدين وقد سكن
بسبب استيلاء الدين عليه فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان ذلك
فضل المجاهدة قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع
مضرة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين
واذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت فى المجاهدة فانت بعد فى طلب الظفر
ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال
ولا يدرى كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما بامن عنده بعد
ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاسات التاديب بعد ولعل
زلة هؤلاء قطعوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق
الطريق

الطريق وظن اخرون ان قمع الشهوات واماتتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز فقال
هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل باتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال
وقد قررنا ذلك فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك فى تائبين احدهما
نسى الذنب فلم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما
افضل اعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين
عينيك وقال اخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة
الى حالتين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه
حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلماء فان معرفة
الساعى ما هو عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه
مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله احواله وقد يكون
طريق العبد الى الله العلم والتعلم والطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة فى القرب والبعد
والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك فى اصل الهداية فاقول حضور الذنب وذكره
والتفجع عليه كمال فى حق المبتدى المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تنبعث ارادته وانبعاثه
لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج منه الخوف والحزن والوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة
الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق
بل سالك الطريق ينبغى ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادى الوصول وانكشف له انوار المعرفة
ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو
عاق عن الطريق الى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر فى عبوره من حيث انه كان قد
خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكى متاسفا على تخريب الجسر كان هذا مانعا
اخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا
متعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فليطل بالليل بكاءه وحزنه
على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن عزمه ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق نفسه
انه لا يعود الى مثله فسلوكه الطريق اولى من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا

يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعايق وطريق السلوك وقد اشرنا الى بعض ذلك
في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون التفكر ... في الآخرة
لمن يريد رغبته لكن اذا كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور
فان ذلك الفكر ربما حرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى
وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدى
ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا الفهم ما يحكى
لك من بكاء داود عليه السلام ونياحته فان قياسك نفسك على الانبيا قياس في غاية الاعوجاج لانهم
قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللايقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس
بما ينتفع اممهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على
مريد بالرياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها بفراغه عن المجاهدة وتاديب
النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال عليه السلام اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع
وفي لفظ انما اسهو لاسن ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبيا كالصبيان في كنف شفقة
الاباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى ان الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة
نطق الصبي كما قال عليه السلام للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت
فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته
ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طايرا يصوت به رغا وصفيرا تشبها بالبهيمة والطاير وتلطفا
في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقايق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة اعلم ان التائبين على اربع طبقات الطبقة الاولى
ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى اخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود
الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة
في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح
واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة
بقوله عليه السلام سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة
خفافا

المستهترون

خفافا فانه اشار الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث
النزوع الى الشهوات فمن تايب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك
صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع
ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن
مختطف قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت
استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها حسنة حتى قال بعض
العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العبد عشر مرات ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة
ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى فاشتراط هذا بعيد وان كان له حظ من الاثر ولو فرض
ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف
فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتدا
اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته
في الابتدا الطبقة الثانية تايب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكباير الفواحش كلها
الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان
يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر
للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها
على ما تستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت
نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التايبين لان الشر معجون بطينة الادمي فقل ما ينفك عنه وانما
غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه وترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيات
فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وكل المام بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو
عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى
عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله عليه السلام فيما
رواه علي خياركم كل مفتن تواب وفي خبر اخر المؤمن كالسنبلة يفي احيانا ويميل احيانا وفي الخبر لا بد

للمومن من ذنب يا تيه الغيبة بعدها لغيبة اي الجبن بعد الجبن وكل ذلك دلالة [illegible] على
ان هذا العدد لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يوئس مثل هذا عن درجة التائبين
فهو كالطبيب الذي يوئس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد
اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يوئس المتفقه عن نيل درجة الفقها بفتور عن
التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه
بل الفقيه في الدين هو الذي لا يوئس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة
السيئات المختطفات قال عليه السلام كل بني آدم خطا وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا
المومن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى
اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة
الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن
قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب
مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى
على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله
وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه وتسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما
بعد يوم فهذه هي النفس التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته
لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما
يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشية فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة
التحق بالسابقين وان غلبت عليه شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق
عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل العلم دل تعذره
على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت المواظبة على التحصيل
دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها
بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية
والادوية

اسباب

والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به يستحق المناصب العلية في الدنيا والاخرة بترك
الكسل والمواظبة على تفقه النفس وكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت
فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم طاهر بطول
التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فمهما وقع العبد في ذنب فصار
الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال عليه السلام ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة
سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها فلا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس هو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت
متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرة حين لا ينفع التحسر **الطبقة الرابعة**
ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه
بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته وهذا من جملة
المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره
في مشية الله تعالى فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا اخر لها وان ختم له بالخير حتى مات على التوحيد
فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو لسبب خفي لا يطلع
عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله
الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء عليهم السلام وطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم
بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب
الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم ولا من
اتجر استغنى ولا من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون محرومون
الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته
وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله ان يرزقه كنزا تحت الارض
في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في
قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة

والعالمون كلهم

معروف عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقله هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة
حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه
يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب دينار واذا قيل ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست
تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا
تحتسب يستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا
ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل
لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها
فيهما جميعا وانه اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى فكيف يعتقد
انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه
الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع
شدة الاجتهاد في عاقبة الامور وينسى قوله تعالى وفي السماء رزقكم فنعوذ بالله من العمى والضلال
فما هذا الا انكاس على ام الراس وانغماس في ظلمة الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت
قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نعمل صالحا اي نسعى
وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب
السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة
والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم
على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ
بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب
واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره
بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق المذنب ويكون ذله
بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على العباد
وكذلك

الواجبين

وكذلك بتصفية القلب بالخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات
وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة
من اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الانقطاع عن الذنب وخوف العقاب عليه
ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما
سبعين مرة ويقول سبحان ربي العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض
الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر
اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر
تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال عليه السلام اوما
صليت معنا صلاة الغداة قال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون
الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما
بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها
بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا   عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من
الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله
وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار
كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات
حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون
الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين
هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن
راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر
قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى
الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها

فيصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار بالقلب واللسان
والاستغفار درجات واوايلها لا يخلو عن الفائدة وان لم ينته الى اواخرها ولذلك قال سهل لابد
للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي
فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا
رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم
الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك
ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده
ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة
ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والذكر
قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه ويرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام
حملة العرش وسئل ايضا عن قوله عليه السلام التائب حبيب الله تعالى فقال انما يكون حبيبا اذا كان
فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب الذي لا يدخل فيما يكرهه
حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احديهما تكفير السيات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية
نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضه محو لاصل الذنب بالكلية وبعضه
تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة والاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات
وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوايل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان يظن
ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة
تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح
الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخير الى ان يثقل فتشيل كفة
السيات فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمراة
الخرقا تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واي غنى يحصل بخيط وما
وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام

مطلب حديث التائب حبيب الله

العالم مع اتساع اقطاره ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله
اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان
في تلك الساعة بعينه بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت
عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمن المغربي ان لساني في
بعض الاوقات يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك
في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات
حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا
سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك
وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان
اعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته
اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله وان
تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك
العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف
الاخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الافات فتفتر رغبتك في العبادات فان
هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انكم ارباب البصائر واهل الفطن
للخفايا والسراير فاي خير في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة
اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق
اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة
القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر
في نفسه خيلا الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان
بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق
شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل
وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت

والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يترك الغالب في اللسان في اعتياد الخير وكى ذلك
السابق كالحائك دمت حياكته فتركها فأصبح كاتبا والطالب المختلف كالذي ترك الحياكة فأصبح
كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال إني أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة
إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولما قالت رابعة
العدوية استغفارنا يحتاج إلى الاستغفار فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله
بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكت عن الاستغفار
باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد وهكذا ينبغي ذم ما يذم وحمد ما يحمد
والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن هذه أمور تثبت بالإضافة
فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر
رضي الله عنه إن الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه
فيه وغضبه في معصيته فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا
تحقروا منهم أحدا فلعله ولي الله

الركن الرابع

في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة
الإصرار اعلم أن الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر
القسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين
وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل
إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء وكل داء
حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطل الشيء إلا بضده ولا سبب
للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع
الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا وقال الله تعالى أولئك هم الغافلون
لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم
ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد
منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج العا

القلب من مرض الإصرار فإذا لهذا الدواء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر فلا بد من بيانهما
فإن قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن كل العلوم بجملتها أدوية
لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل
علة علم مخصوص فكذلك داء الإصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون
أقرب إلى الفهم فنقول يحتاج المريض إلى التصديق بأمور الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض
والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب
فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه من الإيمان بأصل
الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الإيمان
بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق وإما عن تقليد وكلاهما من جملة الإيمان الثاني
أنه لا بد وأن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس
ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق
الرسول والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث أنه لا بد أن يصغي
إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك
الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة
على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى
إلى سمعه من ذلك من غير شك وامتراء بحيث ينبعث به الخوف المقوي للصبر الذي هو الركن الآخر
في العلاج الرابع أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه
أولا تفصيل ما يضره في أفعاله وأقواله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء
عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل
عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة
وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم إلى
العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فإنها علوم يختص بها
أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب

وهو العالم وان كان لا يدرى ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم
باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم
ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء
والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في
الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر
على وجهه برص ولا مراة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى
السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا
يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار مرضى اذ ليس في
بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطبا
والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف
شره كما يسلم الى الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده
بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن ساير الناس وانما صار مرض القلوب اكثر
من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض لا يدرى انه مريض والثانى ان عاقبته غير مشاهد
في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت
غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله
في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد
الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه
وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة
عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا
على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالصلاح وتنسون انفسكم
فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء
بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا ولم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا
لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب
اسباب

بالصلاح

الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن
مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب
جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين
متضادى العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق
العيش على نفسه بالكلية فليكسر سورة اسرافه بالخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك
المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت
يعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي
بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من داب الجهال والاغبياء
فاذا فساد الاطباء هي المعضلة الزباء التي لا تقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي
ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاوه نعم نشير الى
الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع **النوع الاول**
ان يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما تواردت في الاخبار والآثار مثل قوله
عليه السلام ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول
احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر يا
ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وتابوا عما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد
امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم
يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها عليه وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض
ان يخسف به واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض وللسماء كفا
عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل
صالحا فابدله به الحسنات وذلك معنى قول الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلق
بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب
بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى ينقبض

الاصابع كلها فيشتد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين العبد وبين الله تعالى
حدًا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير والاخبار والآثار في
ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما
اصابه **النوع الثاني** حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد
الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال ادم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى
روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيى التاج والاكليل من وجهه
ان يرتفعا عنه فجاء جبريل واخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش
اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت ادم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم
المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمن عليه السلام لما عوتب على خطيئته لاجل التمثال
الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المراة سالته ان الحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل
بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه
وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمن بن داود شج وضرب وحكي انه استطعم من
بيت لامراة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه
الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة فجاءت الطير فعكفت
على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان جنى
عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الان ان هذا امر كان من السما ولا بد منه
وروي في الاسرائيليات ان امراة تزوج امراة من بلده وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطلبته
بها فجاهدها واستعصم قال فنباه الله ببركة تقواه وكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى انه
قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله ه وروي ان الريح
كانت تسير سليمن عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد وكانه اعجبه فوضعته
الريح فقال فلم تفعلين ولم امرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله وروي ان الله تعالى اوحى
الى يعقوب اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اني اخاف ان
ياكله

اخرى صح

ياكله الذيب لم خفت عليه الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وتدري لم رددته
عليك قال لا قال لانك رجوتني وقلت عسى الله ان ياتيني بهم جميعا ولما قلت اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين واما امثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القران
والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبيا لم يتجاوز عنهم في الذنوب
الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الكبار نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يوخروا الى
الاخرة والاشقيا يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر
امراره على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** ان يقرر عندهم
ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته
فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله تعالى في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به
فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب امر الدنيا كما حكي في قصة داود وسليمن حتى قد يضيق
على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه وقال عليه السلام
ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه
وهو معنى قوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف ليست
اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه
وهو كما قاله لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان
من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به
عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون
وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه يتحرز حتى زلقت رجله وسقط فقام
وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في
ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار
الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفا الاخوان فذنوبك ورثتك
ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال اخر اعرف العقوبة في جاريتي

وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها وكنت قائما اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت ولم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال اما استحييت من الله كنت قائما بين يدي الله فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله تعالى لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في افات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل الصبر حتى يتضاعف شقاوه وان اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر ما ورد في العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله ووضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها وليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي قال لا تغضب وقال له اخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك

فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك فقال الزم الزهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السايل الاول مخايل الغضب فنهاه عنها وفي السايل الاخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السايل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني فقال ارحم اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه امارة الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الناس وكانه تفرس فيه افة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله ووقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السايل اولى من ان يكون بحسب حال القايل وكتب معاوية الى عايشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عايشة سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي يكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيا والسلام فاذا على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تعرف الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بموعظة بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع او ساله من لا يدري باطن حاله ان يعظه كيف يفعل فاعلم ان الطريق في ذلك ان يعظه بما يشترك في كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقران فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بني ان احمد

العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ولا
ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم
صوما يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال
أيضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح
مال غيرك فإن مالك ما قدمته ومال غيرك ما تركته يا بني إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن
يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني
فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة
فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا
ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين
بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضى
خالقك بقدر ما تجتهد في رضى نفسك وقال رجل لحامد اللفاف أوصني فقال اجعل لدينك
غلافا كغلاف المصحف أن لا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما
لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه وكتب الحسن
إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما
بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله
أن يعظه فكتب أما بعد فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بد لك من مشاهدة
ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في
العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر
أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فإذا زللت فارجع فإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فسل
وإذا غضبت فأمسك وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا
دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي
جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي
بن أرطاة أما بعد فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله أما أولياؤه فغمتهم وأما
أعداؤه

أعداؤه فغرتهم وكتب أيضا إلى بعض عماله أما بعد فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا
هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا
عليك واعلم أن الله تعالى آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة
ووعظ من لا يدري خصوص وأمثال هذه المواعظ مثل الأغذية التي تشترك العامة في الانتفاع بها
ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق
بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أبياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون
بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب إلى القلب بل القائل
متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف فإذا كان طلب الطبيب أول علاج المرضى
وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله **الأصل الثاني** الصبر ووجه
الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره وإنما تناوله لذلك إما لغفلته عن مضرته
وإما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فبقي علاج الشهوة وطريق علاجها
قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته بأكل مضر فطريقه
أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا
يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر
فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه
وحفظ قلبه وحفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر دينه بأن يستقري
المخوفات التي جاءت فيه في كتاب الله وسنة رسوله فإذا اشتد خوفه تباعد عن الأسباب
المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة
ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر
إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد فأول الأمر
حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه
لتمام الفهم وينبعث عن تمامه لا محالة خوفه وإذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت
الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف

فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره الله لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى وما علينا الا شرح
طرق الهدى وانما لله الاخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب
لا يمكن الا بالصبر عنه والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق
بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن
فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن يصدق بان المعصية سبب
البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها
ان العقاب الموعود غيب وليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف
بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال
آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع
عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله عليه السلام ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل
عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها
بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فلما خلق
الجنة قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم
قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن كون الشهوة
مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول
اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه يكون مكذبا باصل الطب
ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر
الثالث انه ما من مذنب الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات
وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يسوف التوبة والتكفير في
جنب رجائه توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو

لقد خشيت ان لا ينجى صح

يزال

يحقق ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل
الله تعالى فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب
لسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره
الطبيب في المرض تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه
فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان
يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظر قريب وان
الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله وما يدريك لعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر
نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار
لاجل الربح الذي يظن انه محتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره طبيب نصراني بان شرب الماء
البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا
لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر
كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء
المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا يشهد له الا عوام الخلق
وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة مقداره خمسين الف سنة من ايام
الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا لم اقدر على
ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر
فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج
صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان
اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا
يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة
الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي
اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين
ولا [illegible] ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاقة وما مثال المسوف

الفكر

كنت لا ح

غدا

الا مثال من احتاج الى قلع شجرة قواها قويه لا تنقلع الا بمشقه [illegible]
فعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازدادت رسوخا وهو كلما [illegible]
ع الدنيا اعظم من خافته اذ يعجز قوته عن مقاومة ضعيف فاحد نفسه [illegible]
ع نفسه وقوى الضعف واما العين الرابع وهو انتظار عفو الله و[illegible]
امواله وتركوا نفسه وعياله فقرا منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان
امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من وقع النهب من الظلمة في بلده وذخاير امواله
ع صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط عقله على الظالم
الناهب حتى لا ينفذ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والعقلة
ممكنه وقد حكى في الاسمار ان مثل ذلك وقع فاذا انتظر من فضل الله مثله منتظر لهذا منتظر
امر ممكن ولكنه في غاية الحماقه واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه
صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان تعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبيا
المؤيدون بالمعجزات [illegible] ممكن او يقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد
ع مكانين في حالة واحدة [illegible] اعلم استحالته كذلك فهذا احرق [illegible] وجود مثل هذا
ع [illegible] انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك
البيت [illegible] انه قد ولغت فيه حية والقت فيه سمها وجوزت صدقه فهل تاكله ام تتركه وان
كان الذ [illegible] هذا الطعام والصبر عنه
وان كان شديدا فهو قريب [illegible] الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام
واضاعة [illegible] من المعجزات
وصدقه [illegible] ولست اغنيهم جهال العوام [illegible] الالباب
عن صدق رجل [illegible]
ثوابا وعقابا [illegible]
لذنبوا فلا [illegible]
شاك [illegible]
[illegible] طالوا

الهم بالعين لا يبطرونها الى الفقر ويحققوا بيعطوا كما يعطي المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم
وانهم على السنة وان الدنيا داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة تغرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق
والحجج الى المضايق وكل ذلك لاكله الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفيه اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم
وظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مالوا الى الدنيا متبعين الى الهوى فهذا كله كلام
الخواص فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول باطنه على ثلاث
علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة
الثانيه ان يستوي عنده ذامه ومادحه والاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه
العلامة الثالثه ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة
المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهوا في القدح فالماء اذا دخل خرج
الهوا ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا انتهى
بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويدا القلب وباشره
ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعا ادم عليه السلام اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه
شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في احد هذين المقامين ومقامه
الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه
قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا
قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسكها
[illegible] فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية
لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه
خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى
الحجر كما فعل عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان

مطلب الزهد [illegible]

مطلب محبة الدنيا ومحبة الله كالماء والهوا في القدح

مطلب اخر الزهد

لمثالنا لا يستجرئ على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تعالى غير مأذون فيه
واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا بدع ان يعظم السؤال اعتمادا
على الجود المجاوز لكل حد فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم
وذلك لغلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا
يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ
علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال
ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد
فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفين
الزهد قصر الامل وقال سري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف
اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال يحيى بن
معاذ علامة الزهد عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل
والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس
رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع
الله عنك الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط
الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري
مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال
الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل
مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد
بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي ا[illegible]

وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان
مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع
مقاصده ان شاء الله **بيان فضيلة الصبر** قد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القران
في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ولاجل كون الصوم من
الصبر فانه نصف الصبر قال [illegible] انا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات
ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى
والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مدح الصبر يطول واما الاخبار
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وسياتي وجه كونه نصفا وقال عليه السلام من اقل
ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان
تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح
عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا [illegible] عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه
ثم قرا ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الاية وروى جابر انه سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل
مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس
وقيل اوحى الله تعالى الى داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن
عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول
الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال عليه السلام
مؤمنون ورب الكعبة وقال عليه السلام في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح صلوات الله عليه
انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا

لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى واما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى وقال علي رضوان الله عليه بني الايمان على اربع دعايم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الآية نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا يتفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة ولا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قايمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمار يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملايكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهايم والملايكة اما في البهايم فلنقصانها واما في الملايكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليست فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى تسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملايكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف

واما الانسان فانه خلق في ابتدا الصبي ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذا الذي هو محتاج ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ فاما الدوا النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قوة وقدرة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ولتفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملايكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشياطين الناصرين لاعدا الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا

فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى
ثبات الدين المضاد للشهوة وقوي المعرفة والايمان بقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان
الملكان الموكلان بهذين الجندين باذن الله تعالى ويسميان ملكين وهما من الكرام الكاتبين
وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك
المغوي لم يخف عليك ان جانب اليمين هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست فينبغي ان يكون مسلما
له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال
والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه
ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال فهو معرض عن صاحب
اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيكتب له سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده
فيثبت له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين
اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات
والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه
في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت
لا من عالم الشهادة وما هو من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه
الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة
الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه
القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق
لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون
الى النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى
نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك
تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تتزلزل البلاد
المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند
زلزلة

زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان
واعلم انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط واما بدن غيرك فليس حظك
والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله ان يتزلزل بدنك
بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تحس به اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها
زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك
شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك
نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك
فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت
الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا
تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت
البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا
فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع
الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت يقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء
مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي
بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت
في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت
سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره وهذه
هي القيامة الصغرى والخوف بعد اسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى
وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى
وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى
بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى
مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار

من نطفة وعلقة ومضغة الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضا العالم فنسبة عموم القيمة الكبرى
الى خصوص القيمة الصغرى كنسبة سعة فضا العالم الى سعة فضا الرحم ونسبة سعة العالم
الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضا الدنيا كنسبة فضا الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع
واعظم فقس الاخرى بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة الثانية الا على قياس
النشاة الاولى بل اعداد النشاات ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم
فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة ومقر بالملك والملكوت والمقر بالقيمة
الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العورا الى احد العالمين وذلك من الجهل والضلال والاقتدا بالاعور
الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن
بالقيمة الكبرى بالجهل والضلال افلا يكفيك القيمة الصغرى اما سمعت قول سيد الانبيا كفى بالموت
واعظا او ما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت
او ما تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتدا برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا
ينزجرون وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن افيظنون انهم في الدنيا خالدون اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا
محضرون ولكن ما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا
يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول
قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة
الادميين لما وكل به من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان
الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى
الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين
على الاقبال والاعراض ولعمري تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج
الى سن

بغيبة الصبر ولذلك قال عليه السلام اعبد الله على الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير
وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية
الرضى بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين
في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضى كما ان مقام الرضى اعلى من مقام الصبر وكان هذا
الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار
حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى
المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة
فيهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه
هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان
لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة **بيان** مظان الحاجة الى
الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين
احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد
منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر
النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع
الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور
فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك
الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى حتى قال بعض العارفين البلا يصبر عليه المؤمن
والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب
الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله
تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه السلام الولد مجبنة
مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما
اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار

مطلب الصبر على النعم اشد من الصبر على البلاء

مطلب معنى الصبر على العافية

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده
وعسى يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب
وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك
في سائر ما انعم الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على
السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الفصد والحجامة اذا تولاه
غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر
منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء. **النوع الثاني** ما لا يوافق
الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره
كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام
فهي ثلثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية
وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد
لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي
مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف
قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت
قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده
ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة
على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل
كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج
المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص
والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الافات وعقد العزم على الاخلاص والوفا وذلك من
الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وافات الرياء ومكايد النفس وقد
نبه عليه السلام اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات

فالحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق
ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الاخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا
ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي الى تمام العمل الحالة
الثالثة بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والريا والصبر
عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله
والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو يحتاج الى الصبر عليهما وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان
الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل
وايتاء ذي القربى هي المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر الضرب الثاني
المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي وقال عليه السلام المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي
مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة
بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جند الشيطان
على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان
الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على
النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها
الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره
غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احدهما نفي الغير والاخرى اثبات
نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين
وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات تعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها
واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا
فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اغراض الناس فلا يستنكر ذلك
مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر

على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيرها فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على
السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في
قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث
النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن
أصبح وهمومه هم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول
وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة
قال بعض الصحابة ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وقال تعالى ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم عليه السلام مرة مالا فقال بعض الأعراب
من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنتاه ثم قال (احمرت)
يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله
وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا عن المكافأة ولذلك
مدح الله العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال عليه السلام صل من قطعك وأعط من حرمك واعف
عمن ظلمك ورأيت في الإنجيل قال عيسى لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف
وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن
أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر
على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون على باعث الدين
باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره كالمصائب
مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء وبالجملة
فسائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه
الصبر

كالعلماء والصلحاء والسلاطين العادلة

كهلاك أولاده وبهمه وإبله

إلى حين البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرن الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار
الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب
عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار
وكان على سمت الكرام الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتب عليه
ما يحفظ ثم ينشر عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد
ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته
الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين وإليه الإشارة بقوله عليه السلام أنا وكافل
اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه
بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف
أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف
هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان
باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان
ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله
عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية
ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال
باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث
إلى آخره الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك
فينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالإضافة إلى
ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا
الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود الإيمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان
الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة

الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال عليه السلام بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان وهكذا ينبغي ان تفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات وغيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر وان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة وتضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما وتضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر وتضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وتضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة وتضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال عليه السلام الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأسا والضرا اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم

المستقيم ويكشف بنور الله تعالى اولا المعاني فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه انه يسخر ما كان حقه ان يسخر ويسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق

المسلم أن يكون متسلطا عليه لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم في نفسه أوجب من حقه في غيره فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن أرق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لأن الهوى أبغض إله عُبد في الأرض عند الله والعقل أعز موجود خلق في الأرض. الحالة الثالثة أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يُعَدّ لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئا منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأنعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام. وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويسمى ذلك باسم الصبر وإذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين وهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر

في البلاء ... معناه أن كل ذي مرزية فصاراه ... المرزية المصيبة

للصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه إلا ببضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ولذلك قال عليه السلام أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا وهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال عليه السلام يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدا وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال عليه السلام قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال أيضا من أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذاك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاؤوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ويقال إن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل

في تقوى المؤمن بثلث خصال بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات
وقال نبينا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن
بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له
لعله احوج اليها مني وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت
له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته
فهكذا كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا ينال درجة الصبر في المصائب
وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا تكون في نفسه كراهية للمصيبة
فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور
داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته
ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن
لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره
فجعل ياكل فقال كيف الصبي فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه الليلة ثم
تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا
قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئسما صنعوا فقلت هذا ابنك كان
عارية من الله وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي لقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة
كلهم قد قرؤوا القران وروى جابر انه عليه السلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء
امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة اذ يشبه غيره ولا يخرجه
عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية
ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت
عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك
ايضا لا يخرج عن مقام الرضى فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة
وقد تغيظ

ثم اقفل تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضى وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء
فكتب ان احق من عرف حق الله فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي
قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة
عليهم فيما يعافون به فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه نال درجة الصابرين نعم من كمال
الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة
فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات
كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن وساوس الشيطان باطنا
فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد
ان يحصل منه ما هو مقدر فكيف ما كان تضييع زمان واله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب
في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة
محبة الله فهو مغبون هذا اذا كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا
بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من
يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس واحبه
حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته
ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة
جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق
الانسان من صلصال كالفخار والفخار اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار
طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا يزال يتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق
من النار ان يطمئن ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه
بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي
ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد
اظهر انقياده واذعانه والعباد بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على
الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف

بالاصطلاح لتصور ذلك ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استعفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر من الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبله عالم الشهادة عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح ان اردت ان تخلو عن الهواء لا محالة فكذلك القلب مشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشياطين ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال عليه السلام ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد ساير الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفا اليابسة للنار كثر تولده فلا يزال يتوالد النار ولا ينقطع البتة بل يسرى شيا شيا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفا اليابسة للنار وكما لا يبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا تاملت علمت ان اعدى عدو لك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقال ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع

مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الفكر والذكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا سبيل لنا فيه الا تقوية من اردنا ان يكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ها هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوته وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه والثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما تشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن ساير الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال عليه السلام عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول هو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب ليضعف ويسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التاديب اما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما ان يكون اطماعه في فوايد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات فانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف ومن

من الايمان وتارة تضعف وتارة تقوى فان هوى قوى باعث الدين وقهره قهرا شديدا وان ضعف
ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وان اقل ما اوتي الناس اليقين
وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك الظفر
بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تولد القوى التي
يصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة
على قوة الخياطين والعطارين والفقها والصالحين وذلك ان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول
يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه
اياهم بموسى حيث قال وانكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة
مباشرة اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجري عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية
المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة
الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف
الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من يتفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة
وجلس للمراقبة وللذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له
البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقا
والاصدقا والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة ثم كل ذلك لا يكفي
ما لم يصر الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن مجال الفكر
وسيره بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا
استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن
فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراة والاذكار والصلوات ويحتاج
مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد
الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن
حوادث تتجدد فتشغله عن الذكر والفكر من مرض وخوف وايذا من انسان وطغيان من يخالطه
اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد انواع الشاغلة واما
النوع

النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان
تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره لا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه ولكن بعد
قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب
ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لم يقدر على عشر عشيره في زمان
طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب
والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد
وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا
الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار
العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب
الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام ان
لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية
اذ قال تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا
فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله
كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر
الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم
عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات
وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات
الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد
القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله
تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدر بها الامطار في اوقات الاستسقا وهي لاستدرار امطار المكاشفات
ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الما واستجرار الغيوم
من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها
بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة وترفع الحجاب

تشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار ما في الارض بحفر البئر اقرب واسهل من استنزال الماء
اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله جميع معارف
الايمان تذكرا فقال تعالى ليتذكر اولوا الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وهذا هو
علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق كلها مقدم
على الصبر عن الخواطر وقال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب
الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن
شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة
والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اعلى اللذات
ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة
لامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك
وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على
كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب
الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها
من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له
فطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الآلام وملحوق
بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه
قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة
العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده
ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة
فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق
بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقيل كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان
كافة

ملكين

الله

بها كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا
بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام اصلا فنادوا فيهم يا ايها
الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة
فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والقرآن والزبور وصحف موسى وكل كتاب
منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا
في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بدرك
بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا يعلمها نفس من النفوس والشيطان
يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم
له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول
الهموم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم كما يسلم ويتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس وضرب الله لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا
حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث
الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة يصير
عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسخره زمام الشهوة آخذا بمخنقه
الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية
بان يصير عبدا ومثل هذا لا يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك
لبعض الزهاد هل من حاجة فقال اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف فقال من انت
عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت
هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون
بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستقامة على الصراط المستقيم
فازوا في الدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية

ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه
والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ يصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الاخرة ومن كوشف
بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا تكفيه في العلاج
مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلثة امور احدها ان يهرب عن موضع
الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة
الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة
بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومطعم وملبس وقيام وقعود كان يعتاده وفاقا
لمقتضى جاهه ينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد
ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة
واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك
البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدا بترك البعض من ذلك البعض الى ان
يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة
بقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان
من يشاده يغلبه فاما ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه فاضفه الى
ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به
علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى التدريج
ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان
محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق
وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن العلم والصبر
عن اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سال الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال
الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله فقال لا قال فايش قال الصبر عن
الله

الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا
اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر
مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل لغنا الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل
هذا اخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره **الشطر الثاني من الكتاب في الشكر**
وله ثلثة اركان **الركن الاول** في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه **الركن الثاني**
في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة **الركن الثالث** في بيان الافضل من الصبر والشكر
الركن الاول في نفس الشكر **فضيلة الشكر** اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع
انه قال ولذكر الله اكبر وقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال
لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغنا والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شا وقال ويرزق من
يشا بغير حساب وقال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال ويتوب الله على من يشا وهو
خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام
اهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
واما الاخبار فقد قال عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروي عن عطا انه قال
دخلت على عايشة فقلت اخبرينا باعجب ما رايته من رسول الله فبكت وقالت واي شانه لم
يكن عجبا انه اتاني ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة
ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ما فتوضا فلم
يكثر صب الما ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه
فبكى فلم يزل كذلك حتى جا بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى علي اية

اي الشكر

في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الاية وهذا يدل على ان البكاء لا ينبغي ان ينقطع ابدا
والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبيا بحجر صغير يخرج منه ما كثير فتعجب فانطقه الله تعالى
فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار
فاجاره ثم راه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الان فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور
وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا يزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي
عنه عليه السلام انه قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة
قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله في كل حال وفي لفظ اخر الذين يشكرون الله على السراء
والضراء وقال عليه السلام الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب اني قد رضيت بالشكر
مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا
دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في
الكنوز ما نزل قال عمر فاي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر
باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر**
وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم
هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل
بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح
وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد
الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة
ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه
فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة وهذه الامور
لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان تعرف ان النعم كلها من الله
وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل
التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة
فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم

فهو موجود

عليهم السلام

اي في السراء والضراء والعسر واليسر والفقر والغناء والصحة والعلة

فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع
التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون
حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف الحمد
لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان
الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد
الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة بنفي الشرك
في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه
فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه
عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة
اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالكاغد وبالقلم ولا يشكرهما
لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم
ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطرين من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة
الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره
الى القلم والكاغد ولا يورث ذلك في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف
افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي
لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن
المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده وكل من وصل
اليك نعمة الله على يديه فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا
والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ان خلق الله
له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه
في العطا لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع نفسه بنفعك
فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك

والتبع قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعم ولا بالمنعم فلا يفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك ومنها بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهذا ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحرا فاخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه ويخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشي من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات فالاول لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته من معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجا لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون

فرح

فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام وهذا هو المرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشيا الحلوة فمن كان ذلك مريض بحكم مرضه فمن لم يكن من اهل هذا فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن اهل فرح بنعمة الله من هذا الوجه فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة نعمة هذه الاعضا والشكر باللسان باظهار الرضى عن الله وما هو مامور به وقال عليه السلام لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السوال فاعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتسائلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الريا باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شي الى عبد مملوك لا يقدر على شي فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلا وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى

فهو المبلي وهو القادر على إزالة البلا وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل وإظهار الذل للعبد
مع كونها ذلا قبيح قال الله تعالى إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق وقال إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة
الشكر وقد روي أن وفدا قدم على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر
فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد
الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك
وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي أصول الشكر المحيطة بمجموع حقيقته
فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض
أحوال القلب وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان
وقول القائل إن الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر
لا يشذ عنه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا إشارة إلى
معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى
حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم ولذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق
ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم
عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضا
عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن يظن أن ما ذكرناه طعن عليهم فإنه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها
لم ينكروها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا وأما أن يفرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان
هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وتقع بقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها فلسنا
نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شي

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب
حظ في الشكر فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد
به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في
صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا لهم إلا بشي من ذلك
وهذا

وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة
والإعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثنا والإطرا وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا
أو ساجدا فشكرنا إياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد ونركع
إذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها الوجه الثاني أن جميع ما نتعاطاه باختيارنا
فهو نعمة أخرى من نعم الله إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور التي هي أسباب
حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا
مركوبا آخر له وركبناه أو أعطانا مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى
شكر كما يحتاج الأول ثم لم يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله
تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع فاعلم
أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك
وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب
الشكر على ذلك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن
النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فإن قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى
ما أوحي إليهم فإني أعلم استحالة الشكر لله فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فإن هذا
العلم أيضا نعمة منه فكيف كان شكرا وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول
الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك
بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير
منها إلى لوائح فنقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه
الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شي
هالك إلا وجهه فإن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه
قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم
يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي
موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن

يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت
ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر
حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى
واثنى واشار الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هاهنا نظر الشيخ ابو
سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم لانه انما يحب نفسه
اشار الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف
اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده
من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان احبه
فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية
عن هذه الحال بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف
فني وطول ظله اربع اذرع ولعله يأكل في كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني
كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا
من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا
راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك امة نوح كانوا يضحكون عليه
عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون هذا احد النظرين
النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم
وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما
هو الثابت حقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم
به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا
وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود
الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث انه هو هو والموجد هالك وفان
واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون
باحدى

مطلب فناء النفس عند الصوفية

المعنى بعدم الرؤية القليل

لمو في العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لا يبصر بها فناء غير الموجود
الحق فاثبت موجودا آخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز
حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا وهذا القدر من اثباته التفاوت
والنقص من الوجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما
يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله فاذا لم ير الا الله فتكون قد بلغ كمال التوحيد
وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله دخل في اوائل التوحيد بينهما درجات لا تحصى فيها تتفاوت
درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي يحصل به انوار الابصار
والانبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان
لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون
وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح
بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له
ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز لكل الى شأو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات
ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك
من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط وكانه لم ير الا الله وافعاله
فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال
وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب
وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه
من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه
اذ راى ذلك نقصانا واقترب فقال انك كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني وهو المثنى عليه وان
الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقام الموحدين وهو ان لا يرى
الا الله وافعاله فيستعيذ من فعل بفعل وانظر الى ما ذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق
حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الحق الذات الحق ولقد كان عليه السلام لا يترقى من رتبة الى

مطلب معنى لا اله الا الله

اخرى الا ويرى بعدها بالاضافة الى الثانية وكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا
في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة
وكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن
كان هذا نقصانا بالاضافة الى اخرها وكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة قد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا
اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذا
تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبيا بعثوا
لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن
مشاهدة اخرى ومقام اخر يظهر في ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر
والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد بعد
منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك
ثم يكون له حالتان احديهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته
ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد
في ملكه لانه لا يتقوى على القيام بخدمته يغني عنه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام
عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع
الملك به وبمنافعه فمنزلة العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان المنزلة الاولى محال على
الله والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى
حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع
ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا
لاجل نفسه وكفره ان يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمل فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب
وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه
لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه
لعبده

مطلب في معنى قوله عم افلا اكون عبدا شكورا

لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها
وان كان هذا دون ما يبعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات
لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعمة ما يقدرون على استعماله
في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا الاية فاذن نعم الله الات يرتقي العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل
العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون
قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه
له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة
بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق الة للعبد ليتوصل به الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله تعالى
فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال
او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جاحد في غير محبة الله فالمعصية والطاعة يشملهما المشية ولكن
لا يشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء هذه الدقيقة سر القدر الذي
منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر
وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت
النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطا من الله تعالى ومن حيث انت
محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد
فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر
بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف
وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك
بانك شاكر اثبات نسبة لك وانت شيء ان خلقك خالق الاشياء شيئا وانت لا شيء اذا كنت انت
لنفسك شيئا من ذاتك فاما باعتبار النظر الذي جعل للاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان
قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى هذا اشار عليه السلام حيث قال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل فتبين ان الخلق مجاري قدرة

الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان
كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع
وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعيه جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث
الداعيه من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضا وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سببا للبعض
اي الاول شرطا للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق
العلم وخلق العلم شرطا لخلق الاراده والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه
شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياه ولا لقبول الارادة
الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل يمهد
شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجه التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم
قال تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شي فكيف نذم وانما
الكل الى الله فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف
وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله والله
تعالى مسبب الاسباب وهو مرتبها فمن سبق له في الازل السعاده ييسر له هذه الاسباب حتى تقوده
بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن
سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلما فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف
لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم
اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى
الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار
بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا ولا قاهر الا
الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطا عن اعين الغافلين فشاهدوا
الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك للواحد
القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبا
عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف نعوذ بالله من العمى والجهل فانه اصل اسباب

الملاك

مطلب في بيان حصر ما يحبه الله وما يكرهه

الملاك بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفه ما يحبه الله
اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز
ما يحبه عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الايات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين
الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفه
ذلك تبتني على معرفه جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه
القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمه الله تعالى في كل موجود خلقه
اذ ما خلق الله شيا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك
الحكمة منقسمه الى جليه وخفيه اما الجليه فكالعلم بان من الحكم في خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار فيكون
النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس
لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيره دقيقه وكذلك معرفه الحكم في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق
الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القران على جمله من الحكم الجليه التي تحتملها افهام
الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا
فيها حبا وعنبا الايه واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفيه لا يطلع عليها كافة
الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينه للسما لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى
انا زينا السما الدنيا بزينه الكواكب فجميع اجزا العالم سماوه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه
ونباته وحيواناته واعضا حيواناته لا تخلو ذره من ذراته عن حكم كثيره من حكمة واحدة الى عشرة الى
الف وكذلك اعضا الحيوان ينقسم الى ما تعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد
للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضا الباطنه من الامعا والمرارة والكليه والكبد واحاد
العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقه
والغلظ وسائر الصفات فلا تعرف الحكمه فيها كافه الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا
بالاضافه الى علم الله فما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن كل من استعمل شيا في جهة غير الجهة التي خلق
لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمه الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت
له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه وياخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم

فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقا ليبصر بهما ما في دينه ودنياه ويتقي بهما ما
يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريدا به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين
الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا
انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام
البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والما والهوا والغذا ولا يتم ذلك الا بخلق السما والارض وخلق ساير
الاعضا ظاهرا وباطنا وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي النفس المطمينة
بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيا
في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا
للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفا حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من
نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق
اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وساير حاجاته وقد يعجز عما يحتاج
اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه
ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب
الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او
الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشيا لا تناسب فيها فلا يدرى ان
الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها
يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم
بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين ساير الاموال
حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من
حيث انهما مساويان لشي واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان
في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا
غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل
ولحكمة اخرى وهو التوسل بهما الى ساير الاشيا لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما
الى ساير

الى ساير الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانما ملك كل شي لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو
احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شي هو في
صورته كانه ليس بشي وهو في معناه كانه كل الاشيا والشي انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له
صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمراة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة
الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه ويظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم
يطول ذكرها وكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكام بل يخالف الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله فيهما
فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه
لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولعمرو خاصة اذ
لا غرض في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة
للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات
بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هولا العاجزين بكلام سمعوه
من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم
والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوا حالا ممن كنز لان مثال هذا الا مثال
من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخسا الناس والحبس اهون
منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المايعات
عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المايعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به
النقود فمن لم ينكشف له هذا كشفا كشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في انية من ذهب
او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربوا على الدراهم والدنانير فقد
كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما
على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر
على ان يشتري به طعاما ودابة وربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه
بنقد لتحصيل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما

مطلب مهم

من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من
الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا
عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع
النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين
بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر
الوصول باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش
المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان
ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض
واخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم واخذه بعينه فلا نمنع مما
لا تتشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى
بمثله من الردي فلا ينتظم العقد فان طلب زيادة في الردي فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه
ونحكم بان جيدها ورديها سواء لانه انما ينظر الى الجودة والرداءة من ينظر اليهما في انفسهما وانما ينبغي ان ينظر الى ما تقصد به
لا غرض في عينه ولا ينبغي ان ينظر الى مصارفات دقيقة في صفاتهما وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود
مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما
بدرهم نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة
عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة
خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا
ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي
اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها
الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا
ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه
فاما من يطلبه بغير ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد الشرع بلعن المحتكر وورد
فيه من التشديدات ما ذكرناه في اداب كتاب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد
مسد

مسد الاخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان
النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد
واما جيد بردي فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل
الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم
الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع
ما اوردناه من الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات
اذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب
فانه خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد ان يضبطه بحد وتحديد هذا كان
ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة
البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد
يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص
فمعنى المعنى بكمال قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في
وجوه التحديد كما حد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حد شرعنا بكونه من جنس
المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداعي الى الحرام حرام فدخل التحريم بحكمه الحكم كما دخل اصل
المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة
وكفرانها بمثل هذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات
وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك
ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران اذ لا يتصور ان ينفك عنهما
وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يتناول به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر
وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين

اذ خلق الله لك اليدين وجعل احديهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف
والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوجك من اعمالك اليدين
الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار
وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل
وكذلك اذا بزقت مثلا في جهة القبلة او استقبلتها في قضا الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات
وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها
بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك
الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات
والى ما هي خسيسة كقضا الحاجة ورمي البزاق فاذا رميت بزاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت
نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدات باليسرى
فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي ان يكون بالاشرف فهو العدل
والوفا بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه
مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسيل عن سببه فقال لبست
المداس مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم
الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون
في ظلمات اطم واظهر من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال للذي يشرب
الخمر واخذ القدح بيساره قد تعديت من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن يبيع خمرا
في وقت الندا يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالفت من وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت
الندا ومن يقضي حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان يذكر تركه للادب في قضا الحاجة
من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحق بعضها في جنب البعض
فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكنه لو قتل بذلك السكين اعز اولاده لم
يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبيا والاوليا من الاداب وتساهلنا
به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة

ونقصان

ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يوثر في البعد بنقصان القرب
وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين
وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار
وخلق اليد اما اليد فلانها لم تخلق للعبث بل للطاعة او للاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر
فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الما وخلق فيه قوة الاغتذا والنما ليبلغ منتهى نشوه
فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول
عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فدا لاغراض الانسان فانهما جميعا
فانيان هالكان فافنا الاخس في بقا الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة
بقوله تعالى وسخر لكم ما في الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا
لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان
واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الما وقام
بالتعهد فهو اولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات الارض لا بسعي ادمي اختص بغرسه
او بغرسه فلا بد من طلب اختصاص اخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان
يكون هو اولى به وعبر الفقها عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما
في السماوات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق
عباد الله والارض مايدة الله وقد اذن الله لهم في الاكل من مايدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مايدة
لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجا عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان
اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها
لا تفي بحاجة العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص
يسعد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان يفهم امر الله في عباده
ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه
فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته
وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد

كل

مطلب سبيل الله طاعته وزاد الخلق فيها الاموال

فتأذى بها لان مقادير الحاجات خفية وفي النفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مخيلة وآجال
الاعمار غير معلومة ونكلف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل
كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك
لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر
الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ قال ان
يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من
عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان
فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود
الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد
الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة
الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق
في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا
يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذا يقصر الاعمار دون استقصاء مباديها
فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من عرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير
فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد
سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة وكل فعل
وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكلما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق
الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم
الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا
اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا
فيما سبق الى تلويحات مباديها ونحن الان نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها
وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في
جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة يصدر عنها الخلق والاختراع

وتلك

تمام التحقيق في باب الشكر

٩٠

وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى تعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها
وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن
ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش
عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم
لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا
ضعيفا جدا واستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي
القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر
انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي
سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات
المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة
ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون
الغاية وكان لكل واحد نسبة الى الصفة المسماة مشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة
والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته
عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة وكان لكل واحد خاصية اخرى في النسبة
توهم لفظ المحبة والكراهة منها امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده
الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيقاف
حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم
في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين
نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين
استوقف بهم اسباب الحكمة دون غاياتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل
فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة
زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له
عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل

الله اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن
اوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف
وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال وهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى
الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازال
وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق
بحت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر ففاضت انهار
المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدرات بعضها على
بعض لفظ القدر وكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي
الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا
اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق
ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم
اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسال عما يفعل وهم يسالون وامتلات مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله
في السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا
على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تادبوا
بادب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار
فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم
فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء ويقتبسوا من
بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح
الليل فيحيى به حياة يحتمل حاله وشخصه وان كان لا يحيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس
وكونوا كمن قيل فيهم   شربنا شرابا طيبا عند طيب   كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضله   وللارض من كاس الكرام نصيب   فهكذا كان اول هذا
الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا
تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد

من السيف

من السيف وادق من الشعر لم يقدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا
دق المجال ولطف لطف الماء مثلا لم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة
ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة المشي عليها الى المشي على ما
هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان تتعلم فاما المشي
على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي عليه السلام ان عيسى يقال انه مشى
على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على هذا الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة
والرضى والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر من ذلك وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا
الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوا وكانت عبادتهم غاية الحكمة
في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب
مطاع مكين ويبغض الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد
الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف للعباد دون
بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية
فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى
من يسقيه الشراب والى من ينظف فناء منزله من التراب وكان له عبدان فلا يعين للكنس الا اقبحهما
واخسهما ولا يفوض حمل الشراب اليه الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا
فعلي فلم يكون بفعله على ذوق فعلي فانك اخطات اذ اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي
صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما
للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك
وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا
تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك من عالم الشهادة
ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي ينظر
ليلا الى لعبة المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة

غضب

كله

من خرق لا تتحرك بأنفسها إنما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في
يد المشعوذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص
وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون
تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعوذ الذي الأمر إليه والجاذب بيده فكذلك
صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها
والعلماء يعلمون أنهم يحركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء
الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء
متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم
شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض
هي بأيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش
ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر
عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من الأمر والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وهذه أمور
لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين
في العلم بعلوم لا يحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن فقال لو ذكرت
ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر ولنقتصر على هذا القدر
فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع إلى
مقاصد الشكر فنقول إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا في إتمام حكمة الله فأشكر
العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب وما منهم إلا له مقام معلوم
وأعلاهم في رتبة القرب ملك اسمه إسرافيل وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد
أصلح الله بهم الأنبياء وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم
أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا عليه السلام إذ أكمل

الله به

الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح
الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل
لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا عليه السلام
كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من
الأنبياء ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم إلا فيهم ومن عداهم فهمج
رعاع واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا قال عمرو
بن العاص إمام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي عليه السلام سيكون عليكم أمراء تعرفون
وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم
الصبر وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع
ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر
الناس السلطان فقال مهلا إن لله تعالى نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى
سلامة أوكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة
على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون **الركن الثاني** من أركان الشكر ما عليه الشكر
وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص
ويعم فإن إحصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر
الآحاد **بيان حقيقة النعمة وأقسامها** اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب
ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة
وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط
محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل
سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة
صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها
بتقسيمات القسمة الأولى أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا

والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما يضر فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويولم ولكنه ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس والنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار ويظنه الجاهل نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدوا البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامه فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلا والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكمال عقله يلحظ العاقبه والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي بجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو

قسمة ثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضره ككفاية من المال والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى ما هو مؤثر لغيره والى ما هو مؤثر لذاته ولغيرها فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضا لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت والحصى بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات

سريعة

الوصول اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفون عليها بالربوا ويظنون انها مقصوده ومثال هولا مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغوفا بتعهد الرسول في مراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامه فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقا الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفا لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد لسلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامه فاذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا هو نعمة ولكنه دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعباده ومعه الكفايه التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعباده فيكونان بلا في حقه ولا يكونان نعمة

قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمه فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمه واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فتتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل والنقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محاله والضرب الثاني المقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتاكله والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافه الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقا المال في البحر

عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس بنجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق
في الايصال الى السعادة الاخروية واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا
كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفرا فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه وتنقسم بمقابلة اعلم ان
النعمة نعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها او مشاركته
لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما
العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها
القلب لاختصاصه بصفة نعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان
العلم لا يستلذه الا العالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتسمين
باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ودائمة
لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور
ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الاباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو
مصاب في عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة
بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق
والمال يسرق والولاية تعزل والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلطان بالعزل
فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ
وجميل في كل حال وابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى
المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم
الذوق فمن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد
امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما
لقصور فطرتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة
العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته
للبن يدل على انه الذ الاشيا فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما من لم يحي بعد باطنه
كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله
تعالى

تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله لينذر من كان حيا اشارة الى من حي حياة باطنة
فكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحيا ولذلك كان الشهدا احيا
عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض
الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلا وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات
والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها
ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة
الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين وان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات
عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا
ينال تمامها الا بخروج استيلاء الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة
واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قمعها الا
الصديقون واما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون
خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة
ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة
لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا انقسم القلوب الى اربعة
اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والتفكر فيه وقلب لا يدري ما
لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب
اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والتفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع
الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلذذ
بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة
به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا
وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبيا
فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا
كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون

وكما لا يكون النابغ في الملك والجلال إلا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فالدنيا بالإضافة إلى
الآخرة فإنه عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن
الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود
فإنها أولى في حق رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا ثم تعرف بها صورتك التي هي
قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في المعرفة وانقلب المتأخر متقدما
وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة
محاكي لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من تيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به
إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الخلق به فقيل فاعتبروا يا أولي الأبصار ومنهم من عميت
بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا
شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراكها حجابا فإذا رفع الحجاب بالموت أدرك وعن هذا
أظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك مرة
بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين
قد يكون في الدنيا ولكن في حق من توفر حظه من نور اليقين ولذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون
الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن العمل الصالح لملك الآخرة لا يكون
إلا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا

تتمة سادسة حاوية لمجامع النعم

اعلم أن النعم تنقسم
إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فإنها سعادة الآخرة
ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي
النعمة الحقيقية ولذلك قال عليه السلام لا عيش إلا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس
وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون إلى
سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة
فقال عليه السلام وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب
الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز
إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب
الخارجة

الخارجة عن النفس ولكن الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذا أربعة أنواع النوع الأول
وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان
إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وإلى علم المعاملة وحسن الخلق
ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات
والإقدام حتى لا يمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله تعالى
على لسان رسوله عليه السلام إذ قال ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف
عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وإنما
العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فإذا الفضائل الخاصة
بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربع علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر
إلا بالنوع الثاني وهي الفضائل البدنية وهي أربع الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه
الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه
وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب
التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربع هداية الله ورشده وتسديده
وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر إذ قسمناها إلى أربع وقسمنا كل واحدة إلى أربع وهذه الجملة
يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فحاجة سعادة الآخرة
إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل للوصول إلى سعادة الآخرة ألبتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سعى وليس
لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الأخلاق
إلى صحة البدن ضروري وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة
مثل المال والعز والأهل فإن ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة فإن قلت فما
وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه الأسباب
جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه
كفاية كساع إلى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال عليه السلام نعم المال

مطلب في نعيم الدنيا

الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق
الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى
تشغله عن الذكر والفكر ولا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكوة والصدقات
وافاضة الخيرات وقال بعض الحكما وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له
قيل له زدنا قال الامن فاني رايت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رايت المريض
لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا
ولكنه من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافى في بدنه امنا في
سربه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه
الحاجة اليهما اذ قال عليه السلام نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل
انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوايد الاهل
والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي

مطلب في فضل الغناء

فيتيسر له بسببهم من الامور الدنياوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك
من ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه
الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يوذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان
توامان وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب
كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه وكما يحتاج
الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذيب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع
الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبيا الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين
ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزاينهم او الاستيثار والاستكثار
في الدنيا عند اتباعهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدايه
ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت اقل عليه من نعمته عليه حيث كان يوذى ويضرب
حتى افتقر الى الهجرة والهرب فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل من النعم ام لا فاقول

نعم

مطلب افضل السعادة طول العمر

نعمة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش ولذلك كان عليه السلام من اكرم ارومة في
نسب ادم ولذلك قال عليه السلام تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال
المراة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا
بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ايمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين
بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضايل البدنية فاقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى
القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بها ولذلك قال عليه السلام افضل السعادات طول العمر
في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة
عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغنا ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها
واما في الاخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى
الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ
هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضا
حاجات الدنيا فمعين على الاخرة بواسطتها والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس
لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك
عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة
الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في
النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل
قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر
فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه
حسن الاسم وقال الفقها اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال
تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك
انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضا وتناصف
خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها فان قلت فقد ذممت المال

والجاه والنسب ولا يمل ذو الولد في حين النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله وكذلك
العلما وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال
على رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابنا ما يحسنون وقيمة كل امر ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه
فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة
والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم
ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم يعينه على امر الاخرة
لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية فيها ترياق نافع وسم ناقع
فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت
نعمة وان اصابها السوادي الغمر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر
واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات
البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا
ومدحه رسوله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك مدح الجاه والعز
اذ من الله تعالى على رسوله ان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهذا هو المعني بالجاه
ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الريا فهو ذم الجاه اذ الريا
مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم
جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم
المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في
اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان
لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمن عليه السلام فالناس
كلهم صبيان والاموال حيات والانبيا والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم
ولو كان له ولد يريد بقاه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به
ولده واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد
فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق
ولا يستضر

ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن
الحية اذا راها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو
منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة
وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر بمراى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي
ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما راى اباه يحوم الساحل فواجب عليه
ان يبعد من الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبيا كالصبيان
الاغبيا ولذلك قال عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش
وانا اخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في
المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق
فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك
ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار
منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل
الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما
يحمله فاما ان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقا فلا باس بالاستكثار وقوله
عليه السلام ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي
هذا الحديث ويعمل به ياخذ مائة الف دينار في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة
ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنيا يدخلون الجنة بسبب استاذنه عبد الرحمن في ان
يخرج من جميع ما ملكه فاذن له فنزل جبريل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسوا العاري ويقري
الضيف الحديث فاذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها
ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها
ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيا في حق هولاء وهم
الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة
الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة

عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضا الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما
سعاده وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص الاسم بما يوافق السعاده من جملة قضا الله
وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل من الحق وكذا الارتداد ولا خفا
بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا كان عون الله للمرء عدة فاكثر ما يجني عليه اجتهاده
واما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعاده الا بها لان داعية الانسان قد يكون مايلة
الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه
مجرد الاراده فلا فايدة في الاراده والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا
الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا ولكن الله يزكي من يشا وقال عليه السلام ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله اي بهدايته
فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية ثلث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر
المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله تعالى به على عباده كافة بعضه
بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصاير العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا
الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار ومن جملة
المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة
وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتدا والهداية الثانيه
وراء هذه الهداية العامه وهي التي يهدي الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة
المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله والذين اهتدوا
زادهم هدى والهداية الثالثه ورا الثانيه وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية
بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل التكليف وامكان
تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى
بتخصيص الاضافه وان كان الكل من جهته تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة
في قوله او من

مطلب الهداية

ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه واما [illegible] جمعه
[illegible] كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم
رشده من قبل [illegible] حركة الدنيا
فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجاره [illegible] مع ذلك [illegible]
يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك [illegible]
[illegible] الرشد بهذا
[illegible] الى الصوب
المطلوب [illegible] الهداية مجرد [illegible]
[illegible] والرشد [illegible]
[illegible] فالهداية محض التعريف والرشد [illegible]
وتحريك [illegible] السعاده واما التاييد
[illegible] الباطن ومساعدة [illegible]
[illegible] قوله تعالى ايدتك بروح القدس [illegible]
[illegible] من باطنه [illegible]
بقوله تعالى [illegible] برهان ربه [illegible]
[illegible] والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي [illegible]
[illegible] القاصر [illegible]
[illegible] الاعدا و [illegible] كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا [illegible]
تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين وذلك رب الارباب
[illegible] الاسباب وان كانت تلك الاسباب طويله لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها
انموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها [illegible]
نعم الله تعالى وتسلسلها [illegible] الحصر والاحصا اعلم انا جمعنا [illegible]

صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في رتبة المتأخرة من هذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول في نعم الله في خلق أسباب الإدراك اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ومس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا وأن يكون له هذا الحس فإنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرزت فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يماس بدنك فتحس به فتجتذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد

تلك الجهة

تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات ولأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجتذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشاركك فيه البهائم إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما يستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس فتكون الحواس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة قد وكلت واحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك

تأتيه في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة
من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فأما اطلاعه على ما فيها فلا ولكن
اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع
منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح
له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام
التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظن انا استوفيناها
فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد
ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كأنها نسج
العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة
من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وصورة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة
من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا
في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفى في حكم الله تعالى وانواع
نعمه في حس البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف
ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به
الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر
معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى
البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة
ونفرة عما خالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام
وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتتغذى فتبقى
بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدارا
اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها كالزرع فانه لا
يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة
فيسقيه

فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فتبقى به كذلك خلق
لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم
وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة
اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق
وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها
فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما
وكيفية قسمة اجزائها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله
تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله
تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك
فانه تأتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع ما يضادك ولا يوافقك
لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يديك فيحتاج
الى [illegible] ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوا
الا الى [illegible] في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله لك ارادة اخرى مسخرة
تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة
الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا تغنيك في الاحتراز
عنها ما لم يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم
كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر
تفصيلا اوفى من هذا **الطرف الثالث** في نعم الله تعالى في خلق القدرة والآلات المحركة
اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الطلب او الهرب وهذا لا يغني فيه
ما لم يكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد
رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات
على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله لك الاعضاء التي
تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم

للدواب ومنها ما هي للدفع كالسلاح [illegible] ال والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا
فمنها ما كثر أعداؤه وبعد غذاؤه و[illegible] إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له
أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل لنقاس
عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا يكفي ما لم تأخذ بيد فافتقرت إلى آلة باطشة
فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات
فتمتد وتنثني إليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف
بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربع الباقية
ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن
ضممتها وبسطتها كانت لك مغرفة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب وإذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك
آلة القبض ثم خلق لها أظفارا وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى يلتقط بها الأشياء
الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها برأس أظفارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك
هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد أن يكون من الظاهر دهليز إليه حتى يدخل الطعام
منه فجعل الفم منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكمة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ثم إن
وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام
فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا على السفلى لتطحن بها
الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم
الأسنان إلى عريضة طواحن كالأضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب
ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دور الرحى
ولولاه لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي
الأسفل متحركا حركة دورية واللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل
رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله إذ يدور
منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت
الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها
وكيف

أو كيف تتصرف باليد داخل الفم فانظر كيف أنعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب
الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى هذا مع
ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب أنك قطعت الطعام
وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يزلق إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله
تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام وانظر
كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعيد فيثور الحنكان للخدمة وتنصب اللعاب حتى
تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله إلى المعدة
وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر
كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق
وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهليز المريء فإذا ورد الطعام على
المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما ودما على هذه الهيئة بل لا بد أن يطبخ طبخا
تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق
عليه الأبواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة
إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة
إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في
تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية
فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام
فيها فينتهي إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة
في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد
فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح
لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد
في جميع ما يطبخ أحدهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والأخرى شبيهة
بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة

والطحال وقد جعل لكل واحد عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية
ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لمائيته من
المائية ولولاها لما انسرى في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضا فخلق الله تعالى
الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخلا
في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى تجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق
الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية
فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلث نقيا من كل ما يفسد الغذا ثم ان الله تعالى اطلع من
الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله
من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضا حتى تصير العروق
المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا يدرك بالابصار فيصل منها الغذا بالرشح الى
ساير الاجزا ولو حلت بالمرارة افة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور
والحمرة وان حل بالطحال افة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية
كالبهق والجذام والماليخوليا وغيره وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقا وغيره
ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع في هذه الفضلات الثلث الخسيسة اما المرارة
فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق اخر الى الامعا ليحصل منه في ثفل الطعام رطوبة مزلقة
ويحدث في الامعا لذع يحركها للدفع فينضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق ويكون صفرته لذلك
فاما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم
شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل اما
الكلية فانها تتغذى بما في تلك المائية من دم ويرسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر
من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى
القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضا الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب
العروق السواكن من الكبد الى ساير البدن وبواسطتها يصل الغذا ثم كيفية تركيب الاعضا
وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام

وكل ذلك

وكل ذلك يحتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الاف من العضلات والعروق والاعصاب
مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شي منها الا وفيه حكمة او اثنتان
او ثلث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك من نعم الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك
عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف
من نعمة الله تعالى في الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه
يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيقعص ويمرح فاذا لم تعرف انت من نفسك
الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله تعالى عليك وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة
من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من
التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل
من قطرة في بحر الا ان من علم شيا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضا وقوام منافعها وادراكاتها وقواها
ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة
العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزا البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزا ما يحتاج
اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى
جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل
السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله
جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذا
له كالزيت والحياة الظاهرة في ساير اعضا البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت
وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفا فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان
الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم
الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق لفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذا فانه
لا يقبل الغذا الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان
السراج تارة ينطفي بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب خارج كريح عاصفة فكذلك الروح

تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفا السراج يفنا الزيت او
بفساده لفتيلة او بريح عاصفة او باطفا انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون
كل ذلك بقدر فكذلك انطفا الروح وكما ان انطفا السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله
الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفا الروح وكما ان السراج اذا انطفا اظلم البيت كله فالروح
اذا انطفا اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم اخر من عالم نعمة الله وعجائب
صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا للمنكر
بالله تعسا وسحقا للمكفر بنعمته سحقا فان قلت قد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن الروح فقال ولم يزد على ان الروح من امر ربي فلم يصفه لهم على هذا الوجه
فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول
بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطبا روحا وقد عرفوا صفته ووجوده
وكيفية سريانه في الاعضا وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضا به حتى اذا خدر بعض
الاعضا علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب
ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في مشباك العصب وبوا
سطته
يتادى من القلب الى سائر الاعضا وما يرتقي اليه معرفة الاطبا فامره سهل نازل واما الروح
التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر الجسد فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه
ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية
لا يحتمل العقول وصفها بل يتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها
بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات ويتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة
بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شي من وصفه بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل
يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد
خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما لا يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم
يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام
شريف

شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان
يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال
وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا
لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتها الى ما وراه من المشاهدات العالية ولذلك
قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه واني يصادف هذا في خزانة الاطبا ومن اين للطبيب ان يلاحظه
بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة
الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن انه راى الملك
ولا يشك انه خطاه فاحش وهذا الخطا الحزم منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها
يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه
وسلم ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى من حقيقة هذا الامر
شيا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكره
في قوله يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
ولنرجع الان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله
في الات الاكل **الطرف الرابع** في نعم الله تعالى في الاصول التي منها يحصل الاطعمة وتصير صالحة لان
يصلحها الادمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب
متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية
فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا
وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد
وتضاعف حتى تفي بجميع حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق
فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذا لانه يغتذي بالما ويجتذب
الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر الات النبات في اجتذاب
الغذا الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام
مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شي بل تحتاج الى شي مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد

لانه ليس يحيط بها الا الهوا وبمجرد الهوا لا يصلح اغتذايها ولو تركتها في الما لم ترد ولو تركتها في
ارض لا ما فيها لم ترد بل لا بد من ارض فيها ما يمتزج ماوها بالارض فتصير طينا واليه الاشارة بقوله
فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الما والتراب اذ لو تركت
في ارض ندية صلبة ومتراكمة لم تنبت لفقد الهوا فيحتاج في تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل
الهوا اليها ثم لا يتحرك الهوا اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهوا ويضربه بقهر وعنف على الارض
حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما الالقاح في ايقاع الازدواج
بين الهوا والما والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتا شات فيحتاج الى حرارة
الربيع والصيف فقد بان احتياج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد يحتاج
الما ليساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر
وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف
خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالما
ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع [illegible] في حسب الحاجة وانظر كيف
خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك
الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاوها واما
الحرارة فانها لا تحصل بين الما والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها
مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر
عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع
عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر
وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها
بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وساير الكواكب
عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة ويعرف
ترطيب القمر بان تكشف راسك له في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما
يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السما

فقد سخر

فقد سخر لنوع فايدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة
البشر باحصايها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا
باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضا بدنك عضو
الا لفايدة فليس في اعضا بدن العالم عضو الا لفايدة والعالم كله كشخص واحد واحاد اجسامه
كالاعضا له وهي متعاونة تعاون اعضا بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان
تظن الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف
للشرع لما ورد النهي فيه عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما
ان تصدق بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها
وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا يشترك كافة الخلق
في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبيا اندرس ذلك
العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا
لاثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق
ولكن دعوى العلم بتلك الاثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب
غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهوا
لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة حمي الهوا على طلوع الشمس واذا سالت عن تغير
وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا ساير
الاثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة والمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة بعضها معلومة
للناس كافة كحصول الضيا والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام بشروق
القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرا قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا
هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات
على ان يعرف لون السما وضو الكواكب وذلك مما يعرفه البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو

الذي يسبح بها سيلته فتلك في ملكوت السموات والافاق والانفس والحيوانات والنبات
عجايب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد
الوقوف على عجايب علمه حبا له فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل
تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب
من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده كما اذا
رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من الاعيان فاذا المقصود
ان غذا النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة
ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها الا بملايكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب
بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذا
النبات **الطرف الخامس** في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة
كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس
منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر
كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص المال وشهوة الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيا
بل يجمعون فاما ان تغرق بها السفن او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فياخذها
السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدايهم لو عرفوا فانظر كيف سلط
الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدايد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون
بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب اليك
وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها
للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة
والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت
الاعبا الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات
في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما يحتاج اليه الحيوانات من اسبابها
وادواتها

وادواتها وعلفها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق
الحاجة واحصا ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز **الطرف
السادس** في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات
لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقا
البعض وابقا البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصا ذلك في كل طعام تطويل فلنعين رغيفا واحدا
ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القا البذر في الارض
فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع
اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية
ثم الطحن والعجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص
القايمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى حاجة الحداد
الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل
الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك
يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدي من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الما الى
اخر الاعمال من جهة الملايكة حتى ينتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة
الاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان
في تلك الالات حتى ان الابرة التي هي الة صغيرة فايدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا يكمل
صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابار خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل
مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به
البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة
قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر الى المقراض وهما جلمان متطابقان
ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشي معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه
بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر

وإلى تحصيل الآلات التي بها تعمل الحرف وعمر الواحد عمر نوح ولو بقي أكثر العقول لقصر عمره عن
استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها فسبحان من الحق ذوي البصائر بالعيان
وسكان من منع التبيين في هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلد عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن
الحجام الذي هو أخس العمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ما يصيبك من الأذى وكيف
يضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به
حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

الطرف السابع

في إصلاح المصلحين اعلم أنه لولا الصناع المصلحة للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت
طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم
مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة
عليهم ولو أنفقت ما في الأرض ما ألفت بين قلوبهم ولأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا
وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات
وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون
فيها ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي إلى التقاتل والتنافر
فانظر كيف سلط الله السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا
حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلاد
كأنها أجزاء شخص واحد يتعاونون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة
والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون
حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار
الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم
تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف
بعث الأنبياء حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين
الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه

ما اهتدوا به

ما اهتدوا به إلى صلاح الدنيا فضلاً عما أرشدوهم إليه من صلاح الدين وانظر كيف أصلح الله الأنبياء
بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين
الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات
الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة والسلطان
يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون
الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب
وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله ولولا عزله
إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنا
عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا
وإن سكتنا فبقهره انقبضنا إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى لأنا في كل لحظة من لحظات
العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحمد لله الذي
ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار

الطرف الثامن

في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمه في الملائكة بإصلاح الأنبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي
إليهم ولا تظنن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب
مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف
وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية
والإرشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يتغذى إلا أن يوكل به
سبعة من الملائكة وأقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم
جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دماً في آخر الأمر ثم يصير لحماً وعظماً فإذا
صار لحماً وعظماً تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك
بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه
لا يصير طحيناً ثم عجيناً ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً

وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد
وقد اسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان يغفل عن نعمة الباطنة فنقول لا بد لذلك من
ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر يمسك الغذا
في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم او العظم او العرق
ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذا ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب
صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير
في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا
يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذا على انف الصبي ما يجمع
على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها
والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد
منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما عظم بعض المواضع وضعف بعض المواضع
بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وساير بدنه
من الغذا ما ينمو به الا الى احد الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر
جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع
بنفسه البتة فرعاية هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان
الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه
هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون
الغذا في باطنك ولا خبر لك منهم وكذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزا
كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم
من الملائكة على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السموية من حملة العرش
والمنعم على جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت
والعز والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة
في الملائكة الموكلين بالسموات والارض واجزا النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر
وكل سحاب

وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فهلا
فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا
ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الما عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا والى
من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور
سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس
ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه
خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله مثال
الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان
الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد
تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن
والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان
واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله
مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على
الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم ولاجرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون
الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف
في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة
فيهم يمكن ان يشبه باطرافك لك فانها مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد
واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا
باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة
فتحا وانطباقا والملائكة عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله تعالى عليك في الملائكة الارضية
والسماوية وحاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم
نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم فاذن قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة

ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة
واضمار الشر للناس الى غير ذلك من اثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح
شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب
غض البصر فقد كفر كل نعمة لله عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى
حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه
وان استمتع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات
ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها ان يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد
يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا
للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله
في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو اطبق لم يبصر
فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا
من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد
خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالصيقل للمراة فيطبق مرة او مرتين وقد انصقل
الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له
يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقته ليصقلها عن الغبار فاذا تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم
لا ذلك يستدعي تطويلا يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان
وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله في
الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا
ولا الغذاء الا بالماء والارض والهوا والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شي من ذلك الا بالسموات
ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشي الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء
البدن بعضها ببعض فاذن قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى
فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة
التي

التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل
شي حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة
الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع
السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله
تعالى الى ايوب عليه السلام ما من عبد [illegible] فاذا شكر [illegible]
[illegible] الشاكرين [illegible] فكفى بالشاكر
[illegible] الشكر [illegible] وكما عرفت
ان في كل طرفة عين نعمتين [illegible] فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج
الدخان المحترق من القلب ولولا خروجه لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد
متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه واليوم والليلة اربع وعشرون
ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة
آلاف آلاف نعم في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام
حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك علي في كل شعرة من
جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله
تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم
والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع بصره على شي ولم يلم خاطره بموجود
الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة
فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا
نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة
في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين
الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس
بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا

فلا تعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهوا عنهم ماتوا
ولو حبسوا في بيت حمام فيه هوا حار او في بير فيه هوا ثقيل برطوبة الما ماتوا غما وان ابتلى واحد منهم
بشي من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على
ان يسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان يشكر من النعمة في
بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان يعمى عنه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره
وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق بها وبذلها في جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة
وهذا الجاهل مثل العبد السو حقه ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منه فان
ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق
الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى
بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم
فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين
والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف قال لا فقال اما تستحيي
ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكى ان بعض القرا اشتد به الفقر حتى ضاق
به ذرعا فراى في المنام كان قايلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار
قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف وانت تشكو
فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفا وفي يده كوز ما يشربه فقال عظني فقال لو لم
تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال ولو لم
تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يسوى شربة ما فبهذا يتبين
ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ما عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت
الطباع مايلة الى اعتداد النعمة الخاصة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر
اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة
او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه
فيها احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من

عبد الله

عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل ما يسال الله العقل وان
من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس
فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو
نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري
فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى
من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريا عنها فاذا لم يشتغل بذم
الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ واما العلم فما من احد
الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو انكشف الغطا حتى اطلع عليه
من احد الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد
من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر
القبيح واخفى ذلك عن اعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلث من النعم خاصة
يعترف بها كل عبد الا وقد رزقه الله في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده
او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او في ساير محابه امورا لو سلب ذلك
منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا
وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان
كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض به بل له امور لا يبدلها باحوال
الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به
الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذن حاله احسن من حال غيره وان كان لا يعرف
شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله تعالى عليه
نعمة ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر
الى عدد المغبوطين فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر
بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من دونه
ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها

يعتقد انها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من هو فوقه فلم لا يكون نظره
في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف
لا يلزمه الشكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين
الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه
لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى
على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك
ولذلك قال عليه السلام من لم يستغن بايات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال
عليه السلام ان القران هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من اتاه الله القران
فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزا بايات الله وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران وقال
كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا اغنيته عن ثلثة لقد اتممت عليه نعمتي
عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال

اذا القوت ياتي لك والصحة والامن ... واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن

بل ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عليه السلام عن هذا المعنى
فقال من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
ومهما تاملت الناس كلهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون
نعمة الله تعالى في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم
المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء
من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق والمغرب من اموال واتباع وانصار
وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي
به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الاخرة بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات
في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا
تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا
كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا المها بلذتها ولا فرحها بغمها
هكذا

هكذا كانت الى الان وهكذا تكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجتلب بها العقول الناقصة
وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليه واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب
الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب
قائم وكل ذلك باغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة
سلم جميع عمره فهكذا وقعت ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول المعرض عن الدنيا انما لم
اصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتالم
المعرض تفضي الى لذة في الاخرة وتالم المقبل يفضي الى الالام في الاخرة فليقرا المعرض عن الدنيا على نفسه
قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق بجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة
والعامة فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله فعساها تشكر فاقول
اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تعالى العامة واما القلوب
البليدة لا تعد النعمة نعمة الا اذا اشعرت بالبلاء فيها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان
بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود وكان يحضر دار
المرضى ليشاهد انواع بلاء الله عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره
ببلاء الامراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله
تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم
ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من
اطاع فيزيد في طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء فيقول كنت اقدر على
اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر
فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر
الى ما اشتهى اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال
في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود
من الدنيا للاخرة فهذا علاج القلوب الغافلة لتشعر بنعمة الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع

بن خثيم مع تمام استبصاره ليستعين بهذا الطريق تاكيدا للمعرفة وكان قد حفر في داره قبرا وكان
يضع غلا في عنقه وينام في لحده ويقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت
ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر ان
تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على
النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر
وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوايج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال
وقال سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام الركن الثاني

الركن الثالث

من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالآخر

بيان اجتماع

الصبر والشكر على شي واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة ان لله تعالى في كل موجود نعمة وظاهر هذا
وهذا يشير الى ان البلا لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلا موجودا فما معنى
الشكر على البلا وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلا فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور
الشكر على البلا وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما
متضادان وما معنى ما ذكرتموه من ان لله في كل ما اوجد نعمة على عباده فاعلم ان البلا
موجود كما ان النعمة موجوده والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلا لانهما متضادان
ففقد البلا نعمة وفقد النعمة بلا ولكن قد سبق ان النعمة ينقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما
في الاخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى واما في الدنيا فبالايمان وحسن الخلق
وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده
من وجه فكذلك البلا ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الاخرة فالبعد من الله اما مدة
واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلا المطلق واما
المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلا التي لا يكون بلا في الدين بل في الدنيا فالشكر
المطلق للنعمة المطلقة اما البلا المطلق في الدنيا فقد لا يومر بالصبر عليه لان الكفر بلا ولا معنى
للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد
لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتالم بها بسبب غشية او غيرها فلا صبر عليه
والعاصي

ولو ترك الانسان الماء طال العطش عليه بالصبر حتى عظم المه وفات الدرس

والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كلما يقدر الانسان على دفعه فلا يومر بالصبر عليه
بل يومر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس
بلا مطلقا بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الشكر والصبر فان الغنى
مثلا يجوز ان يصير سببا هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله ويقتل او لاده والصحة ايضا كذلك
فما من نعمة من هذه النعم الدنياوية الا ويجوز ان يصير بلا ولكن بالاضافة اليه فكذا ما من بلا الا ويجوز ان
يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد يكون الخير له في الفقر والمرض ولو صح بدنه
وكثر ماله لبغى وطغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال عليه السلام ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه
وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن
الخلق فانها يتصور ان يكون بلا في حق بعض الناس فيكون اضدادها اذن نعما في حقهم اذ سبق ان
نعمة المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الامور بلا
ويكون فقده على نعمة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش
وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع
لطال المه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه
اذ لو عرفه ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره
قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله وهو يضطر الى ايذايه واهانته ولو عرفه واذى لكان
اثمه اعظم لا محالة فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن اذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى
امر القيمة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكباير وكل ذلك نعمة لان هذا الجهل
يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله
في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض
الناس وهي ايضا قد يكون نعمة في حق المتالم فان لم يكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه
يد نفسه ووشمه بشرته فانه يتالم به وهو عاص فيه والم الكفار في النار فهو ايضا نعمة ولكن في حق
غيرهم من العباد لا في حقهم فان مصايب قوم عند قوم فوايد ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به

طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة انما تتضاعف اذا تفكروا في آلام
اهل النار الا ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة
ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن
زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق
شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق الله البلاء ايضا
نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع
فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا
صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر
فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا
خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان
يكون اكبر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ما ذا كان يرده ويحجزه فليشكر
اذ لم يكن اعظم منها الثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رحمه الله دخل اللص
بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ما ذا كنت تصنع
ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه
ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم
الرضا به واذ ارجو الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه
يقول له اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده
على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي ان يقوم مرات
وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله تعالى
الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي على وسطه على وسطك ما ذا كنت تصنع
فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى
انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة فاقتصر على عشرة
فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احدهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض
الشيوخ

الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه
السجدة فقال كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء
فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح
وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبي له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين واما العاصي فمن اين يعلم ان في العالم من هو اعصى منه ورب خاطر
بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح
ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم
لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا
وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب
الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصائب الآخرة تدوم وان لم تدم
فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت
عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب
ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة
والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع
الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب
الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض
ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب
وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد
يكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه
فالملحدون غدا يتمنون ان يكونوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء
من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن
بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكر عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد

مطلب نفيس

مطلب من عجل عقوبته في الدنيا فلا يعاقب في الآخرة

وعدا لشكر العباد على البلايا اذا رأوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه
على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء تأديب من الله وعنايته بعباده اتم
واوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال
لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر عليه السلام الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى
للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له والوجه الثاني
ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على
وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه
فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن
اليها ولم يأنس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن
قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحياة
الدنيا ورضي بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها
والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري اليه الشرك الخفي بل الموحد المطلق
هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما الالم فهو
ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء
نافعا بشعا وهو مجانا فانك تتألم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء
في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة
وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه لانه يورث له
الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه
ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم
وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها
ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم
في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لم يؤمن بان ثواب
المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس

على ابيه

على ابيه فقال
اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الرأس
خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس
فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصيبة كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عليه السلام قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبادي
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز
وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال
عليه السلام قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا
قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال عليه السلام لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه السلام ان الرجل لتكون له الدرجة عند
الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله
وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره لنا
فجلس محمارا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له بالارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع
على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه ايما رجل حبسه السلطان
ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا
تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون
على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه
عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى
لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي
ما هو افضل منه واذا كان يوم القيامة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام
والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر
صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يرون ما يذهب اهل البلاء

من الثواب

مطلب في اصابة البلية

من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس قال شكى نبي من
الانبيا عليهم السلام فقال يا رب العبد المومن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له
البلا ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترى على معاصيك تزوي عنه البلا وتبسط له الدنيا فاوحى
الله تعالى ان العباد لي والبلا لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه من الذنوب فازوي عنه
الدنيا واعرض له البلا فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات
فابسط له في الرزق وازوي عنه البلا فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسياته وروى
انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوا يجز به قال ابو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الايه فقال رسول الله
غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع
ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي عليه السلام انه قال اذا رايتم الرجل
يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما
نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخير حتى
اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة
راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حايط
فاثر في وجهه فاتى النبي عليه السلام فاخبره فقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة
ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجا اية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا
عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وعن انس عن النبي عليه السلام انه قال
ما تجرع عبد جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل
لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في
سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من
خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدردا انه قال توفي ابن لسليمان
بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي
الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلم استحصد فمر هذا فافسده فقال للاخر ما تقول فقال
اخذت

اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان ولم بذرت على الطريق
اما علمت ان لا بد للناس من الطريق فقال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب
سليمان الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان
تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه ابنه فاسترجع وقال عورة سترها الله ومونة كفاها الله
واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امرنا الله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلوة الاية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي تعزية فقال ينبغي للعاقل ان يفعل
ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلما ان الله تعالى
ليبتلي العبد بالبلا بعد البلا حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل
ليتعاهد عبده المومن بالبلا كما يتعهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج
على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنيا بسليمان وعلى الفقرا بعيسى وعلى
العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب عليهم السلام وروى ان زكريا لما هرب من الكفار من بني اسرايل
واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجي بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا
فان انة فاوحى الله يا زكريا ان صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض
زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشطرين وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق
ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب
يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى
ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت
الليلة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا قال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت
عيني هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك
بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملايكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك بيان
فضل النعمة على البلاء لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلا خير في الدنيا من النعيم فهل
لنا ان نسال الله تعالى البلا فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بلغ [illegible]

انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكانوا يقولون هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها وقال علي رضي الله عنه
اللهم إني أسألك الصبر فقال عليه السلام لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية وروى الصديق عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطي عبد أفضل من العافية الا اليقين وأشار
باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله
الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لأن
أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر وقال عليه السلام في دعائه وعافيتك أحب إلي وهذا أظهر
من أن يحتاج فيه إلى استشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالإضافة الى ما هو أكبر منه
إما في الدنيا وإما في الدين والآخر بالإضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي أن يسأل الله تعالى تمام
النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر
على أن يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فإن قلت فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على
النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار وقال وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني
فهذا سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر وكان بعد ذلك يدور
على أبواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وأما محبة الانسان لأن يكون هو في النار
دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن
شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم أن ما غلب عليه كان حالة لا
حقيقة لها فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق تستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي أن فاختة
راودها زوجها فمنعته فقال ما الذي يمنعك عني ولو أردت أن أقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن
لقلبته لأجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال
الشاعر أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد وهو أيضا محال ومعناه أني أريد
ما لا أريد لأن من أراد الوصال لما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام
إلا بتأويلين أحدهما أن يكون في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال
في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة لوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب
محبوب

محبوب فيكون مثاله مثال محب المال إذا سلم درهما في درهمين فترك الدرهم في الحال الثاني أن يصير
رضاه عنده مطلوبا من حيث إنه رضى فقط ويكون له لذة في استشعاره رضى محبوبه منه تزيد تلك اللذة
على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضى فلذلك قد انتهى حال بعض
المحبين إلى أن صارت لذتهم في استشعارهم رضى الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا
فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة تعهد وقوعها في غلبات الحب
ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت
به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء
فنسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة **بيان الأفضل من الصبر والشكر** اعلم أن الناس اختلفوا
في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سيان
وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد
عن التحصيل ولا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان
الأول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى هذا الأمر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان
الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام
هو الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظئر المشفقة
لا ينبغي أن يصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن وعليها أن تؤخر عنه أطايب
الأطعمة إلى أن يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في
البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي
تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار في فضله فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت
فضائل الصبر أكثر بل فيها ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلام من أفضل ما أوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض
فيقال له أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه
فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل

مطلب في الافضل
في فضيلة الشكر والصبر

على التفضيل في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع الدرجة فالحقه بالصبر وكان هذا منتهى
درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله
عليه السلام الجمعة حج الفقرا وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه
به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه
السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال
الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم آخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن
بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمان بعد الانبيا الجنة باربعين خريفا وفي لفظ ابواب الجنة
كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلا امامهم ايوب عليه السلام
وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا
هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف بما فيه صلاح دينهم

المقام الثاني

هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق الكشف والايضاح
فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل
مكشوف يشتمل على اقسام لم يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان يفرد الآحاد بالموازنة حتى
يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان
مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلثة امور علوم واحوال واعمال في الشكر
والصبر وساير المقامات كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين
الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما
ارباب البصاير فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد
هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد
الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة
وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها
اصلاح

مطلب في بيان اقسام الشكر والصبر

اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة
الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فايدة اصلاح العمل
اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله
فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل
هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي
المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة
اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضا الى معرفة
الله تعالى فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب
الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذن فضايل الاحوال بقدر
تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل
المراة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمراة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك
احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفا القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب
من المقصود وهكذا ترتب الاعمال فان تاثيرها في تاكد صفات القلب وجلب الاحوال اليه
وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مهياة للمكاشفة موجبة صفا القلب وقطع علايق الدنيا
عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته
متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك
يختلف باختلاف الاحوال وذلك اما بالقول المطلق ربما يقول الصلوة النافلة افضل من كل عبادة
وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه
مال وقد غلب عليه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليال وصيام
ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفا الفكر
في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الحالة
فليس يتضرر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم
خروج منه عن حالة اللايقة به الى حال غيره وهو كالمريض يشكو وجع البطن اذا استعمل دوا الصداع

نتيجة في افضلية كل من الصبر والشكر

ولا ينتفع به بل يحفظه [illegible] المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل
صيام مائة سنة وقيام الف [illegible] منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه
وتفصيل هذا ما ذكرناه في [illegible] المهلكات فليرجع اليه فاذن باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك
يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق
الا ان الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب
فالماء افضل فان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح
الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفرا فنقول عدم الصفرا لان
السكنجبين يراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن بذل المال عمل وهو الانفاق
ويحصل به حال وهو زوال البخل و[خروج] حب الدنيا من القلب وتهيؤ القلب بسبب خروج الدنيا
من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل [المعرفة] ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث
الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى [في] الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون [الانفاق] افضل من الاحوال فاعلم ان الطبيب اذا اثنى
على الدواء لم يدل على ان الدواء يراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفا الحاصل به ولكن الاعمال
علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر
به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه [المبالغة] في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد
يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء [على المواظبة] عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود به زوال
البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولنضرب مثلا لا اقرب من هذا فنقول
من ولد له ولد علمه العلم او [القرآن و]اراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو
امره بالتكرار والدراسة ليبقى محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى تكرار ودراسة لانه يظن
ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد وامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك
بالجميل ليتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد
للقرآن وانه قد استخدم بتعليمهم فيستثقل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا
اعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي
بفقد هؤلاء

بفقد هؤلاء العبيد فيظن المسكين عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل عن هذا [illegible] تعليمهم اعتمادا على استغناء
ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما وهو لا يدري وقد انخدع بمثل
هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي [معنى]
لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف
اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا
صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين والفقرا او لاجل الله ثم
قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن
ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود منه ثبات صفة العلم في نفسه
وتاكدها في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره
الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن المسكين الآخذ لمالك
يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم
منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج
الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن
ومزكية لها من خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن
كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال
مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهداية ونور
المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال
والاحوال والمعارف ولنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول كل واحد منهما
معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان نقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر بل نقابل كل واحد
بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما تؤخذ معرفة الشاكر بمعرفة
الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين من الله ومعرفة الصابر

پس معلوم اولدی که هر قنغی عمل قلبده [illegible] تاثیر ایده اول افضل در

ان يرى النعم من الله ... فهما يتلازمان ويتساويان هذا ان اعتبر في البلا والمصايب
وقد بينا ان الصبر عبارة عن ثبات الطاعة وعن المعصية وفيهما يحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة
هو عين شكر الطاعة كما ان مرجع الشكر الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر
يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين
مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا
بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وان يصرع به باعث الهوى والشهوة فقد
عرفته الى المقصود بالحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر
ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن
فقد نعمة والنعمة اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية
من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب
العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل امران احدهما ان لا يستعين بهما على معصيته
والاخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور
الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا نعمة العينين فقد دخل الصبر
في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد
يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر
ولولا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبيا فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره
لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر ولكان الكامل ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك
كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين يفوت بفواتها ذلك الركن
من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في
محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه
ففي الصبر عنه مجاهدة فهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات او ان
لا يستعان بها على المعصية فاذا اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه
يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى
الى التنعم

الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض
وهذا فيه خلل اذ لا ينتج الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصيته
بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك
ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه
وكسر نهمتها واحسن الرضى على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته
واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر
عن الحرام ايضا الا ان القوة التي تصدر عنها صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار
في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب
وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان
فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد في تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الايات والاخبار
انما اريد بها هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعم الاموال والغنى بها
والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان
يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من الشكر
الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما
افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين بقيامهما
بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلائم صفته وتمتعها ويلذذها والفقير يصحبه
فيما عليه اشيا تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما
كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح
من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه ولم يرد سواه وقد قال كان
ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه
الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة
وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت
المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل

مطلب الفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف الى المباحات

مطلب ... قتل ...

من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل
الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد
انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب
جاه وصيت ولا لتقلد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت
فهذا لا يثقل على الغني والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فان كان
يتالم بفراق المال فيجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي نراه ان من ينفق
ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يقطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا
تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبها وذلك يضاهي
ضرب كلب الصيد والكلب المتادب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب
ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان
مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان
كلهم الا الاقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي هو صفته
افضل وهو كما قال صحيح فيما اردناه من عموم الخلق فاذن اذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة
الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت
التحقيق فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضى وهو مقام وراء
الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضى اذ الصبر مع التالم والرضى يمكن بالا الم فيه ولا
فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل
في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعمة الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر
والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء
من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر
وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر
الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن
الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج

من الاعمال

من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول
بتفضيل احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار وقد روي
عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت
في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي
حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت
الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فنحن منذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة
اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو لم يجمع
الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذن
لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم بالصواب

تم كتاب الصبر والشكر ويتلوه كتاب الخوف والرجاء
والحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله محمد وآله اجمعين

كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه
الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف الائه الى النزول بفنائه والعدول
عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن
حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للامه والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف
الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير
خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون
الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن
وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء
الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب
اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل
التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين

بس جونکه رجانک بر ایکی رکنده رکن اول رجانک الله جل وعلا رحمتی اولمق بیاننده ورکن ثانی الله جل وعلا عذابندن قورقمق بیاننده خوف ... بیاننده در رکن اول دورت بابه مشتملدر باب اول حقیقت رجانک رجانک ذاتنده نه شی در وباب ثانی رجانک فضیلتی وباب ثالث رجانک دواو علاجی باب رابع رجانی جلب ایدوب حصول رجایه سبب اولان شی بیلدرر

الشطر الاول في الرجا والشطر الثاني في الخوف **اما الشطر الاول** فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا **بيان حقيقة الرجا** اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما سمي الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما سمي حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان اسم الرجا للحال من جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر ببالك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجا فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الما اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب

القلب وسو اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الما اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجا وان بث الزرع في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الما ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد من الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجا وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ما لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجا فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بما الطاعات ونقى القلب عن شوك الاخلاق الرديه وانتظر من فضل الله ان يثبته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجا حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة على الطاعة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات او ترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته فقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على الطاعة التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا

وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله معناه اوليك يستحقون ان يرجوا وما اراد به
تخصيص وجود الرجا لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك
فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق
كرجا من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقيه وقال يحيى بن معاذ من
اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى
بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل
والتمني على الله عز وجل مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة
اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان
فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق على تفقد الارض
وتعهدها وتنحية كل حشيش نبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان
الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الما معوز وان البذر
لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس
مذموم لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجا بل هو رفيق له كما ياتي بيانه بل هو باعث
اخر بطريق الرهبة كما ان الرجا باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجا يورث طول المجاهدة
بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على
الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد ان يظهر على كل من
يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك
لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجا والنزول في حضيض الغرور والتمني وهذا هو
البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال
حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على
شي منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه
فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها
هلكت

هلكت فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا
بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور **بيان** فضيلة الرجا والترغيب فيه اعلم ان العمل على
الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر ذلك
بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجا لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن الظن رغايب
لا سيما وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب ان الله
تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون
لم خفت الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال عليه السلام لا
يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال عليه السلام قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شا ودخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف
ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما
رجا وامنه مما يخاف وقال علي لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة
الله اعظم من ذنوبك وقال سفين من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله
ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم
ظن السو وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ
رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله تعالى حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فيقال
الله عز وجل قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح كان رجل يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر
فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجايه انه
يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى
ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم
وفي الخبر ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى
خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الايي واحساني

ان رجاهم

وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل وروى ابان بن ابى عياش فى النوم وكان يكثر ذكر ابواب
الرجا فقال اوقفنى الله عز وجل بين يديه فقال ما الذى حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك
الى خلقك فقال قد غفرت لك وروى يحيى بن اكثم فى النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال
اوقفنى بين يديه فقال يا شيخ السو فعلت وفعلت قال فاخذنى من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب
ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عنى فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن انس عن
نبيك صلى الله عليه عن جبريل عليه السلام انك قلت انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شا وكنت اظن بك
الا تعذبنى فقال عز وجل صدق جبريل وصدق نبيى وصدق انس وصدق الزهرى وصدق
معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت انت قال فالبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة فقلت يا
لها من فرحة وفى الخبر ان رجلا من بنى اسرايل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله عز وجل
يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها وقال عليه السلام ان رجلا يدخل النار
فيمكث فيها الف سنة ينادى يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فاتنى بعبدى
قال فيجيه به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول
ردوه الى مكانه قال فيمشى ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اى شى تلتفت فيقول قد رجوت
ان لا تعيدنى اليها بعد اذ اخرجتنى منها فيقول الله عز وجل اذهبوا به الى الجنة فدل على ان
رجاه كان سبب نجاته **بيان دوا الرجا** والسبيل الذى يحصل منه حال الرجا ويغلب
اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العباده واما رجل
غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العباده حتى اضر بنفسه وماله واهله فهذان رجلان
مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال
فاما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العباده واقتحام المعاصى فادوية الرجا
تنقلب سموما فى حقه مهلكه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفا لمن غلب عليه البرد وهو سم يهلك
لمن غلبت عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الا ادويه الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب
ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد
فيها فان المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوسطها
فاذا جاوز

فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان
زمان لا ينبغى ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجا بل المبالغة فى التخويف ايضا يكاد ان لا يردهم الى جادة
الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكليه ولكنها لما كانت اخف على
القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثنا كيف
ما كانوا مالوا الى الرجا حتى ازداد الفساق فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم تماديا قال
على انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يومنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا ليستعمل فى حق
الايس او فيمن غلب عليه الخوف اقتدا بكتاب الله وسنة رسوله فانهما مشتملان على الخوف والرجا
جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا فى حق اصناف المرضى ليستعمله العلما الذين هم ورثة الانبيا
بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذى يظن ان كل شى من الادوية صالح
لكل مريض كيف ما كان وحال الرجا تغلب بشيين احدهما الاعتبار والاخر استقرا الايات والاخبار
والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه فى اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف
نعم الله لعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الانسان حتى اعد له فى الدنيا كل ما
هو ضرورى له فى دوام الوجود كالات الغذا وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة
له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده
غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده فى امثال
هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى
الهلاك المؤبد بل لو نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة
فى الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر
اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذى يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه
الا فى حالة نادره وواقعة هاجمة غريبه فاذا كان اكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليهم الخير والسلامة
وسنة الله تعالى لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة
واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تامل حق التامل قوى به اسباب
الرجا ومن الاعتبار ايضا النظر فى حكم الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها

حتى كان بعض العارفين يرى ان اية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا
فقال الدنيا قليل ورزق الانسان فيها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول
اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقرا الايات والاخبار فما ورد في الرجا خارج عن الحصر اما الايات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في
الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال فانذرتكم
نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
ويقال ان النبي عليه السلام لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى
محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية
في كتاب الله عز وجل قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية
ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
واما الاخبار فقد روى ابو موسى عنه عليه السلام انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها
في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن واذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي
رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي
او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وهي
حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى
اوحى الى نبيه اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا نخزيك فيهم
وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب
اجعل حسابهم الي غيري لئلا ينظر الى مساويهم انت ولا غيرك وقال عليه السلام حياتي خير لكم
وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت
منها

منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال عليه يوما يا كريم
العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات
بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة
قال لا قال دخول الجنة وقال العلما قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر الله يقول الله عز وجل
لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد
غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها ما استغفرني ورجاني
وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك
ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة
وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه
السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة
وروى انس في حديث انه عليه السلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه قال اعرابي فان تاب عنه
قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته قال
الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من
الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبها عشر
حسنات ثم يضاعفها الى سبعماية ضعف فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة
واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله اني
لا اصوم الا الشهر لا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة
ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل
والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله
وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان اعرابيا
قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم
الاعرابي فقال النبي عليه السلام مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب

سامح فقال النبي عليه السلام صدق الاعرابي ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه
الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها فلو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم
من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت
قول الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المومن افضل من
الكعبة والمومن طيب طاهر والمومن اكرم على الله من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل
رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا
علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله ما خلق الله تعالى شيا
الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل
ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه عليه السلام قال من قال
لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك
به شيا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة
رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما تلى رسول الله قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم
قال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من
كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون
وتعطلوا يومهم عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن
يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين باديل وتاويس ومنسك وياجوج وماجوج
امم لا يحصيها الا الله انما انتم في ساير الامم كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود وكالرقمة
في ذراع الدابه فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجا الى الله
تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس
داواهم بدوا الرجا وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن منافيا للاول ولكن ذكر
في الاول ما راه سببا للشفا واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر
فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال الخوف والرجا بحسب الحاجة
بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم تراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلحه
وفي الخبر

وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ اخر لذهب بكم وجا بخلق
اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر
من الذنوب قيل ما هو قال العجب وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المومن
من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على
قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجا ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر
منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها تتراحم الخلائق فتحن
الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسعة
والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك
على الله تعالى يومئذ الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار
قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال عليه السلام اعملوا وابشروا واعلموا
ان احدا لن ينجيه عمله وقال عليه السلام اني اختبات شفاعتي لاهل الكباير من امتي اترونها
للمطيعين المتقين لا بل هي للمخلطين المتلوثين وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة
وقال عليه السلام احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى
للمومنين في قولهم لا تحمل علينا اصرا وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد
بن الحنيفية عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما
الصفح الجميل قال اذا عفوت عن من ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب
من عفى عنه فبكى جبريل وبكى النبي فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقريكما السلام
ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الوارده في اسباب الرجا
اكثر من ان تحصى واما الاثار فقد قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله
عليه في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا
فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل
حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله ارحم بي منهما وقال بعض السلف المومن اذا عصى الله ستره
الله عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه

ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك
الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي
وقد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم
بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت
يا رب اعصمني حتى لا اعصيك فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي
المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن
لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت
المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى
اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساك هذا من الفرح وفي حديث ربعي
بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي
بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي
عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا
تغتروا وان محمدا ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح بنفسه فكانها كانت حصاة
وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين تواخيا من بني اسرائيل في الله فكان
احدهما يسرف على نفسه وكان الاخر عابدا فكان يعظه ويزجره وكان يقول دعني وربي
ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله عز
وجل له يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبدي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد
وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه واخرته
وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى وخلفه عابد من عباد
بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت
معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول
في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا
يمشي الى جانبي فضم منه نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى

الله

الله تعالى الى عيسى قل لهما استانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت
حسناته لعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت سيئاته بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم
اللص في سياحته وجعله من حوارييه . وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ
بعض العتاة عنقه حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر
الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له وتقرب من هذا ما روى
ابن عباس ان رسول الله كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليس
لك من الامر شيء الاية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك للاسلام وفي الاثر ان رجلين
كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا دخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى
على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول
الله سبحانه انه كان يسالني الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت
كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها
على الخائف فكم من فرق في الملوك بين لمن يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه
واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال عليه السلام سلوا الله الدرجات العلى فانما
تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعا ظمه
شيء وقال مكي بن سليم الصراف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله
كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم برحنا
حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال
لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد
على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل
فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير
دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلف
المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني
ثم قال اعرض علي الاسلام فعرض فاسلم ورأى الاستاذ ابا سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام

وكان يقول ابو عبيد الابلي . فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا . وراى بعضهم ابا
سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنه لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي
بحسن ظني بربي . وحكي ان ابا العباس بن سريج رحمه الله راى في مرض موته كان القيمه قد قامت
واذا الجبار سبحانه يقول اين العلما قال فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا
قال فاعاد السوال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك
وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل
كان رجل شريب جمع قوما من ندمايه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيا
من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال للفقير شيا ويقول من دفع
اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد
ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي
فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال
سيده لم ابطات فقص عليه القصه فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت
حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم وايش الثالث
فقال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى وايش الرابعة فقال ان يغفر الله لي ولك
وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قايلا يقول
له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن
عمار وللقوم الحاضرين اجمعين . وروي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال رايت جنازة يحملها
ثلثة من الرجال وامراه قال فاخذت مكان المراه وذهبنا الى المقبره وصلينا عليها ودفنا الميت
فقلت للمراه من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره فقلت
وايش كان هذا فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة
وثيابا قال فرايت تلك الليلة كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل
يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي
وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق
يضربون

يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقيل لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله
عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخره فقالوا انما سالناك ان تدعو عليهم فقال
اذا فرحهم في الاخره تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعايه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم
نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دار سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر
الرزق حتى كانك يا ربنا لا تعصى سبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك
يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجتلب روح الرجا الى قلوب الخايفين والايسين فاما الحمقى
المغرورين فلا ينبغي ان يسمعوا شيا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في باب الخوف فان اكثر الناس
لا يصلح الا على الخوف كالعبد السو والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط والعصى واظهار الخشونه
في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا **الشطر الثاني**
من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف
وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجا وبيان دوا الخوف وبيان معنى سو
الخاتمه وبيان احوال الخايفين من الانبيا والصالحين **بيان حقيقة الخوف** اعلم ان
الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في
بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق
على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف
والرجا فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال
الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السراير لا يبقى فيها فضلة لرجا
ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا
في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الان انما نتكلم في اوايل المقامات فنقول
حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع في يديه فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تالم قلبه
بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه
حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان

هذا الخائف عاطلا من كل وسيلة وحسنة نحو الكرخيانية فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة
الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب
جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات
السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وإن كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة
جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على
السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق
القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة تكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة
المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه
واستغنائه وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم
بنفسه وبربه ولذلك قال عليه السلام أنا أخوفكم لله ولذلك قال الله تعالى إنما يخشى الله من
عباده العلماء ثم إذا كملت المعرفة أورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب
على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فالصفار والبكاء والغشية والزعقة
وقد ينشق منه المرارة فيفضي إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث
القنوط واليأس وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط
واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل [ليس] الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من ترك ما يخاف أن يعاقب
عليه وقال أبو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه وقيل لذي النون
متى يكون العبد خائفا قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام وأما
في الصفات فهو أن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف
وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد
والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون
له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس
في الخطرات

في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل
عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره
هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة
والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله
تعالى وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأول درجات الخوف
ما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فإن
زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى
إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس
وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا
يأكله ولا يلتفت إلى الدنيا لعلمه أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله نفسا من أنفاسه فهو الصدق
وهو حقيق جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل
العفة فإنها عبارة عن مقتضى الشهوات خاصة فإذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام
ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه
كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم
الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم فإذا ذكرت الأخص
فقد ذكرت الكل كما أنك تقول الإنسان إما عربي أو عجمي والعربي إما قرشي أو غيره والقرشي
إما هاشمي أو غيره والهاشمي إما علوي أو غيره والعلوي إما حسني أو حسيني فإذا ذكرت أنه
حسني مثلا فقد وصفته بالجميع فإن وصفته بأنه علوي وصفته بما فوقه مما هو أعم منه فكذلك
إذا قلت صديق فقد قلت إنه متق وورع وعفيف فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسامي تدل
على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ
المعاني فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن
جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداما

بيان درجات الخوف واختلافه

في القوة والضعف اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو محمود محمود وكل ما كان أقوى

ولكن كان احد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل
لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا للصبي ولكن ذلك لا يدل
على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال
والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النسا يخطر بالبال عند سماع آية من القران
فيورث البكا وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن
الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف
الذي تضرب به دابة قوية لا يولمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا
خوف الناس كلهم الا العارفين والعلما ولست اعني بالعلما المترسمين برسوم العلما والمتسمين باسمايهم
فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلما بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما قد عز وجوده
الان ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات
وما لم يوثر بالجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي
يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل
والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة
نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خايفا لان
المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود
بالاضافة الى نقص الادمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله
تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم
منه كما يكون احتمال الم الدوا محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم
وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى
الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر
عضوا من اعضايها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجا ليعالج بها صدمة الخوف المفرط
المفضي الى القنوط او احد هذه الامور وكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه
وما يقصر

وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفايدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر
والذكر وساير الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل
وكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون
حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك
الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقايه وطول عمره في طاعة الله
وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في
كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي
يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر او العقل او الصحة
التي تعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كانت بعض اقسامها فضيلة بالاضافة
الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين
فاذن الخوف ان لم يوثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله
درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر
الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله
حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقا الصحة والعقل فان جاوز هذا الى
ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجا
وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه
لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق
الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى
مكروه كما تكره المعاصي لادايها الى المكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادايها الى الموت
ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه
بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخايفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة
والذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة
او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفا بتمام حقوق الله او خوف

نداله رقه القلب وتبدلها بالقساوه او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلا العادة في اتباع
الشهوات المالوفه او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها او خوف البطر بكثره
نعم الله تعالى عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف تبعات الناس عنده في الغيبه والخيانه
والغش واضمار السو او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقيه عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح
قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة غفلة او خوف الختم
له عند الموت بخاتمة السو او خوف السابقه التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل
واحد خصوص فايدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن خاف استيلا العاده عليه نواظب
على الفطام عن العاده والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشغل بتطهير قلبه عن الوسواس
وهكذا الى بقيه الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام
وادلها على كمال المعرفه خوف السابقه لان الخاتمه تبع السابقه وفرع تتفرع عنها بعد تخلل اسباب
كثيره فالخاتمه تظهر ما سبق به القضا في ام الكتاب والخايف من الخاتمة بالاضافه الى الخايف
من السابقه كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه
تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحاله وصول التوقيع ونشره
وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الاخر بحاله توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال
التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما يظهر من الابد
والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال كتاب الله
كتب فيه اهل الجنة باسمايهم واسماء ابايهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى ثم قال كتاب الله
كتب فيه اهل النار باسمايهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل
الشقا حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن
اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو
بفواق ناقة السعيد من سعد بقضا الله والشقي من شقي بقضا الله والاعمال بالخواتيم وهذا
كانقسام الخايفين الى من يخاف معصيته وخيانته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته
وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محاله وهذا اعلى رتبه ولذلك بقي خوفه وان كان
في طاعة

مطلب متعلق بالخاتمة

الخوف خوفان خوف من المعصية وخوف من ذات الله تعالى وصفته

في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من
المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة
بالله وكل من عرف الله تعالى وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جنايه بل
العاصي لو عرف الله حق المعرفه لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه يخوف في نفسه لما سخره
للمعصيه ويسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان تيسر اسباب المعصيه ابعاد ولم يسبق منه
قبل المعصيه معصيه استحق بها ان يسخر للمعصيه ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيله
توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصيه شا ام
ابى وكذا المطيع فالذي رفع بها الى اعلى عليين من غير وسيله سبقت منه قبل وجوده ووضع
ابا جهل في اسفل السافلين من غير جنايه سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان
من اطاع الله اطاع بان سلط عليه اراده الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة
والقدره التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى الله عصى لانه سلط عليه اراده قويه جازمه واتاه
الاسباب والقدره فكان الفعل بعد الاراده والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي ما الذي اوجب
اكرام هذا وتخصيصه بتسليط اراده الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط
دواعي المعصيه عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحواله ترجع الى القضا الازلي من غير
جنايه ولا وسيله فالخوف ممن يقضي بما يشا ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر
القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه في صفاته الا بمثال ولولا اذن الشرع لم يجترئ
على ذكره ذو بصيرة فقد جا في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما
يخاف السبع الضاري وهذا المثال تفهمك حاصل المعنى وان كان لا يفي بكشف سببه فان الوقوف
على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجنايه سبقت
اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق
قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقا على روحك بل انت عنده اخس
من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحده
اذ لا يقدح ذلك في عالم سعته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى

مطلب مهم

ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه
تعالى قال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف
المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في النفس ما هو المكروه
وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط
وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف عن الحرمان عن الجنة دار
النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب
مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق
والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين
وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق
واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه ويتعجب منه
نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه
به باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن
والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين
فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر
بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين **بيان فضيلة**
الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار
اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود
سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه وكل ما اعان عليه فله فضيلة
وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته
والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس
الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا
ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع
الشهوة

للشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة
وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف
لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة
التي تقرب بها الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الاخبار والآيات فما ورد في فضيلة الخوف
خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان
وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال
انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في
خبر موسى عليه السلام فاما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم
بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق
الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا
وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظرت الى ثمرته فالورع والتقوى ولا
يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موصوفة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا
بالله تعالى والصلاة برسول الله حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد
وآله اجمعين وقد خص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ولذلك ايضا وصف الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف
واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه
بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين
والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني
قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت
نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان

وفلانا غنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينتصب للقوم لواوهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام لابن مسعود اذا اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجا العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلام واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلا شي منها عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال عليه السلام قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته في القيامة وقال عليه السلام من خاف الله تعالى خافه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شي وقال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجا تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يومنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة قلت يا رسول الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا ينحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشي ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف

الخوف الامن كما ان ضد الرجا اليأس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجا فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان لا يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما يجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجا والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القران الرجا بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل اقول كلما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون وقال النبي عليه السلام ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها وقال عليه السلام لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال عليه السلام اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان بذروف الدموع وتشفيان من خشيتك قبل ان يصير الدموع دما والاضراس جمرا وقال

عليه السلام بسبعة يظلهم الله في يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه
وقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى
مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن
عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته
وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها
قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفا باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى
في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكاء من الخوف والرجا والطرب من الشوق وقال
كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق
بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت
منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت
ما كنا عليه عند رسول الله واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث
تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة
نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم تنافق فقلت يا رسول الله كنا عندك
فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى
اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك
الحالة لصافحتكم الملايكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذن كل
ما ورد في فضل الرجا والبكا وفضل الورع والتقوى وفضل العلم ومذمة الامن هو دلالة
على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق اما تعلق السبب او تعلق المسبب **بيان ان الافضل**
هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجا قد كثرت
وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجا
سوال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع
والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل فان
استويا

كان م

استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه
والخوف والرجا دواآن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الدا الموجود فان كان الغالب على القلب
دا الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو الياس والقنوط من
رحمة الله فالرجا افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال
مطلقا الخوف افضل بتاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبا
مرض الصفرا ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف
افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل
لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف
والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس ورا المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي
تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح
لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك
ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه روي ان عليا رضي الله عنه
قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج
الله رجا ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قيل لو وزن رجا المومن وخوفه
لاعتدلا ولذلك قال عمر رضوان الله عليه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان
اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجل واحد لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا
عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلا ولكن على سبيل التقاوم والتساوي
فمثل عمر ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثنى من دخول النار
كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر لم ينبغ ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب
رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجا وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر
والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها وجا بجميع شروط
الزراعة غلب على قلبه رجا الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقين
فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله في ذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي

لسكنجبين

ما يخرجه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاوتها
وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك النواحي وغيرها وامثال مسلمنا بذرا لم يجرب
جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدرى اتكثر الصواعق
بها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده وجا بكل ما في وسعه فلا تغلب رجاوه على خوفه والبذر
في مسلمنا الايمان وصحته وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفايه من الشرك
الخفي والنفاق والريا وخفايا الاخلاق فيه غامضة والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات
القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من
الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد
عنده وذلك مما لا يجرب وسم الحصاد والادراك عند المنصرف من العاجلة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن
عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما
سنحكي من احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى
خوفه ورجاوه فاما ان يغلب رجاوه فلا ولقد كان عمر يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة
انه هل يعرف به من اثار النفاق شيا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين
فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك
فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال عليه السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب
فيختم له بعمل اهل النار وفواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب
عند الموت فيقتضي خاتمة السو فكيف يومن ذلك فاذن اقصى غايات المومن ان يعتدل خوفه
ورجاوه اما غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله
تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واين
مثل عمر فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى
الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك
في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات
ويزعج

ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث
النفس الذي لا يوثر في الكف والحث ودون الياس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى
بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا
استقام في محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا
فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من
الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح
غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف
على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته
واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاوه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا
الا محبا لله ليكون محبا للقا الله فان من احب لقا الله احب الله لقاءه والرجا تقارنه المحبة فمن ارتجى
كريما فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه
والقدوم عليه بالموت ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته
وعذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء
والاصحاب فهذا رجل كل محابه في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب
فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه
فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له
عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة عن المحبوب للمحبوس عن الانسراح
الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه
وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب
والعقاب فضلا عما اعد الله لعباده الصالحين بما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر وفضلا
عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل
والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين
ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب

وقطع العلايق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان يدعو بما دعا به نبينا
عليه السلام اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب
الي من الما البارد والغرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت
اصلح لانه اصلح واحرق لنار الشهوات وامنع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال عليه السلام لا يموتن
احدكم الا وهو حسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ولما حضر
سليمن التيمي الوفاه قال لابنه حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن
به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاه واستدعى جمع العلما حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل
عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب
الله الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان حببني الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم
الاي ونعماي فاذن غاية السعاده ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفه واخراج حب
الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمن
الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الان افلت فلما اصبح سال عن حاله فقالوا انه مات
البارحة **بيان الدوا الذي يستجلب حال الخوف** اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر وشرحناه
في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا
لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار
وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والرجا والخوف يقويان على الصبر
فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر
على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن
اشفق من النار رجع عن الشهوات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام
المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويودي دوام الذكر الى الانس ودوام
الفكر الى كمال المعرفة ويودي كمال المعرفه والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضى والتوكل
وساير المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام
سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا
وظاهرا

وظاهرا ولا مقام بعد المجاهده لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفه ولا مقام بعد المعرفه
الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضى بفعل المحبوب وفعله والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن
فيما ذكرناه في علاج الصبر كفايه ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين
مختلفين احدهما اعلى من الاخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حيه ربما كان
لا يخاف وربما مد يده الى الحية لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من
الحيه وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرايصه ويحتال في الهرب قام معه
وعليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيره ومعرفه بصفة الحيه وسمها وخاصيتها
وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فانما بمجرد التقليد لانه يحسن
الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه
فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه
والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب العارفين من صفاته
ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا
الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما
جزاين على الطاعه والمعصيه وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما
يزول الغفلة بالوعظ والذكر وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب في الاخرة ويزيد
ايضا بالنظر الى الخايفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو
عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى وهو ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب
منه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر
لجي وهذه خشية العلما حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ولعموم المومنين حظ
من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحيه تقليدا لابيه ولكن لا يستند
الى بصيره فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يخبره المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه
ويغتر به فيتجرا على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والتقليدات المقلديه
ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها الموكدة لها على الدوام وبالمواظبة على

مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة
المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع وراى نفسه
واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شا ام ابى ولذلك اوحى الله
تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضارى ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع
ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه من عرف الله انه يفعل ما يشا ولا يبالي ويحكم ما يريد
ولا يخاف قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سابقة بل صفته ما ترجمه قوله
تعالى هولآء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا
يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شا ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والسهو
والقدرة على قضا الشهوة كان الفعل واجبا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية
هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير النهاية او يتقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد
بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر عليه السلام اذ قال احتج ادم وموسى عند ربهما فحج ادم موسى
فقال موسى انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك
في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته
وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شي وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق
قال موسى باربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني
على ان عملت عملا كتبه الله علي قبل ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال عليه السلام فحج ادم موسى
فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين والمطلعين
على سر القدر ومن سمع هذا فامن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المومنين ويحصل لكل واحد
من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب
السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك
الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان اضيف الى
علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان
السبع مسلط مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق
السبع

السبع وخالق صفاته فلست اقول فما الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطا علم ان
الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الاخرة
مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد تسويته
القدر المفرغ عن القضا الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاوا
ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاوا ام ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم
امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين لسر القدر فمن قعد به القصور عن
الارتفاع الى يفاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والاثار فيطالع احوال الخائفين
واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتدا بهم اولى
لانهم الانبيا والاوليا والعلما واما الامنون فهم الفراعنة الجهال الاغبيا اما رسولنا صلى الله عليه وسلم
فهو سيد الاولين والاخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل ففي رواية انه
سمع في دعايه اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية انه سمع قايلة تقول هنيا لك
عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما
يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص وروي انه قال ذلك ايضا على
جنازة عثمن بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيا لك الجنة وكانت تقول ام
سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير
رسول الله ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضل علي ومناقبه وروي
في حديث اخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت
الى رسول الله وقتلت في سبيل الله فقال عليه السلام وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه
ويمنع بما لا يضره وفي حديث اخر انه دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيا
له الجنة فقال عليه السلام من هذه المتالية على الله فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال عليه السلام وما
يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المومنون كلهم وهو عليه
السلام يقول شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتسالون
فقال العلما لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود

الا بعد المؤمنين كما بعدت ثمود مع علمه عليه السلام بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لاتى كل نفس
هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت
الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة
التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت
نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا والقرآن من اوله الى اخره مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز عن آحادها واشد منه
قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله تعالى ليسأل الصادقين
عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله الآية وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن الآيتان وقوله وان منكم
الا واردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
الآيتان وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك
قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا
مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي عليه السلام وجبريل عليه السلام
بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ
علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله امنتكما ابتلاء
لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم
عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض
بجبريل في الهواء حتى قال له الك حاجة فقال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله
فاخبر الله تعالى عنه فقال وابراهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى
حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى
السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد
عليه الامن

عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه السلام اللهم
ان تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه
واف لك بما وعدك وكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار
الله وخفايا افعاله وعلى كنه صفات الله عز وجل ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الاحاطة
بكنه الامور وعظم خوفه لا محالة ولذلك قال عليه السلام لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني واي
الهين من دون الله فقال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من البين
لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات
والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بحدس وحسبان فضلا عن التحقق والاستيقان وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشية من لا يبالي بك ان اهلكك فقد
اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم
بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم فكيف لا يخاف
ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة
فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي الاسباب الظاهرة السابقة من جلي الاسباب الظاهرة
على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت له علائقه
مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له
وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا
كان هذا يقتضي تخفيف الخوف ولو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات
يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير
مامون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين

اذ روّح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة من الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه ولو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا

حكاية

وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فأعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى اللوز والسكر وفرّقه وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو زيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انكم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي في اخبار الانبياء ان نبيا شكى الى الله الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فاخذ التراب ووضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة

ولذلك

ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ اخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الا الصديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه المعاني الهون مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تاتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق اذا مدح بشيء ليس فيه ان يعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول ياتي على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وياتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل ان الامن من النفاق هو نفاق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما

الله صانعونه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا
بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار **بيان معنى سوء الخاتمة** فان قلت ان اكثر هؤلاء رجع
خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احديهما اعظم من الاخرى
فاما الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك
واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه
وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه
عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى
في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه منكسا راسه الى الدنيا
وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب
اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى
تقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا
فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة
الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا
مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب
الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب
هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان
اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال ذرة فلا بد ان يخرجه من النار
ولو بعد الاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما بالهم
يؤخرون الى القيمة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان
ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من
حفر النيران او روضة من رياض الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما ورد
به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف
العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم
المناقشة

المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط وزبانية الى
اخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال
معذب الى ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح
ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزاء المتفرقة ويعاد اليها الروح التي هي محل الايمان
وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما
على حال تضادها هذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى
سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها
اما الختم على الجحود والشك فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح
في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا
واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول التوان فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي يجادل
الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له
ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده
جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما
بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند موته نفسه لم يظن بنفسه انه
اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجاوزه فيه الى رأيه القاتل وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده
لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده
الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه
فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم
له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل
وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل

مطلب سبب سوء الخاتمة

الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف
له الامور على ما هي عليه فتكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات
وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي
والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله
بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية
وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف
المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث
والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله
جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث
عن الصفات عظيم وعقباته كؤود ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله
بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب
ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير
موكدة للعقائد الموروثة او المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة
وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته
بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال
والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد
ذلك بطول الالف بهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة
ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشى الهذيان ونزل كل جاهل
على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن
ان ما وقع له من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغي ان ينشد في
هؤلاء عند كشف الغطاء

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا ان كل ما فارق
الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته

وهو في

وهو في تلاطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك غالب عليه
وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون
الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص
وكل من خاض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة التي تشرق
في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر وانى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او
الذين شغلهم خوف النار وطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة
واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف
حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة
النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود
وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا
جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب
الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه
من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب
ولده حبا ضعيفا حتى اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا
فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا
مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع
ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا
ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق
وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فاذن من فارقته روحه في
حال خطرة الانكار على الله بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقته بين اهله وماله وسائر
محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض

الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال. فاما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقايه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطايف الاكرام وبدايع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة. وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر في حقه عظيم جدا ويعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهدته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة كذلك لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر الذي يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجحة ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فيكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمة وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص

يعلمه

يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما بينه وبينه مناسبة اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيذكر جميلا اخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك انتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس فكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه قبل الموت قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له في القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النايم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن مرجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخاتمة غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف تاثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت ابا علي الفارمذي رضي الله عنه يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون لقلبه

انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القسم الكركاني مناما لي فقال انك
ملت لي بهذا فقلت لم ذاك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة
والانكار لما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه
خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه وهذا هو القدر الذي يبيح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة
الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة ان
يرى الاشيا كما هي عليه من غير جهل وتوفي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم
ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك
ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا والاوليا والسلف الصالحين ليكون
ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم
في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح مع اضطراب امواج الخاطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف
بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد
اللفاف اذا صعدت الملايكة بروح المومن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملايكة منه وقالوا
كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب
زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة
واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابا من السفينة
وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة
الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر
التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثماية نبي
فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت
الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاة مكروها اما الموت فجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة
خاطر سوء واستيلايه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة
واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخروج حب
الدنيا

لعله

مطلب فجاة موت كريه

الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم احد على صف القتال موطنا نفسه على الموت
الا حبا لله وطلبا لرضاه وبايعا دنياه لاخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال الله تعالى ان
الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب
ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق
الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة
وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه
الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله
واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة
المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يوثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك
ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان
تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في
يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على
قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك
الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عن نومك الا ما غلب
على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة وكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ
الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا
ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وامن بهذا تصديقا بالاعتقاد
القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان
تغفل عن الله تعالى طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك على خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك
مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي
ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ

لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه وهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء
الحاجة من همك التي تشغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همك واعلم انه ان كان
همك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله
لتقصد كمن قضاء حاجتك فعلامة ذلك يظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت
فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن
واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤونة
الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا
يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة وكل ما دفع عنك البرد عن
راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله
بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك وكل ما
حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسته وقدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت
ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان
غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك
ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه
دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا
جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على الزاد لاخرتك والاستعداد لخاتمتك
وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك
فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبر والتزود والاحتياط
هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاة في غير وقت
ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف
خوفك اذ لم يكن فيما وصفنا من امر الاخرة الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال
الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والعلماء وعلمهم
ومكانهم عند الله لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانتك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك

في احوالهم

في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط
مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا على الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من
خشية الله وما الله بغافل عما تعملون **بيان** احوال الانبياء والملائكة في الخوف روت عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة
ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرا عليه السلام اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله
تعالى وخر موسى صعقا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق وروي انه عليه السلام
كان اذا دخل في الصلاة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال عليه السلام ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد
فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله
اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري
وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت
وعن انس انه عليه السلام سال جبريل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت
النار وقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم
وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الثمر وياكل قال
فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة
منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني مثل كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في
قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله ان الله لم يامركم بكنز المال
ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا
ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام
اذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما
ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم
ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى

عليه التوبة والمغفرة وقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة وكان لا يبسط
كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يوتى بالقدح ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته
فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السما حتى
مات حيا من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت
رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك الهي انت اتيت اطبا عبادك ليداووا خطيئتي وكلهم عليك يدلني
فبوسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب
صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكا
على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكا ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطا وكان يعاتب على كثرة
البكا فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكا قبل تحرق العظام واشتعال الحشا وقبل ان تومر بي
ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقال عبد العزيز بن عمر لما اصاب
داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفا اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام
لما طال بكاوه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكاي فاوحى الله تعالى اليه
يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف
الما الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي
فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية
يا داود ادم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملايكتي والبسته ثوب
كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حوا امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته
عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك
عصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه
السلام كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب
النسا فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له الى البرية منبر فيامر سليمان ان ينادي بصوت يستقري
البلاد وما حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من
اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فليات قال فياتي الوحوش من البراري والاكام وياتي السباع

من الغياض

مطلب في بكاء داود عم

من الاكام الغياض وتاتي الهوام من الجبال وياتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع
الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرايل وكل صنف على حدته يحيطون به
وسليمان قايم على راسه فياخذ في الثنا على ربه فيضجون بالبكا والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت
الهوام وطايفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيمة وفي النياحة على نفسه فيموت
من كل نوع طايفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت
طوايف من بني اسرايل ومن الوحوش ومن الهوام فياخذ في الدعا فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد
بني اسرايل يا داود عجلت بطلب الجزا على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه
اتى بسرير فحمله عليه ثم يامر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان
الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار وكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله
ذكر النار يا من قتله خوف النار ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته
واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فياتي سليمان ويقعد على
الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك
القرص ما شا الله ثم يخرج الى بني اسرايل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات
يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة الاف
قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه
مخافة ان تتفرق اعضاوه فيموت وقال ابن عمر دخل يحيى بن زكريا عليه السلام بيت المقدس وهو
ابن ثماني حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي
وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر
بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب فاتى ابويه فسالهما
ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتى
عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه
على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الما وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك
لا اذوق بارد الما حتى اعلم اين مكاني منك فسالاه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب

بُرِّدَ لك الماء ففعل ولكز عن يمينه فدحرج بالبرد أواه إلى بيت المقدس وكان إذا قام يصلي بكى
حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى أحرقت دموعه لحم خديه
وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك شيئاً تواري به أضراسك عن الناظرين
فأذن لها فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقتهما على خديه وكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت دموعه
في القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه
أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي
فقال يحيى يا أبه إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء قال زكريا عليه السلام
فابك يا بني وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على
المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب
الفردوس قليل وقيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في
ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبريل
إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله
بالله تعالى وصفاته **بيان** أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف روي
أن أبا بكر الصديق قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً وقال أبو ذر وددت لو أني شجرة
تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمن وددت أني إذا مت لم أبعث وقالت عائشة وددت
أني كنت نسياً منسياً وروي أن عمر كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه
وكان يعاد أياماً وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئاً
مذكوراً يا ليتني لم تلدني أمي يا ليتني كنت نسياً منسياً وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان
أسودان من الدموع وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا
يوم القيمة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه إذا الشمس كورت فانتهى إلى قوله وإذا
الصحف نشرت خر مغشياً عليه ومر يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يسمع
فلما بلغ قوله إن عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً ورجع إلى منزله
فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي وقد سلم عن صلوة الفجر وقد علاه كآبة
وهو يقلب

وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم يشبههم لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم
أمثال ركب المعزى قد باتوا سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم فإذا
أصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله
كأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين
لوددت أني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت أني كبش
فذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه فيقول له
أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وقال موسى
بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ عند القاري
يوماً هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم أفاق وقال وعزتك
لا عصيتك جهدي أبداً فأعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن
من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً حتى أتى عليه رجل
من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً فقال أنا من المجرمين
ولست من المتقين أعد علي القول أيها القاري فأعاده عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ
عند يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد
من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار
الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب
وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك بن دينار فلما رأيت ذلك وضعت
يدي على رأسي صارخاً أقول ثكلت مالكاً أمه وروي أن الفضيل رئي يوم عرفة والناس
يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه
إلى السماء ثم قال واسوأتاه منك وإن غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيمة موعدنا
وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس
مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري إلى الجنة تصير أو إلى

النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا
جلس جلس مستوفزا على قدميه فقيل له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ عصيت الله
عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية
الله وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان آمرهم ان يقيدوني وان يغلّوني ثم ينطلقوا بي الى
ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة
ولقد لقي آدم عليه السلام ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ما
ذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى ولم ينتفع بلقائه
اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي
وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل
على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة
وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك احدثت حدثا
موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي
وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا
ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من
الانصار دخلته خشية النار وكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل
عليه واعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي
عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة
ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله تعالى قد بين لنا انا واردون
النار ولم يبين انا صادرون عنها وقيل ليزيد الرقاشي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال
بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه
فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله تعالى الجنة ابدا
انما كان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة
ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق

في بطنه

في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او
برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة
الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام
وغارت اعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون
كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان
العاصين فبينا هم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد
وجبينه يرشح عرقا فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسألوه عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت
الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة
فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني
يا يزيد فقال يا امير المؤمنين اعلم انك اول خليفة تموت فبكى ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك
وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم
اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه ورأى
داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري اي خديك بدأ به
الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي
فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل
سألت الله عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن
قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم
لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه اشار الى معنى قوله عليه السلام لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث
انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك

وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروي الفضيل يوما وهو حزين فقيل له ما لك فقال لا ادري
وكان يبكي والقلب من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا
تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة وحكي ان اقواما
وقفوا لعابد فقال لهم ما الذي يكفيكم يرحمكم الله تعالى روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي
قال روعة البدا بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي
عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم
فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرات اذ الاغلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون الآية فشهق الرجل شهقة خر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى
آخر فدخلنا عليه فقرات هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه واستاذنا على ثالث فقال ادخلوا ان
لم تشغلونا عن ربنا فقرات ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل
يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه
مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستاذنا فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا
شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ
بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع
ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا تشغلون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم
فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حالته مبهوتا
متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد
حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا ابدا فما روي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل
سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك
وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف
اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة
حتى توسطوا البحر ______ فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي
حال هم قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز
على عمر

على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت
في منامها فقالت يا امير المؤمنين اني رايت والله عجبا قال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على
اهلها ثم جي بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجي بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه
الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جي بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة
خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المؤمنين اني رايتك والله قد نجوت اني
رايتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى ان اويسا القرني رحمه الله
كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه
الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم
وراءه وكان طاوس يفرش فراشه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة
حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف
عام ويا ليتني ذلك الرجل وانما ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال
وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر
عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان
يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل
وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت
اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين
طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس الآخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت
انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت له يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك
لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام
فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فقال فهذه
مخاوف الانبيا والاوليا والعلما ونحن اجدر بالخوف منهم ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفا
القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت
علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة

سئل ابن عبد السلام عن معنى فمضى عليه الا
يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى
فقال هيه قالت ثم جي

الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخايفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان
تتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا اذ كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد
ينفعنا ومن العجايب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى
وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب
اقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو
الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى اليه رجاونا وبه
اعتزازنا ينادينا ويقول ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا واماينا فما هذه الا محنة هايلة
ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله ان يتوب علينا بل نساله ان
يشوق الى التوبة سراير قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن
نقول ولا نعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جا وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا
علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر
من حكاية احوال الخايفين على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفى والكثير
منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغنى ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك
الخولانى وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيه المحزون من شدة
الوله ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالنى منظره فقلت ايها الراهب
اوصنى بوصية احفظها عنك فقال يا اخى باذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل
قد احتوشته السباع والهوام فهو خايف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه
الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون وفى الحزن في نهاره وان فرح
البطالون ثم ولى وتركنى فقلت لو زدتنى شيا عسى ان ينفعنى فقال ان الظمان يجزيه من الما ايسره
ولقد صدق فان القلب الصافى يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما
ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغى ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق
فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب
والشهوة

والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والريا وغيرها وهى التى لا تزال تفترسك وتنهشك ان
سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطا ووضعت في قبرك عاينتها
وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد
احدقت بك في قبرك وانما هى صفاتك الحاضرة الان قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها
وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر
بشرتك في جسمك والسلام . اخر كتاب الخوف والرجا

ويتلوه كتاب الفقر والزهد ان شا الله تعالى

كتاب الفقر والزهد وهو الرابع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى يسبح له الرمال وتسجد له
الظلال وتندكك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته
باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب
الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيايه حضرة
الجلال فلاح له من البهجة والبها والكمال ما استقبح دون مبادى اشراقه كل حسن وجمال
واستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امراة
جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوها عجنت من طينة الخزى وضربت في قالب
النكال وهى متلفعة بجلبابها لتخفى قبايح اسرارها بلطايف السحر والاحتيال وقد نصبت حبايلها
في مدارج الرجال فهى تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجترى معهم بالخلف في مواعيد الوصال
بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف
للعارفين منها قبايح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر
بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واكتفوا منها بوصال ليس له انفصال ومشاهدة
ابدية لا تعتريها فنا ولا زوال والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى اله خير ال اما بعد فان
الدنيا عدوة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيات
وبغضها ام الطاعات وراس القربات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب

فصل

ذم الدنيا

مطلب الفرق بين الزهد والفقر

ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر اخر منه ونبدا بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر

وفيه بيان الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقرا وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطا وبيان تحريم السوال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسوال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا

مطلب الزاهد

تعريف الفقير

اخذه

اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما ينفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان تسمى هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد وهو يفرح به وهو فقير الى بقا المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول في يده فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شي واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشيا اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين

مطلب الزهد درجة كمال الابرار

وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى
حجاب عن الله إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فإنه أقرب إليك من حبل الوريد
وليس هو في مكان حتى تكون السماوات والأرضون حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك
بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشهوات نفسك فلذلك
لا تزال محجوبا عنه والمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن
الله بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فإن
التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو حالة اشتغال
قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق
ولم يلتفت إليه وكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا
النظر إلى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب
إلى غير المحبوب بغضا وحبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب
في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في
غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب إذ يرجى له
أن ينتهي حاله إلى أن يزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا
مطية توصل إلى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة
وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستدبر للكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالإضافة إلى الحال
في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر
إذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها
حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها فلا ينبغي أن يظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه
بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله
من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فبين أن سلوك
طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فإذن قد ظهر أن
الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة
في عدمها

مطلب حب الدنيا وبغضها شغل عن الله تعالى

مطلب طريق الآخرة وراء الزهد

راضي قانع حريص مستغني

في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغني
بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا
قلته يؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن الماء محتاج إليه كما أن المال محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله
بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد وهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة وإنما
الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم
علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي
بيانه في كتاب التوكل قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان إن مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب
إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها فإن العدو يوسوس إلي أن اللص قد أخذها فقال أبو سليمان هذا
من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها من أين أن كراهية كون الركوة في بيته
التفات إليها بسبب الضعف والنقصان فإن قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا
منه كل النفار فأقول كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ونفروا عما وراءه ولم يجمعوه
في القرب والروايا يديرونه مع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه لا أنهم
كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان تستوي عندهم الماء والمال والحجر
وما نقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن خاف إن لو أخذ أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه
إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع
الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار
نزولا إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم
بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه بأنه لو أخذها أخذها أولاده إذا
رأوها فهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء وقد عرفت إذن أن المراتب
ست وأن أعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص وأما المضطر فيتصور
في حقه أيضا الزهد والرضى والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقر

يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغنى فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمى فقيرا فبمعنى اخر وهو
معرفته بكونه محتاجا الى الله فى جميع اموره عامة وفى بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير
له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم
العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقر فاسم
الفقر مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعوذ بك من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احينى مسكينا وامتنى
مسكينا اذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله
تعالى هو الذى فى دعائه بيان فضيلة الفقر مطلقا اما من الايات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض
ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة
على مدح الفقر واما الاخبار فى مدح الفقر فاكثر من ان تحصى روى عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اى الناس خير فقالوا موسر من المال يعطى حق الله فى نفسه
وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى جهده وقال
عليه السلام لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب الفقير
المتعفف ابا العيال وفى الخبر المشهور يدخل فقراء امتى الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفى خبر اخر
باربعين خريفا اى اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير على الغنى الحريص والتقدير بخمسمائة
تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك ضرورة
تفاوت ما بين الفقرائى درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد
اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظن ان تقدير رسول الله يجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق
بل لا ينطق عليه السلام الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وهذا كقوله
عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس
فى قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين واما بالتحقيق فلا اذ تعلم ان النبوة عبارة عما يختص
به النبى ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة
بالله

مطلب فى توفيق الحديثين المتعارضين فى حق الفقر

مطلب فى معنى ان الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة

بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق
والكشف والثانى ان له فى نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم
الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهى القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله
والثالث ان له صفة يبصر بها الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك
بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون فى الغيب اما فى اليقظة واما فى المنام اذ بها
يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام
كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين ويمكننا ان نتكلف تقسيمها
الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات
الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين ولا يدرى تحقيقا انه الذى اراده عليه السلام ام لا وانما المعلوم
جامع الصفات التى بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم
ان للفقراء درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
حتى لم يعطه من التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة وما يقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة
غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين لا يوثق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى امثال
هذه الامور فان الضعيف الفطن قد يظن ان ذلك جرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال عليه السلام خير هذه
الامة فقراؤها واسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها وقال عليه السلام ان لى حرفتين اثنتين فمن احبهما
فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى الفقر والجهاد وروى ان جبريل نزل على رسول الله فقال
يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت
فاطرق رسول الله صلعم ساعة قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له فقال جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى ان عيسى عليه السلام مر فى
سياحته برجل نائم ملتف فى عباءه فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد منى انى قد
تركت الدنيا لاهلها فقال له نم اذن حبيبى ثم ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت
راسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءه فقال يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضايع

الينبوع

تنتر

فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت انى اذا نظرت الى عبدى زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي
رافع قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود
خيبر فقال قل له يقول محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن
فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما والله انى لامين فى اهل السما امين فى اهل الارض ولو
باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الاية تعزية له صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال
عليه السلام الفقر ازين بالمومن من العذار على خد الفرس وقال عليه السلام من اصبح منكم معافا فى
جسمه امنا فى سربه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله
لموسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطا الخراسانى مر نبى من الانبيا
بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها شى ثم مر باخر فقال
بسم الشيطان والقى شبكته فلم يخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبى يا رب
ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل للملائكة اكشفوا لعبدى عن منزلتهما فلما راى
ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال يا رب رضيت وقال نبينا عليه السلام
اطلعت فى الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت فى النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا وفى لفظ
اخر فقلت اين الاغنيا فقال حبسهم الجد وفى حديث اخر ~~وفى حديث اخر~~ فرايت اكثر اهل النار
النسا فقلت ما شانهن فقال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال عليه السلام تحفة
المومن فى الدنيا الفقر وفى الخبر اخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه واخر اصحابى
دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه
السلام بشدة يدخل الغنى الجنة وفى خبر عن اهل البيت انه عليه السلام قال ان الله اذا احب عبدا
ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفى الخبر
اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباوك من خلقك حتى احبه لاجلك فقال كل فقير فقير
فيمكن ان الثانى للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الفقر وقال عيسى عليه السلام انى لاحب

على منزله

لاحب المسكنة وابغض النعما وكان احب الاسامى اليه ان يقال يا مسكين ولما قال سادات العرب
واغنياوها للنبى عليه السلام اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجى ونجى اليك ولا يجيون يعنون
بذلك الفقرا مثل بلال وسلمان وصهيب وابى ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابى هريره واصحاب
الصفة من الفقرا فاجابهم النبى الى ذلك لانهم شكوا اليه التاذى برايحتهم وكان لباس القوم الصوف فى
شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروايح من ثيابهم فاشتد على الاغنيا ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمى
وعيينة بن بدر الفزارى وعباس بن مرداس السلولى وغيرهم فاجابهم رسول الله الا يجمعهم واياهم
مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقرا تريد زينة الحياة الدنيا يعنى الاغنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا يعنى الاغنيا وقل الحق من ربكم مع الفقرا فمن شا فليومن الاية واستاذن ابن ام مكتوم على
النبى عليه السلام وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبى عليه السلام فانزل الله تعالى
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعنى ابن ام مكتوم اما
من استغنى فانت له تصدى يعنى هذا الشريف وعن النبى عليه السلام يوتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر
الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك
لهوانك على ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى الى هذه الصفوف وانظر
من اطعمك فى او كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يوميذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر
من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقرا واتخذوا
عندهم الايادى فان لهم دولة فقالوا وما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من
اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال عليه السلام دخلت
الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى اعلاها فاذا فقرا امتى واولادهم
ونظرت فى اسفلها فاذا فيه من الاغنيا والنسا قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النسا فاضر
بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابى فلم ار
عبد الرحمن بن عوف ثم جانى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى فقال اما والله يا رسول
الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت انى لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب
بمالى فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله وهو من العشرة

المخصوصين بانهم من اهل الجنه وهو من الاغنيا الذين قال فيهم رسول الله الا من قال بالمال هكذا وهكذا
ومع هذا فقد استنصر بالغنى الى هذا الحد ودخل عليه السلام على رجل فقير ولم ير له شيا فقال لو
قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال عليه السلام الا اخبركم بملوك اهل الجنه قالوا بلى يا رسول
الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وقال عمران
بن حصين كانت لي من رسول الله منزله وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزله وجاها فهل لك في
عياده فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فاتى باب فاطمة فاستاذن
فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة
والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباه قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي
قد وارته فكيف براسي فالقى اليها ملاة كانت عليه خلقه وقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل
فقال عليه السلام السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعه وزادني وجعا
على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله وقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله وقال لا تجزعي يا بنتاه
فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن اثرت الاخره
على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيده نسا اهل الجنه قالت فاين
اسيه امراه فرعون ومريم بنت عمران قال اسيه سيدة نسا عالمها ومريم سيدة نسا عالمها وخديجه
سيدة نسا عالمها وانت سيدة نسا عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب
لها ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخره وروي عن علي
عن النبي عليه السلام قال اذا ابغض الناس فقراهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم
رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانه من ولاه الحكام والشوكه
من الاعدا واما الاثار فقد قال ابو الدردا ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا
من ذي الدرهم وارسل عمر الى سعيد بن عامر بالف دينار فجا كيبا حزينا فقالت امراته احدث
امر قال اشد من ذلك ثم قال ارني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي
الى الغداه ثم قال سمعت رسول الله يقول يدخل فقرا المسلمين الجنه قبل الاغنيا بخمسمايه عام حتى
ان الرجل من الاغنيا يدخل في غمارهم فيوخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلثه يدخلون الجنه
بغير

بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب له على مستوقد قدرين ورجل
دعا بشرابه فلا يقال ايها تريد وجا فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان
الاغنيا من اصحابه يودون انهم فقرا لكثره تقريبه الفقرا واعراضه عن الاغنيا وقال المومل ما رايت الغني
اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقرا اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكما مسكين ابن ادم لو
خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنه كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله
في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين وقال ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر
وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقرا
من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي
الاخبار عن الكتب السالفه ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه احذر ان امقتك فتسقط من عيني
فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عايشه تفرق مايه الف درهم في يوم واحد توجهها الى معاويه
وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجاريه لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت
صايمة فقالت لو ذكرتني فعلت وكانت قد اوصاها رسول الله وقال ان اردت اللحوق
بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجا رجل الى ابراهيم
بن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه ان يقبلها فطلب اليه الرجل فقال له ابراهيم تريد ان امحو اسمي
من ديوان الفقرا بعشرة الاف لا افعل

بيان فضيله خصوص الفقرا من الراضين والقانعين والصادقين

قال عليه السلام طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال عليه السلام يا
معشر الفقرا اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر
هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الوارده في فضل الفقر تدل على
ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهه لفعل الله في حبس الدنيا عنه
ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهه هي التي تحبط
ثواب الفقر وروي عن عمر عن النبي عليه السلام انه قال ان لكل شي مفتاحا ومفتاح الجنه حب المساكين
والفقرا الصبر هم جلسا الله تعالى يوم القيمة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه
قال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال النبي عليه السلام

اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في
الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقرا الصادقون وقال
عليه السلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال عليه السلام يقول الله تعالى يوم القيمة اين
صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقرا المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري
ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي
واما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شا الله تعالى واما الاثار في الرضى
والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس
غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس ونفع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي
من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدردا ما من احد الا وفي عقله نقص
وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا ومسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه
ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما
يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ
نظر الى رجل في فنا القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجيني به
فلما قام جا به اليه فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم
قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر
رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك
على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الاخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا
فيبله بالما وياكله ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن رحمه الله لعن الله
اقواما اقسم لهم ثم لم يصدقوه ثم قرا وفي السما رزقكم وما توعدون فورب السما والارض انه
وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته فقالت له اتجلس بين هولا والله ما في
البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي
راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكما ما مالك
قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل
قال في

قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك
منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ... واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... ان الغني من استغنى عن الناس

وقيل ايضا:

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ... مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تاتيه منيته ... اغاديا ام بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل هل جمعت له ... يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون
الى تفضيل الفقر وقال ابن عطا الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد
دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت
بين الصبر والشكر وبينا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما
الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرا الاخبار والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من
تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو راض
او قانع بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص
مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الحريص الممسك وان الغني المنفق في الخيرات افضل
من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال
والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا فيما نحسبه فاما
الغني المتمتع بالمال في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر
ان الفقرا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد

فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنيا فتعلم الاغنيا ذلك فكانوا يقولونه
فعادوا الى رسول الله فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشا وقد استشهد ابن عطا
ايضا لما سيل ذلك فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا
تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلكا الثواب
فضل الله يؤتيه من يشا فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقرا رسولا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقرا اليك فقال مرحبا بك وبمن جيت من عندهم جيت من عند قوم احبهم
قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا
مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي عليه وسلم بلغ عني الفقرا ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث
خصال ليست للاغنيا اما خصله واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى
نجوم السما لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير والثانيه يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا
بنصف يوم وهو خمسماية عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر
كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا وهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشا اي مزيد
ثواب الفقرا على ذكرهم واما قوله ان الغني وصف الحق فقد اجاب به بعض الشيوخ فقال ارى ان الحق غني
بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون
افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبوديه افضل للعبد كالخوف
والرجا وصفات الربوبيه لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبيه عليه السلام
الكبريا ردايي والعظمه ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقا شرك في الربوبيه
ومنازعة فيها لانه من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في الغنى والفقر وحاصل ذلك يتعلق
بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصره لا يبعد مناقضتها اذ كما ناقض قول من فضل الغني على
الفقر بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من فضل الفقر بانه وصف العبد بالجهل والغفله
لان العلم والمعرفه وصف الرب والجهل والغفله وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفله على
العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد
لغيره

لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عايقه
عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن الله وعدم الشاغل عنه
وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان وعثمن وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه
عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك
سبيل المعرفه مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما
الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه
او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم
عنها يطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في
حقهما كالما استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجه
افضل من فقده اذ الجايع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفه وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير
عن الخطر ابعد اذ فتنه السرا اشد من فتنه الضرا ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابه
بلينا بفتنه الضرا فصبرنا وبلينا بفتنه السرا فلم نصبر وهذه خلقه الادميين كلهم الا الشاذ الفاذ
الذي لا يوجد في الاعصار الكثيره الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضرا
اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه الله تعالى وفضل الفقر ومدحه حتى
قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض
العلما تقليب الاموال يمص حلاوه الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامه الدينار والدرهم
وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضه ايضا فاستوا المال والما والذهب والحجر
انما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبي عليه
السلام يقول للدنيا اليك عني اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول
يا صفرا غري غيري ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا
ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما
الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به
وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار

راحة في بدنها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة
وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت
اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مومنا
بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره
فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من
احدهما بقدر بعده من الاخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب
من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الاخر فعين حب الدنيا هو عين بغض
حب الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا او انسه بها فاذا افضل الغني
والفقير بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة قدم وموضع
غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما
يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم
انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم
الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق اذ ذاك انه كان مغرورا وان العشق
كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا
كان ذلك محالا او بعيدا فليطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه
بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان
ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تاثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ
عن غير المذكور كتاثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا
مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني تنفس
فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فراى
شيا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل
لبشر بن الحرث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز
فادع لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة
على مزبلة

مطلب عين حب الدنيا عين بغض حب الله

مطلب الفقر اصلح لكافة الخلق

على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من
الاغنياء وقد كان ابو بكر الصديق يقول اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف
واذا كان مثل الصديق في كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده
هذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك يطول حسابه في عرصات القيمة ويطول
انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب
كما راه رسول الله ولهذا قال ابو الدردا ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطيني فيه صلاة
وذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك
قال سفيق اختار الفقرا ثلثة اشيا والاغنيا ثلثة اشيا اختار الفقرا راحة النفس وفراغ القلب
وخفة الحساب واختار الاغنيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطا
من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان
يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقايه فلا يضاهي غناه غنى الله لان
الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان
الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا
تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق
الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق يصير التسعة
والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان
التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن
على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف
والايذاء وليس ذلك من وصف الله وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك
والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس
فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل
والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله تعالى منها فلو راى نفسه بهذه الصفة
دونه بحقيقة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلا له ولايقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له

إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فالجهل بذلك
وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يختم للكافر بالإيمان وقد يختم له بالكفر فلم
يكن ذلك لا نقصا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة وإنما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في
حقه لأنه من صفات الله وإنما كان معرفة بعض الأشياء قد يضره صار ذلك العلم نقصا في حقه إذ
ليس من أوصاف الله علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور في العبد من صفات الله
فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فإذن لو استوى عنده وجود المال
وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى
فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال
الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص
واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فأي حالتيه
أفضل فنقول ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين
ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لأن الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على
الذكر والفكر إلا قدرة مدخولة بشغل والمكتفي هو القادر ولذلك قال عليه السلام اللهم اجعل
قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن
كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على
سلوك سبيل الدين فحالة الفقد أصلح وأفضل لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في
أن كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد ليس يتعرض
لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن
إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبتغي الخلاص
منه ومهما استوى الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا إلى الدنيا فحاله
أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا وقد
قال عليه السلام إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وهذا تنبيه
على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك
وهي الدنيا

وهي الدنيا فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك
لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد للدنيا
بالدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصا عليها فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو
الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي
عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم
والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه
إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه
أقل فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر
ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على
حفظ المال ولم يكن تفجعه لفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن
بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند
الله فيه **بيان آداب الفقير في فقره** اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته
وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله به من الفقر
أعني لا يكون كارها فعل الله من حيث إنه فعله وإن كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها
للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة
فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ويحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام
يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وأرفع من هذا أن لا
يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل
الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله وواثقا به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون
كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضوان الله عليه إن لله عقوبات بالفقر ومثوبات
بالفقر فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله
ويشكر الله على فقره ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر
الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط ويرضى

او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطى عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل
وهم وطول حساب. واما ادبه ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل
يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر
من كنوز البر واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي ما احسن
تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه
رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري
اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين
اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغي
ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء، واما ادبه في افعاله فان لا يفتر
بسبب الفقر عن عبادة الله ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من
اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم
من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض
ماله مائة الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار
صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الالف وينبغي ان لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي
وفي الادخار ثلث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية
ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى
ففهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة
وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم
خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص
في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة **بيان ادب الفقير في قبول العطا
اذا جاءه بغير سؤال** ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي
وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة
فليحترز

فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب
واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو
الصدقة والزكاة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول
وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان
كان فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض فقد اهدي لرسول
الله سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان عليه السلام يقبل من بعض الناس
ويرد على بعض وقال لقد هممت الا اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين
وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي عليه السلام انه قال من اتاه
رزق من غير مسالة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها وكان
الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق بباب خراسان فرد ذلك
وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل
على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي
يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه
صديقه شيئا قال اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني
حتى اخذ والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول
صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال
بشر ما سالت احدا قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء
من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله
فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في
الخل والبقل بل في الحلاوى والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما احد ببغداد امن علي منك
فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة
فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا
تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان

مقارنا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام
اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي فان لم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث
ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له
على غرضه الفاسد وكان سفين الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به
لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم شفقا ونصحا لهم لانهم
يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر
اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها في المعطي
فالافضل له الاخذ قال النبي عليه السلام ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا وقال
عليه السلام من اتاه شي من هذا المال من غير مسلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ
اخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل الى
احمد بن حنبل شيا فيرده فقال له السري يا احمد احذر افة الرد فانه اشد من افة الاخذ فقال له احمد
اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك
فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد خاف العلما ان يكون في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلا بطمع او دخول
في شبهة وغيره فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه
او التكفل بامور الفقرا والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فان كان مشغولا بنفسه
فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا لطريق الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله
فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يرتع فيه ثم له مقامان
احدهما ان ياخذه في العلانية ويرد في السر ويفرقه في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على
النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من
هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد
ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاوه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب
من موضعه واما امتناع احمد عن قبول عطا سري السقطي رحمهما الله فانما كان لاستغنايه
عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك افات
واخطارا

واخطارا والورع يكون حذرا عن مظان الافات اذ لا يامن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين
بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي
جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت
في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها فاخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة
ثمن ميزرين وواحد انفقه ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرايته الليلة الثانية وعليه ميزران
جديدان فهجس في نفسي منه شي فالتفت الي فاخذ بيدي فاطاف بي معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من
معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت وجوهر ولولو ولم يظهر
ذلك للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذاك
للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلا وفتنة لينظر الله
اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة تاتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الابتلا والرفق قال تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال عليه السلام لا حق لابن ادم الا في
ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذن انت في اخذ
الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله تعالى
متعرض للعذاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا
لصفة النفس فتاتيك عفوا صفوا ليمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص
لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد
فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك
السخا والبذل والتكفل بحقوق الفقرا وتعهد جماعة من الصلحا فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير
زايد على حاجة الفقرا وبادر فيه بالصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة
واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقرا جماعة اتخذوها
وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق
وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان
رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضا قضاه الله تعالى عنه وارضى غرماه وذلك بشرط

ان يكون مكشوف الحال عند من يعرضه فلا يغتر المعترض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنه
ليتقدم على ايراده على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات وقد
قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه
فليستقرض بجاهه فذلك قد آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله
عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقويا والاسخيا
والاغنيا فقيل من هؤلاء فقال اما الاقويا فهم اهل التوكل على الله تعالى واما الاسخيا فهم اهل حسن
الظن بالله واما الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله فاذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال
وفي المعطي فلياخذه وينبغي ان يرى ما ياخذ من الله لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطا
وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس
دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل
يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا
شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان
اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني
هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على
ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر مأجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه اعلم انه قد وردت مناهي
في السؤال وتشديدات وورد ايضا فيه ما يدل على الرخصة اذ قال عليه السلام للسائل حق
وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال حراما مطلقا
لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطا اعانة فالكاشف للغطا فيه ان السؤال حرام في
الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما
قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله
اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك
لو سال لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله وهذا ينبغي ان يحرم
ولا يحل

ولا يحل الا بضرورة كما تحل الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن
ان يذل نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزة فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي
ان يذل لهم الا بضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء
المسؤول غالبا لانه ربما لا يسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو
حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل
نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام
الا بضرورة فمهما فهمت هذه المحذورات الثلاثة فهمت قوله عليه السلام حيث قال مسألة الناس
من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة
انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال عليه السلام من سال عن غنى
فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه
لحم وفي لفظ آخر كانت مسالته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد
وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة
خفية ولا تسالوا الناس شيئا وكان عليه السلام كثيرا ما يامر بالتعفف عن السؤال ويقول من سالنا
اعطيناه ومن استغنى اغناه الله قال ومن لم يسالنا فهو احب الينا وقال عليه السلام استغنوا
عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر سائلا يسال
بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية فقال الم اقل لك عش
الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم
اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد فلولا ان سؤاله كان
حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من
فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تاديب فقد ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة
والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين
يظهر الفقها كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده
افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله

وحاشاه ان اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعه النبي صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك معصية بل الثقة
الذي لاح له فيه انه راه مستغنيا عن السوال وعلم ان من اعطاه شيا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد
كان كاذبا فلا يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه ولا يعرف اصحابه باعيانهم
فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقه وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السايل
مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي
والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في
مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على مالكه فاستدل بفعل عمر
على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقها وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه
على بطلان فعل عمر فاذا عرفت ان السوال يباح بضروره فاعلم ان الشي اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا
اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفه او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال الجايع
عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسوال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح
مهما وجد بقيه الشروط في المسوول بكونه مباحا والمسوول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السايل بكونه عاجزا
عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السوال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط
فهو قادر على الكسب بالوراقه واما المستغني وهو الذي يطلب شيا وعنده مثله وامثاله فسواله حرام
قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمه فكالمريض الذي يحتاج الى دوا ليس يظهر
خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبه ولا قميص تحتها في الشتا فهو يتاذى بالبرد
تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكرا وهو قادر على المشي بمشقة فهذا ايضا ينبغي ان
تسترسل عليه الاباحه لانها ايضا حاجة محققه ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسوال تارك للاولى ولا
يسمى سواله مكروها مهما صدق في السوال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يوذيني اذى اطيقه ولكن
يشق علي فاذا صدق فصدقه تكون كفارة لسواله ان شا الله واما الحاجة الخفيفه فمثل سواله قميصا
ليلبسه فوق ثيابه ليستر الخروق من ثيابه عن اعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد للخبز
وكمن يسال لكرا الفرس في الطريق وهو واجد كرا الحمار او يسال كرا المحمل وهو قادر على الراحله فهذا
اذا كان فيه تلبيس حال واظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شي من المحذورات
الثلث

الثلث من الشكوى او الذل او ايذا المسوول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان يباح بها هذه
المحظورات وان لم يكن فيها شي من ذلك فهو مباح مع الكراهية فان قلت فكيف يمكن اخلا السوال عن
هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغنا عن الخلق ولا يسال سوال المحتاج
ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونه النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضل على الحاجة وفضول
من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فبان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه
ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سواله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود
مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنه لا محاله واما الايذا فسبيل
الخلاص منه ان لا يعين شخصا بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبه
وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذا فانه ربما يبذل خوفا من الملامة ويكون
ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال معينا فينبغي ان لا يصرح
بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه
غير متاذ به وينبغي ان يسال من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحيا من السايل يوذي كما ان الريا
مع غير السايل يوذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحيا منه او من الحاضرين
ولولاه لما ابتدا به فهو حلال او شبهه فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامه وحكمه حكم اخذ
مال الغير بالضرب والمصادره اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه
بسوط الحيا وخوف الملام وضرب الباطن اشد نكايه في قلوب العقلا ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر
قد رضي به وقد قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير فان هذه ضرورة القضاه
في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقراين الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان
مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضروره دعت اليه وهذا سوال عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه
احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنه عند ساير الحكام فلا تنظر في مثل هذا الى فقيه وان افتوك
وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهاده ومفتي القلوب هم علما الاخره
وبفتواهم النجاه عن سطوة سلطان الاخره كما ان بفتوى الفقيه النجاه عن سطوة سلطان الدنيا
فاذن ما ياخذه مع الكراهه لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه رده على صاحبه فان كان يستحيي من

ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون راضيا في الباطن فاقول لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا وكان بشر لا ياخذ من احد شيئا اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل لضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة وكان الامتناع طريق الورعين وارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله في الكبش والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لرياسة وسمعة وكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا منه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة وقد سال ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان فقد كانوا ياخذون من اموالهم بغير سؤال واستئذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضى القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فانما كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا في الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلوب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن

الاحوال

الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب ابيه او احد قرابته فياكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكله او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم ان قوله عليه السلام من سال عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله قالوا وما هو قال غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث آخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وفي لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق به الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته واما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فليقتصر من العدد على واحد

ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام فضله وقطعه بالكليه اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينه فاما السوال للزينه والتوسع فهو سوال عن ظهر غنى واما بالاضافه الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليله وثوب يلبسه وماوى يكنه فلا شك فيه فاما سواله للمستقبل فهذا له ثلث درجات احديها ما يحتاج اليه في السنه ولبعد بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنه فسواله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير يكفي المنفرد في السنه اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنه فان كان قادرا على السوال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السوال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فتكفيه غدا يوم وعشا ليله وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السوال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السوال لان امل البقا سنه غير بعيد ومع تاخير السوال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عن بعثه فان كان خوف العجز عن السوال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السوال خارجا عن محل الضروره لم يخل سواله عن كراهة وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السوال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله عز وجل فيستفتي فيه قلبه ويعمل به اذا كان سالكا طريق الاخره وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجي الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغا الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسوال من الفحشا التي ابيح بالضروره وحال من يسال لحاجة متراخيه عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنه اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة ورا السنه وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن

حب الدنيا

حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقه بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات

بيان احوال السايلين

كان بشر رحمه الله يقول الفقرا ثلثه فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الفاقه فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السوال وعلى انه مع الفاقه يحط المرتبه والدرجة وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك فقال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فظن انه لما وصفهم بترك السوال فقد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقرا عندك يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضى والصبر والشكر والسوال كثيره فلا بد لسالك طريق الاخره من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلا عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حاله يقتضي ان يكون السوال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى ان بعضهم راى ابا الحسين النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم من الاخره فيوجرون من حيث لا يضره وكانه اشار به الى قوله عليه السلام يد المعطي هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضه والقاها على المايه ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصره الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائه وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيا واخذ ما زاد على المايه قال فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المايه لنفسه طلبا لثواب الاخره وطرح عليها قبضه بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله

مطلب الفقراء ثلثة انواع

تبارك وتعالى ووددت ما جعله لنفسه قال فردد تها الى الجنيد فبكى فقال اخذ ماله ورد ما لنا الله
المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
قلب صاحبه من غير مناطقه باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال
وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمه فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل
كمن ينكر مثلا كون الدوا مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم
يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يوثر في حقه لخاصيه لعله في باطنه فاخذ ينكر كون
الدوا مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكن ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد
رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهذا صاحب الذوق والمعرفه وقد وصل الى عين
اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم
اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبه وان كان دون عين اليقين ومن
خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين
الذين هم قتلى القلوب الضعيفه واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين
امنا كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل
الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشه وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام
من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كما قال السلف يرجع الى عقد وقول وعمل
وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه
وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر
والعمل من الحال يجري مجرى الثمره فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني به ما
يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبه عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شي الى غيره
بمعاوضه وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافه الى
المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافه الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد
مرغوبا

مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا فيه بوجه
من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر وما اشبهه لا يسمى
زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط
المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى يغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشترى
عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافه الى المبيع زهدا فيه وبالاضافه الى العوض عنه رغبه وحبا
ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدوده وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق
الشرا بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك
عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالاخره فهو زاهد في
الدنيا ومن باع الاخره بالدنيا فهو زاهد ايضا ولكن العاده جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد
في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصه وان كان هو للميل في وضع اللسان ولما
كان الزهد رغبه عن محبوب بالجمله لم يتصور الا بالعدول الى شي هو احب منه والا فترك المحبوب
بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد
المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخره بل طمع في
الحور والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ
الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل
في الزينه لا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي
في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبه عن بعض المعاصي صحيحه فان التوبه عبارة عن ترك
المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك
بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا
وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العاده تخصص هذا الاسم بترك المباحات
فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخره او عن غير الله تعالى عدولا الى الله وهي
الدرجه العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا
عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال

مطلب العلم في الزهد

فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا فمتى ذا زهدت واما العلم الذي
هو المثمر لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير
من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع وكذلك من عرف
ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج
مثلا وهو ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجوهر واللآلي فهكذا
مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر
الذي لا فناء له وبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة
حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من
العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا
اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما
لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة
بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة
ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له النبي عليه السلام
لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها
حقيرة كما هي وكل مخلوق هو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة
الا ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض
مثلا لانه مستغن عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه
فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد
هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزاهد

مطلب العمل

فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى وكما ان العمل الصادر
من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود

بالكلية

فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل
حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح
وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ
والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا
في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان
العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده
اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا
وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة
الامساك وعلامة الزهد الاخراج وان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد
فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد
لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انه وان لم
تاتك الدنيا فانت زاهد فيها فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا
لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها
فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في
المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال
القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس
ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون ايضا من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد
قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط
وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة الا رد علينا
يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت عليه فهرب
منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله انا نحب ربنا ولو علمنا
في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم

ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم منهم نعني من القليل
قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم
انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى
سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل له منه في العبادات وانما الزهد ان يترك
الدنيا للعلم بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فيتصور ممن لا يؤمن
بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر
وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنأ من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم
طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثنا والاشتهار بالفتوة والسخاء
او استثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس
من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو
قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها
فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره او تركها طمعا في ثواب
الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في
الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة
الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا
لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال
تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من
احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا

الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ووصف الكفار
بذلك فمفهومه ان المؤمن يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحياة الدنيا واما الاخبار فما ورد
منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات
ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال عليه السلام
من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته منها
الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي
راغمة وقال عليه السلام اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى
الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا
اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال
قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما
مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن
على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال
عليه السلام ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو
في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض
لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا
قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله انا مؤمن حقا قال وما
حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار
وكاني بعرش ربي بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر كيف بدا باظهار
حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل له وما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل
القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام

وهو النجاة من غرور دار الغرور وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحيا فقالوا انا لنستحيي فقال تبنون ما لا
تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك ينافي الحيا من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود وقالوا
انا مومنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلا والشكر عند الرخا والرضا بمواقع القضا
وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا فقال عليه السلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا
ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال من جا بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي فقال
بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا
لها وقوم يقولون قول الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها شي من هذا وجبت
له الجنة وفي الخبر السخا من التقى ولا يدخل النار مومن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال
ايضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب
من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا على المثمر لا محالة وروى
ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله قلبه وانطق
بها لسانه وعرفه دا الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه عليه السلام
مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم وانفسها عندهم
لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت
قال فاعرض عنها رسول الله وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها
فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الاية وروى مسروق عن عايشة
قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عايشة
والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الذهب لاجراها حيث شيت من الارض ولكن اخترت
جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عايشة ان الدنيا لا ينبغي لمحمد
ولا لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها
ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد
من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا وجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضوان الله
عليه انه

مطلب في ذم البخل

عليه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس لين الثياب اذا قدمت
عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال يا حفصة الست تعلمين
ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله لبث في النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة
وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهل بيته
حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله قربتم يوما اليه طعاما على مائدة فيها
ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع على
الارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله كان ينام على عباة مثنية فثنيت له ليلة اربع طاقات
فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيوذنه بالصلاة فما يجد ثوبا
يخرج به الى الصلاة حتى يجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من
بني ظفر صنعت لرسول الله كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يخرج الاخر فخرج
الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها
وبكى عمر وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو انه قال
كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله ساصبر
على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام
انه قال لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباة ان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى
يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ما مدين كانت
خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال وهذا ما كان قد اختاره انبيا الله ورسله وهم اعرف خلق
الله بالله وبطريق الفوز في الاخرة وفي حديث عمر رضوان الله عليه انه لما نزل قوله تعالى الذين
يكنزون الذهب والفضة قال عليه السلام تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز
الذهب والفضة فاي شي ندخر فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة
صالحة يعينه على امر اخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله

شديد

بثلث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرته
وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد
الله فيه فقال اذهبوا فابنوا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال وكيف يستقيم عبادة مع حب
الدنيا وقال نبينا عليه السلام ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما
واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وعن ابن عباس انه قال خرج رسول الله ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال
له يا محمد والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع
هدة من السما افظعته فقال رسول الله امر الله القيمة ان تقوم فقال لا ولكن اسرافيل قد نزل اليك حين
سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض فامرني ان اعرض
عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا
ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلاثا وقال عليه السلام اذا
اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال عليه السلام ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال عليه السلام من اراد ان يوتيه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال عليه السلام من اشتاق الى الجنة
سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في
الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن عيسى بن مريم عليهما السلام اربع لا يدركن الا بتعب
الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشي وجمع الاخبار الواردة في مدح بغض
الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبيا ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم
في الخلق وفيما ذكرناه كفاية واما الاثار فقد جا في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد
سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ اخر ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا
فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال
تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين
انتم

انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال كانوا ازهد في الدنيا
منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به
ذنبا ان الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفين اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال
ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها
جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف
بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلثا ويروى ان بعض الخلفا ارسل الى الفقها بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل
بعشرة الاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقها وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال
اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها قبل ان لا ينتفعوا
بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال
عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس من الشعر وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت
يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المسا نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الشتا قد هجم
علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت
ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغتسل فضحك وقال الامر
اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى
ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت
حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب
والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة
المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف
عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله يحمي عبده الدنيا
وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المودي
الى الصحة اكثر منه في الاعطا المودي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التوا لا دار استوا
ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخا ولم يحزن على شقا وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد
حتى لا يفزع من اربعة اشيا الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت

سالت الليث فقال ان اشد بني ادم حسرة ان يكون على رجل دين وليس له مال ولا عطا على الحجم فاعطى ذلك

طوائف ما كانوا يفرحون على شي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون
من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين
الارض شيا ولا امر في بيته بصنعه طعام قط فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري
دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله
ان يقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا الا بالعفو

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلث الدرجة السفلى
منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها
وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب
اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه
والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل او
كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي
ترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد
يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده
ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي
العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي
فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة
الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال
المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من
طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال في الزهد قال في اي
شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل من ترك
الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه
عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند
الملك

الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في
مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح
والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع
ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فمن
تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة
بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له.
والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل قذر وكدر لكان لا
نسبة لها الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت
الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيا معتدا به ولا يراه معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد
نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد
يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته
الى زهده واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة
السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر
الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار وفي الخبر ان الرجل ليوقف
في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم
رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد
رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد
الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم
ونعيم سرمد لا اخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي
لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل
هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي
لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد
بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي فهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه

مطلب انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه

لا يحب الله خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الدينار وعرف الدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما
لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة
وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلا لذة النظر
ولا يؤثر غيره ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في
قلوبهم بل تلك بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب
الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة
وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك
لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق
وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولكن نشير إلى كلام
محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه
بالزهد له إجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمع للجمل
فأما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله تعالى فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه
أيضا والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة أن يزهد
في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في
العلم والقدرة والدينار والدرهم إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم
والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودهما ملك
القلوب إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها
فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع
الحياة الدنيا ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم رده في موضع آخر إلى اثنين فقال وما الحياة الدنيا
إلا

إلا لعب ولهو ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فالهوى
لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت
أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما تفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى والحاصل أن الزهد
عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة لأنه
يريد البقاء للتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة
إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل أي لستم تريدون
البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا
في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص واستنظروا إحدى الحسنيين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون
رائحة الجنة ويبادرون إلى القتال مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل
رتبة الشهادة وكل من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى أن خالد بن الوليد لما احتضر
للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت
موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات وهكذا كان حال الصادقين
في الإيمان رضي الله عنهم وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم إن الموت الذي
تفرون منه فإنه ملاقيكم فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وأما المخلصون فإن الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة
بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه وإذا فهمت هذا علمت أن
ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا
على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا
إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف
بقدر ما تملك من بطنك كذلك لك من الزهد وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ولعمري
هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهذا

اشارة الى المال خاصة وقال الثورى الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى
الشهوات يحدث نفسه بالبقا فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا
خرج يطلب ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد وقال اويس ايضا
الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراى
والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراى الفاسد والمعقول الذى
يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من
فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه فى الآخرة وقد طولوها حتى ينقضى عمر الانسان فى
الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذى
اذا راى احدا قال هذا افضل منى فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب
وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك كما
قال اويس ولا شك انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى
وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفى الزهد اقاويل وراء ما نقلناه
فلم نر فى نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة ولا يستفيد
الا الحيرة واما من انكشف له الحق فى نفسه وادركه مشاهدة بقلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق
بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار
حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور فى البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم
ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار
عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف
فاما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل
فى نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الدارانى اذ قال قد سمعنا فى الزهد كلاما
كثيرا والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر
فى طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد وقرا ابو
سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذى ليس فيه غير الله وقال
انما زهدوا

انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى
اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم
بن ادهم فالفرض هو الزهد فى الحرام والنفل هو الزهد فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات
وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس
ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع به
النفس فى الخطرات واللحظات وساير الحالات لا سيما خفايا الريا فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلما
بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ
توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك فقال وما الذى تجدد
قال توسدك الحجر اى تنعمت برفع راسك عن الارض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروى
عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقبت جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس
فسالته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى
ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العرى الى ان جلس فى قوصرة
وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتنى انت انما اقامنى
الذى لم يرض لى ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته
الزهد فى كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والمحظور وليس
ذلك من درجاته فى شئ ثم راوا انه لم يبق حلال فى اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت
مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة
الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله
تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور غرضك الا بالاستعانة بالبدن على العبادة
لم يكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الا به الى الشئ فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها فى طريق
الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغى ان يكون بدنك فى طريق الله مثل ناقتك فى طريق الحج ولا غرض
لك فى تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك
ينبغى ان يكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك

مطلب الفرض والنفل من الزهد

مطلب زهد ما سوى الله ... فى معنى الانصراف عن الدنيا الى الله

باللباس والمسكن فيقتصر على قدر الضرورة ولا يقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض
الزهد بل هو شرط الزهد. وان قلت لا بد ان التلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا
لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش
ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون
القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد
طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب
موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا
ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله. ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور
فيه ماؤه وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه
مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته
قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لنفسهم بسياسة
الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة بين الدنيا والدين

بيان تفصيل الزهد

فيما هو من ضروريات الحياة اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول فالفضول كالخيل المسومة
مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب
ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم
ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات
ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه
الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب
الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم ولا بد للانسان
من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد اما
طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه قد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام
وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار
على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر
من غدائه

مطلب مهمات الزهد ستة

مطلب المهم الاول المطعم

من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالثة
ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل
بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من
ايدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل
الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته
في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام
المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على
مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز
من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز النخالة او صار حوارى
فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما الادم فاقله الملح او
البقل والخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وكان
في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من اخر ابواب الزهد
فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو
ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهي
الى ان يطوي ثلثة ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه
في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم
الادم قالت عائشة تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله مصباح ولا نار قيل لها
فبما كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه
وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول من طلب
الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله
منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره
وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله اهل

مطلب في كون ... رسول الله ...

قبل ان اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركها تواضعا
لله تعالى واتي عمر رضي الله عنه بشربة من ما بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها
وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث
ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه
والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحيا شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه
والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة
حرفته والجنة مبلغه ان شا الله تعالى المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر
والبرد ويستر العورة وهو كسا يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون
معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا
يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين
ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله المسوح الخشنة
واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة
واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه
ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد
الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك ينبغي
ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبيا والصحابة
كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة كسا ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال عليه السلام ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال
عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا ولا اركب على مأثور ابدا
ولا املا جوفي من طعام ابدا فقال عمر من سره ان ينظر الى هدي رسول الله فلينظر الى عمرو بن
الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا
واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره
اربع اذرع ونصفا واشترى سراويل بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت
تسمى

مطلب اللبس

تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ
وفي الخبر كان قميص رسول الله كانه قميص زيات ولبس رسول الله يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس
قيمته مائتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وكان
قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه يلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من
المشركين وصلة به ثم حرم رسول لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس
خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شان بريرة استرطي لاهلها
الولا ثم صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم
واتوني بانبجانية ابي جهم يعني كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد
اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد
فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا
عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان عليه السلام قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما
فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول
مسكين راه وعن سنان بن سعد حكت للنبي عليه السلام جبة صوف من صوف انمار وجعلت
حاشيتها سودا فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول
الله هبها لي قال وكان عليه السلام اذا سئل شيا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان تحاك
له واحدة اخرى فمات رسول الله وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله على فاطمة
وهي تطحن بالرحا وعليها كسا من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا
لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال عليه السلام ان من خيار امتي
فيما انبأني الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤونتهم
على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض
وافئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله في الملابس وقد اوصى امته عامة
باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين من

صلى الله عليه وسلم

بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق
بي فاياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعُدَّ على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا
عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة
وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من
الثياب ما لا يشهرك عند العلما ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي
فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابنا الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت
ثوبي سفين ونعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما
خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما خالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر
اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله وهو ما ستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب
لينه وثوب للناس وهو ما طلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان
جمهور العلما من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من
قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك
الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى
وابتغا لوجهه كان حقا على الله ان يدخله من عبقري الجنة في تخات الياقوت واوحى الله
الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم
اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم
يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجا عبيد الله بن عامر بن ربيعة
الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن
عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال
علي رضوان الله عليه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس
ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع
واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى رسول الله عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
وروى

وروى فضالة ابن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال انها نا رسول
الله عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما من تزيا بزي قوم فهو منهم
وقال رسول الله ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون
في الكلام وقال عليه السلام ازرة المومن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين
وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال الاوزاعي لباس
الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف
فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول
زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه
ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شي الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين
فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك
لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا
ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكسا شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال
الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب
الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها
ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم
في الجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي المهم الثالث المسكن وللزهد
فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب
الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف او خص وما يشبهه
وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرا او اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته
من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد
والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في
المسكن فاختلاف جنس البنا بان يكون من الجص او القصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره

بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة إلى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا
وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة
من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد
ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كلها
من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شيء ظهر من طول الامل
بعد رسول الله التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا
والتشييد هو البنيان بالجص والاجر وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الخبر يأتي على الناس
زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانيه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم
عليه كان قد علاها ومر رسول الله عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان
فلما جاء الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام
فاخبر به فذهب فهدمها فمر رسول الله بالموضع فلم يرها فاخبر انه هدمها فدعا له بخير
وقال الحسن مات رسول الله ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي عليه السلام
اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح
عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان
بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على
حاله وقال النبي عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة العبد
يوجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسه والتطاول في البنيان وقال عليه السلام كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر وبرد وقال عليه السلام للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله
اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضوان الله عليه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر
وقال ما كنت اظن انه يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون
فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بني بالجص والاجر
واول من

مطلب الغرض من المسكن

عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار
فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته مبنيا باللبن
قال وكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص واصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن وكان في
السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنايه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان
منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود
وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا
دخلت بيوت رسول الله ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد البناء فوق ستة
اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفين عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر
الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن اعجب ممن نظر
اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين
يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم. المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه درجات
فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصبعه
فرمى المشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه انما يراد لمقصود
فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف
في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها
ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة
يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في
اشياء للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد
في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول فلينظر الى
سيرة رسول الله وسيرة الصحابه فقد قالت عايشة كان ضجاع رسول الله الذي ينام عليه
وساده من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله الا عباءة مثنيه ووساده
من ادم حشوها ليف وروى ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله وهو نايم على سرير مرمول
بشريط فجلس فراى اثر الشريط بجنبه فدمعت عينا عمر فقال له النبي عليه السلام ما الذي ابكاك

مطلب في مقدار البناء

مطلب اثاث البيت

يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه
نايم على سرير مرمول بالشريط فقال عليه السلام اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول
الله قال فذلك كذلك ودخل عمر على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا
ولا غيره لك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نتوجه اليه صالح متاعنا فيه فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت
هاهنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من
الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل
فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا
فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمه
رضي الله عنها فراى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضه فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته
برجوع رسول الله فساله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله
وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفه فباع القلبين بدرهمين
ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله فقال بابي انت قد احسنت وراى رسول الله على باب
منزل عائشه سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة
ذات ليله فراشا جديدا وقد كان عليه السلام على عباءة مثنيه ينام فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال
لها اعيدي العباءة الخلقه ونحي هذا الفراش عني قد اسهرني الليله وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة
عشية فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشه فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه
ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه
وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصل النكاح
ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف
نزهد فيهن ووافقه ابن عيينه وقال كان ازهد الصحابه علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة
وبضعة عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل
ومال وولد فهو عليك مشوم والمراه قد تكون شاغلة عن الله تعالى وكشف الحق فيه انه قد

تكون العزوبة

تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث
يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة
في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشغل عن
ذكر الله فذلك من الزهد وان علم ان المراه لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة
النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير
امة رسول الله من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم تكن هي
المطلب والمقصد وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك
من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك
النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى
الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله في انه لا تشغله كثرة النسوة ولا اشتغال
القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن
انى يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس تشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان
كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان تشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير
جميله وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الداراني الزهد في النساء ان يختار المراة الدون
او اليتيمة على المراة الجميله والشريفه وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا
تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه
اجمع لهمه فاذن ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا
المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه
ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر
على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه
لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه
وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه

المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في حق من يخدم
بغير اجرة واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيه او يكون بين جيران يظلمونه
فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما
اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد
ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع
عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة
في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال
فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذن طلب الجاه في القلوب لا رخصة فيه
اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما
المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان
يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك
الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له
ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج
بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من
ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد
وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الاخرة من المقامات المحمودة
لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثير وامر
المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله
الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق
المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج
عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان
ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر اليه الانسان من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد
على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب
من الزيادة

من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا لكنه
قليل الضرر والسم محذور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن يحتاط فانما يحتاط
لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد
نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم ومن الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم
لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة
المشروط ويدل على ذلك ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه
شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت
مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر
الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الاخرة وهو في الدنيا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما
عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته
فياكلونه وربما يكونون اعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك
شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج
فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر

كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

فكذلك كل من اتبع
شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده
المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراءاة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر
له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا
يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه
الى ان يفرق ملك الموت بينها وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا
التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى
الاخرة فيكون اهون احواله ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ابتداء يألم المولم ببدنه ويألم قلبه بذلك
بطريق السراية من حيث اثره فما ظنك بالم يمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية
اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت الدرك الاعلى وعلين وجوار رب

مطلب مقتصر على الضرورة وعلى المهم

مطلب ليس الحاجة من الدنيا بل من الدين

مطلب شبه جامع الدنيا بدود القز

وتمثل ... بالمنشار

العالمين فحب الدنيا حجاب عن لقاء الله تعالى وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم
فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه
ونسأل الله تعالى ان يقربنا في ساعتنا ما نفث في روع رسول الله حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه
ولما انكشف لاولياء الله ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا
الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم
وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء ولو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم
قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال
فلا يأخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين امات
حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن
آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال
تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على
الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك
والحقني فقال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم
ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الآفاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب
يقول احدهم بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب احدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا
لطول الحساب **بيان علامات الزاهد** اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك
فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين من رد نفسه الى
قدر يسير من الطعام ولازم ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه
ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا
حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الصوف الفاخر
والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر
من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر

اليهم

لباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد
على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققا بان جميع اصناف الخلق عباد
امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا
انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قاطع الاباطيل
الهادى الى سوا السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزلة من منازل الدين ومقام
من مقامات الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من
حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد والتثاقل عنها
بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير فى وجه
العقل وانغماس فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع
فى غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفا الا سماسرة العلما الذين اكتحلوا
من فضل الله بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن
الآن نبتدى بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الاول من الكتاب
ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى ان شا الله تعالى

بيان فضيلة التوكل

اما من الآيات فقد قال الله عز وعلا وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية
الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل
وهو المكذب بهذه الآية فانه سوال فى معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اى عزيز لا يذل من استجار به ولا
يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه
وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا

من يجد اذنه وكثر ما ذكرناه في فضيلة التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على
الواحد القهار واما الاخبار فقد قال عليه السلام فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي
قد ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله فقال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم
يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر
فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه السلام من انقطع الى
الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه
السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله انه
كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر
اهلك بالصلوة واصطبر عليها الاية وقال عليه السلام لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال
جبريل لابراهيم وقد رمي في النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم
الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به واوحى الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي
دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما الاثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني
عقرب فاقسمت علي امي ان استرقي فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله وقيل
لبعض العلماء في المنام من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق
عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ
في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب المرزوق وقال ابراهيم بن ادهم
سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني
وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها
قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا
وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب

الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل
هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل
اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين
كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده
لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه
وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له
الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما
التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفة متعلق بالاعمال
بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة
والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو منقسم الى
لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في
قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللبه دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى
من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق
الثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام الثالثة
ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة
ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا
وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى
نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني
عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه في الدنيا من السيف والسنان
والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه
قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة
ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله يسمى
بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة

ويشدها في القلب ويسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع
عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم
لفظ التوحيد على قلب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ
انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه
ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد
الا في صنعة تلفيق كلام به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده
غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد
فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من
اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر
وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك
مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى
كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة
السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب
والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده
وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه
عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب
فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة
الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك
الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه
المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد
الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة
الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد
السما

السما والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية
علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان يسطر في كتاب فقد قال بعض العارفين افشا سر
الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشي
قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان
الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشايه وهو باعتبار
اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد وهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم
من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده
والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع
والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار اخر سواه كثير بعضه اشد كثرة من
بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة
واحدا ويستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتومن به ايمان تصديق فيكون
لك من حيث انك مومن بهذا التوحيد نصيب منه بقدر ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها
الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرا كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار
الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران
باطنك فاين الفنا في التوحيد وكان الخواص في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام
الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار
ما يفهم كيفية ابتنا التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبتنيا
عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فواضح واما الثاني وهو الاعتقاد
فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام
وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر منه واما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل
اذ مجرد التوحيد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله
الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود

فيماذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين

توحيد المنافق

من خلق ورزق وعطا ومنع وحيوة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمتفرد
بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك
واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال
لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا
اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك
شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات
الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد
في اجتماع الغيم وعلى الريح في استوا السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور

مطلب

ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون معناه
انهم يقولون لولا استوا الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهوا والهوا
لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك ولا محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك
في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا
بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا
القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في
نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر
الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض
وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك
ان الملك الموقع كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان
خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار
الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول لك كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك
باختياره فان شا اعطاك وان شا قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر
عليك ان شا حز رقبتك وان شا عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد
ذلك

ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له
وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا
بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفا كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط
الضعفا في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فرات راس القلم يسود البياض ولم يمتد
بصرها الى اصابع الكاتب ويده فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك
لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت
بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا ورا الكل فوقف في الطريق على
الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض
بقدرته التي بها نطق كل شي حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان
ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي
لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلاما
ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية
نطقها وانها كيف نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل
ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات
تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشا السر لؤم بل صدور
الاحرار قبور الاسرار وهل رايت امينا قط على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على
ملا من الخلق ولو جاز افشا كل سر لما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشا سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم
فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار
فاذن عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما
استحالة افشا السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي ذكرناه من حركة
القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتنا التوكل عليه ونرد كلماتها الى

الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين
عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان
قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة
فاني ما سودت وجهي بنفسي لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر
عن وطنه ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني
فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد
واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه
لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وتعديه واخراجه الحبر عن وطنه فقال سل
اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين
فازالت عني قشري وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا تستخدمني وتمشيني
على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت
ثم سأل اليد عن ظلمها للقلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم
وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة فهي
التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى منه شيء مكانه
ولم يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني
في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني
وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة
عن شانها في استعمال اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي
فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمتها
لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة
ساكنة نوما ظن الظانون اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل
ازعجني وارهقني الى ما تراه مني وكانت لي قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا
الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني

الى ما كان

الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه
القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا
فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لها عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما
انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة
القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة
مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني
ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم
وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة
لعمري ما دام هو المتردد مع نفسه والمتحير في حكمه فانا ساكنة ولكن مع استشعار وانتظار
لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه
فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا افارقهم
فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض
الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن
اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم اما انا
نقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا
اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا يتعتع السائل
ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من
طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني قد كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع
كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني
قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا
بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لا اسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم
ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت
فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه

كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق
له وان كنت في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وهو شهيد واعلم ان العوالم في طريقك
هذا ثلثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت
تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها
المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت
وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلثة منازل في اوائلها منزل القدرة والارادة
والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر
منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وبين عالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الما
والارض فلا هي في حد اضطراب الما ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي
في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت
فان انتهى الى ان يمشي على الما من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير ان يتتعتع فان كنت لا تقدر
على المشي على الما فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الما الصافي
واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي به يمشي على الما
اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهوا لما ان
قيل له انه كان يمشي على الما فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته
من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة
فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي انكتب في
لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب
من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى النبي عليه السلام في اول امره كوشف بالقلم اذ نزل
عليه قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق الى قوله وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم
قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه
الاقلام

الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس
الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه
من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا زاج وعفص
فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين
هذا وذاك لا الى هولاء ولا الى هولاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها
ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه
فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق ادم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها
مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتورية وان فهمت منه الصورة الباطنة التي
تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس
طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى
بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه
مخنث في التشبيه والتنزيه واشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص
ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته
اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال العلم له اغتنم الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك
تجد على النار هدى ففتح له بصره فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه
ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر اصناف
العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه
الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبايه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند ذلك
ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على السفر الى حضرة
القلم فسال عن شانه فسار اليه وقال ايها القلم ما بالك تخط على الدوام في القلوب من
العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال لقد نسيت
ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد فقال
لم انس ذلك فقال فجوابي مثل جوابه فقال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله

خلق ادم على صورته فقال بلى قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني
وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال
ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال بلى قال فالاقلام
ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى من
عجائبه ما يزيد على عجائب القلم فلا يجوز وصف شي من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر
عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا
في قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين
التي رايتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة
لا محالة فسار السالك الى عالم القدرة وراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبل ذلك
فسالها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات
وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراة لسان السوال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات
الحضرة لا يسال عما يفعل وهم يسالون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما
افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد
القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما
لي الا ان اسالك واتضرع اليك وابتهل بين يديك واقول اشرح صدري لاعرفك واحلل عقدة
من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع
اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال
سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك
فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر
واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديت اهتديت اما سمعته يقول العجز عن
درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة
جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن سؤالته ومعاتباته وقال لليمين والقلم
والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول
في هذه

في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان فقد صح عندي
عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته
مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه
ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن
فالاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل
على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل
الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة واول في الوجود
وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة
الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة في عالم الملكوت وهكذا كان توحيد
السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى
هذا التوحيد الى انه يبتني على الايمان بعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين
حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم فانها لا تدرك بالحواس الخمس
ولازموا الحضيض في عالم الشهادة فان قال وانا منهم فانه ما اهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس
الخمس كانكار السوفسطائية للحواس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام وان
قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه
فيترك فما كل مريض يقدر على علاجه الاطباء فهذا حال الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق
السالكين معه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل
وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بازالته وتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة
فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل رسول الله عليه السلام بخواص اصحابه
وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات
الملك والملكوت بشاهدة التوحيد كلموه بحرف وصوت ونزلوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه
فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد
باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا

يكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق
بقدر عقله وقد كلف الانبيا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القران بلسان العرب
وعلى حد عاداتهم في المحاوره فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا
للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه
في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم
يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاده او من ابويه
او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شي من ذلك بل لو كشف
الغطا لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا في حقيقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين
الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان كانوا مطلعين على منتهى تاثير
السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فراوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة
الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم بل قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات
والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير
واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري
وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من امن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل اذ كلاهما من
عالم الشهاده والاختلاف والتضاد في عالم الشهاده كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله
فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت
ان الوسايط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شا
ويسكن ان شا فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان يشا ان شا ولا يشا ان لم يرد ان يشا
لكان هذا مزلة القدم وموضع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شا ويشا شا ام لم يشا اذ لم
ترد المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الى غير النهاية واذا لم يكن
المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم
يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة تحركه ضرورة عند انجزام
المشية

والمشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات يترتب بعضها على البعض وليس للعبد
ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيه
للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وكيف يفهم هذا من لا
يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما نذكره متطفلا وتابعا فان
هذا الكتاب لم تقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل من الانسان يطلق على ثلثة اوجه
اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق الما اذا وقف عليه بجسمه فينسب
اليه الخرق للما والتنفس والكتبة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف
ورا ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فسمي خرقه للما عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا
ويسمي تنفسه فعلا ارادتيا ويسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما
وقف على وجه الما او تخطى من السطح الهوا انخرق لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا
والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الما الى ثقل البدن
فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك
لو قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع
ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكن اذا تمثلت صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت
الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدره
والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو
مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شا فعل وان شا لم يفعل وتارة يشا
وتارة لا يشا فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه
ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشي موافق لك والاشيا تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة
او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من
غير تردد ان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك
خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ومن الاشيا ما يتوقف التمييز
والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى رويته وفكره حتى يتبين ان الخير في الفعل او

لما سبق تقريره من سر المكاشفة على طريق الرمز والتلميح

الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير اللحق ذلك بالذى يقطع به من غير روية وفكر وانبعث الارادة بهما كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اى هو انبعاث ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ننتظر فى انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه الا ان الخيرية فى دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهى التى انبعثت باشارة العقل فيما له فى ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان ينبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة فى يده او لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكونه موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضا ان يقتل نفسه الا اذا كان فى عقوبة مولمة لا تطاق فان العقل ههنا متوقف فى الحكم ومتردد لانه ردد بين الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذى يتبع بالسيف للقتل فانه يرمى نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالى ولا يمكنه ان لا يرمى نفسه ولو كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمى فوقفت اعضاوه فلا يمكنه ان يرمى نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدرى فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولما فاذن معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق جبر محض وفعل الله اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما ان كان فنا ثالثا وتبعوا بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه

وفعل الله

وفعل الله يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك فى حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة فى اللغات لا يمكن ان تستعمل فى حق الله الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شى لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل احالة جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذى لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون فى العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مرتبة على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حياة الا بعد محل للحيوة وكما لا يجوز ان يقال الحياة حصلت من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله ولولا ذلك لكان التقدم والتاخر عبثا يضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وكل ما بين السما والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون كما حدث وعلى الترتيب الذى وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس فى شى من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادى الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس فى ما الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضايه وان كان الما هو رافع الحدث وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقات الما للاعضا ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا

يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف وجهه على الماء في سائر
الاعضاء ارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان
الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث
من اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهذا جهل يضاهي ظن من يظن
ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث
عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث
فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات من القدرة
الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم اخر من عوالم المكاشفات
فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد
وهو المخوف والمرجو وعليه الاعتماد والتوكل ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من
بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ قطرات
منه وكل ذلك منطو تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤونتها على اللسان وما اسهل اعتقاد
مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقتها ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت
فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد انه لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا
ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان
كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد
ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى
كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة
بعد ان خلق الله فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط
وارتباطه بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط
بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان
القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بين
القدرتين

القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى
العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال افرايتم ما تحرثون اضاف ذلك الينا ثم قال انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه
قيل في التفسير معناه فاذا قرا عليك جبريل وكما قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل
اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي
يكون العبد به راميا فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي
علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى ان علينا بيانه وقال تعالى افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة
في يده ثم يصورها جسدا فيقول اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي
لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي
يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه
روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب
ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد
وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق
الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات
بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهذا معنى قوله تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي
الخبر ان ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الاموات
فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي

سواء فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض في هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال عليه السلام لمن ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان اليها ولذلك لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله شاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضب على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل الا كما سياتي بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه يطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينا لا ريب فيه ولا ضعف ان الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم

على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر بالتفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة وكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر عظيم واسع الاطراف مضطرب الاكناف قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك

لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي
اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله

وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب
للمنفرد وللمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في
ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال
وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته
وقد اكثر الخايضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر
عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فايدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول
التوكل مشتق من الوكالة يقال وكّل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكول
اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه
بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب
الوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف
ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمين النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور
منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع
التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شي اصلا واما القدرة والقوة فليستجري على التصريح
بالحق ولا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه
الخوف والجبن او الحيا او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة
فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب عليه واشار
اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة
فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية
به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم يظفر هلك حقه او لم يهلك فان شك في
الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمين نفسه الى وكيله
بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه

التلبيس

ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطماينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه
والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو
كان الوكيل والد المتوكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة
والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك ساير الخصال يتصور ان يحصل
القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم
بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا
المثال فقس عليه التوكل على الله فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله
كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة
بجملة العباد وبالآحاد وانه ليس ورا منتهى قدرته قدرة ولا منتهى علمه علم ولا ورا منتهى عنايته
بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك
وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول
عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين
اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلا الجبن عليه وانزعاجه
بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين
فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو
كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه
ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه وان كان تعالى
قادرا عليه كما انها مطردة بان القلم الذي في يده لا يقلبه حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان
قادرا عليه ومع انه لا يشك لا يشك في اليقين فينفر عن مضاجعة الميت طبعه في فراش والميت معه
في بيت ولا ينفر عن ساير الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شي منه
وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن
لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطماينته فالسكون في القلب
شي واليقين شي آخر فكم من يقين لا طماينة معه كما قال تعالى اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي

اعتقادات

فالتمس ان يشاهد احيا الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن
الا باليقين في ابتدا امره الى ان يبلغ بالاخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم
من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا
النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاهم من ربهم الهدى وهو
سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذن الجبن والجراة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي احد الاسباب
التي تضاد التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب
حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال عليه السلام من
اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة
لها في القوة والضعف ثلث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة
بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع
امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا راها تعلق في كل حال بذيلها
ولم يخلها واذا نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه
فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي
له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه
ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك ورا الادراك فمن كان باله الى الله ونظره اليه
واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق
بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل
وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتكلف
والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن
ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل رحمه الله حيث سئل عن التوكل ما ادناه
فقال ترك الاماني قيل فما اوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل
عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين
يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا

تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة
والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بائنا عن انتظار ما يجري عليه ويفارق الصبي فان
الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثال صبي علم ان امه وان لم يزعق
بامه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتديه
وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعا والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتدا
افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعا وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعا
والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها
فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان
ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة
الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط
الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن
حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تترايى من ورا الرقيق من ستر البشرة ستر رقيق تترايى من
ورايه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة
الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد
يدوم يوما او يومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول
فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام
الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل
تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعا والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام
الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة
فانه يترك تدبيره من جهة الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي
عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست
اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه اذ ليس هو
فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما

رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد
سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاكم الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون
معولا على سنته وعادته ووفائه بمقتضيها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا
يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله
فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته
وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر
لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور
واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمانينة النفس والثقة بالوكيل
والانتظار لما يجرى واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس
من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل ولا يجوز الضايع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي تفصيله في
الاعمال فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه
لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يره مفيدا من حيث
انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمد المحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذن
لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته
بل هو جاعل لهما مفيدين في حقه ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو
الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما معتدين اذ جعلهما شرطا
لما سيخلقه من بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا ومن
شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة
الا بالله ولذلك قد تستبعد فتقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان
وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احديهما الى
الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة اما كلمة لا اله الا
الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله

بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمات ولسائر
الكلمات واكثر الخلق قد قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين واليه الاشارة بقوله عليه
السلام من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق
والاخلاص اراد بالمطلق هذا المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافه
الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحرس وحركة اللسان
حرث وعقد القلب الضاحرث ولكنه الضاحرث نفس واما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير
الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند
الله وان كانت لا تنتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين
تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد
على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والماكول والمشروب
والمنكوح وتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذات الملك والنزول في اعلى عليين
في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة
افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات مغبوطة
من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير
بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل وليس يخفى ان شبه كل
شيء ينجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الكنس والدباغة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة
فهو بالكناس والدباغ اشبه في جوهره منه بالكاتب فكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم
اكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين يقال
فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة
فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة
الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا
معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس قايلا بها عن مشاهدة
فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى

صح

الله تعالى فلو قال قايل السما والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السما والارض وصغر الحول والقوة ان جاوز وصفها بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسما ليس من جهة الادمين بل هو من جهة خلق الله واما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى يسبق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا الا نفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السما والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وساير الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل ان شا الله تعالى بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل ليتبين ان شيا من اقوالهم لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهو اغمض انواع العلم ووراه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واعلى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضوان الله عليه في الغار اذ سد منافذ الحيات الى ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسول الله لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره

مطلب ليس في التوحيد الا عقبتان

لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سياتي ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله تعالى وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسيل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القا النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسيل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دين دانق لم تامن ان تموت ويبقى في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسيل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السايل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلثة والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل عليه السلام اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سواله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى التوكل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كابتهال الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شي من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل بيان اعمال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال

والحال بثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط
على الارض كالخرقة الملقاة وكلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على
المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر
تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع
هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل
والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه
الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته
في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع **الفن الاول** في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجتلب
النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق به النفس ثقة تامة
ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير
الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع
محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى
الطعام سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا
جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون اكل
الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة
الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد الزوجة
من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل
في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان
وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده
على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف
تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل حركتك وكيف تعول على حضور
الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك
وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه

فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست
متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار
والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد
فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد
ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعالي مقامات
التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة
فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون قد راض نفسه وجاهدها
وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش
خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من
الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه
آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهد نفسه والمجاهدة
عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان
لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان
البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير حبل
ولا دلو ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه
كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء
وان صبر عن الطعام وكذلك لا يكون له الا ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض
والابرة في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا
ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على رأس البئر من يسقيه
ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا
نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق وجلس متوكلا
فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح
جبل وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته شيء فقال

يارب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقك
حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل
وشرب فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن
الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله
دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة
والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير
كسب أهو حرام ام مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البوادي
اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان يأتيه الرزق
من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه
بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بالعبادة فالكسب
والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج
والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى
من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو
من اعلى مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند
هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت
لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف
اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا
ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى انظروا الى الطير لا تزرع ولا
تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف
قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد
بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله ولكن بعضهم

ياكل بذل كالسؤال وبعضهم ياكل بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز
كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة
الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة
في تفصيل الاكتساب ووجوهه فذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم
اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا بمال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة
فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب
التي نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي
صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا
ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها
في المسببات مما يكثر ولا يمكن احصاؤه وقال سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم
يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي يحتاج
الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذن قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل
والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن
التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم
لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه
الاسباب على ثلاثة مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير
زاد ثقة بفضل الله في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته
على الرضى بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده او يضل بعيره ويموت
جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او مسجد ولكنه
في القرى والامصار وهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة
معول على فضل الله في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض
لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي
يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه

لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب على الوجه
الذى ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات
التوكل اذا لم يكن طمانينته بنفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله
جميعا في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه
وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى
القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا
لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال
القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه
الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة ثيابه تحت حضنه
ودخل السوق فكره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوا
عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك
راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال
لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا
لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله
هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر
الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره
فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح
التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد
وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة
وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا لا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى
قيراط لا ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته
وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات
الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج

للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل
قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق
ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته
او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة
وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل
عليه ويحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان
يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس
سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم
كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه
فرده عليه فلما ولى قال له الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فقبله فسال احمد عن
ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس وكان الخواص
اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس اليه لم يقبل منه شيئا وقال الخواص وقد سئل
عن اعجب ما راه في اسفاره رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون
نقصا في توكلي فاذن المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب
ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما
علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت
تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كانت
حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب
لفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فترك ذلك وذلك لان المغازلي كاتبه فقال بلغني
انك استغنيت عن رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الزرق على من فوقع ذلك
في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما توهمت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك
لما ماتت عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما ماتت عياله فرقها فان قلت
فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول

بان يعلم ان الذين رزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت
منهم كثيرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان هلك بضاعته فهو خير له
فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان
يعتقد ان الموت جوعا خير له في الاخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع
ذلك فقد استوى عنده وجود البضاعة وعدمها وفي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله
لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن
عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت
غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك
قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري يا احمد ان من كل مقام نصيبا الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت
منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله
اراد بادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على
العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة
الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها من الايمان
وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على
الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل
من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير
الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان
بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن
وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل
التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في
مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في
الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك

في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد
كان خيرا لك فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين
من اين تاكل فقال اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق
من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول
الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن
حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة
اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة ارى بك
الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى

انا حامد انا شاكر انا ذاكر ... انا جائع انا نائع انا عاري
هي ستة وانا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت
فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب
هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت اخر فسالته عن
راكب البغلة فقال هذا رجل نصراني فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه
يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني فاكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب
الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى
الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة
وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد
فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت
كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت
ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت
افتحها فاذا فيها سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا
وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك

لتسبي الملك بن شوه ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي
بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ
وعلينا العطا فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في
طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاتني امراه وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتوهم
انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله
حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراه فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجي
صاحبه فاخذ منه شيا ثم رمت لي شيا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مصر ويحكى
ان بنانا الحمال احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفر
فنشتري ما يوافق فلما جا النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه
الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراه من سمرقند
فحملت الى بنان وذكرت له القصه وقد كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال
ان اكلته مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص
معه الى ان مات ولم ياكل وبقي القرص بعده وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد
فاصابتني فاقه فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت
على غيره فاليت ان لا ادخل القرية الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي
الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه
فجا جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر
يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل
وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي
شغلك عنا فقال اني قرات القران فاغناني عن عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت
فيه وفي السما رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السما وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت
فكان عمر بعد ذلك ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا
امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما

استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس
هذا البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت
في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جا وكشف عن راس البير
وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا
هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا
اقول

نهاني حيايي منك ان اكتم الهوى ... واغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في امري فابديت شاهدي ... الى غايبي واللطف يدرك باللطف

ترايت لي بالغيب حتى كانما ... تبشرني بالغيب انك في الكف

اراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتونسني باللطف منك وبالعطف

وتحيي محبا انت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع
من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند
الله ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لانه لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته
على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها ومن
جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان
نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الاخرة
فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان
بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر
ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي
بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود
عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل
التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى

الاعتياد بالموت على الجوع وزهاده غنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم وفي نفسه ايضا واما العيال فلا
يجوز له ان يضيعهم الا بان يساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه
قلبه ويتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده
الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا
مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري
اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه
عياله وتوكله فيما يضر بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي واحد وهو ان له تكليف نفسه
الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن
الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضى بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة
البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذا كله اسباب البقا
ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب
من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا
ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة
واستيلا الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض
انكشف له تحقيقا ان الله دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب
كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين
ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه
بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي
لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذا الكثيف فادر له اللبن اللطيف
في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار
بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل
يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص اسباب
معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت قدرته

ثم كان

نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام او الاب وكان شفقته مفرطة جدا وكان يطعمه ويسقيه
في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحث على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة
والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تالم
قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق
عليه الف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام فلم يروه محتاجا ولو راوه يتيما
لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي الى الآن
في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى
كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ
ولم يشتغل به في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الفا نعم كانت شفقة الام اقوى
واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم
من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة
المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث قال

جرى قلم القضا بما يكون ... فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه واما هذا فبالغ قادر
على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا
فلقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به
على التفرغ لله تعالى فما للبطال وللتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد او بيت وهو مواظب
على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقذف
حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل
من الناس وما رئي الى الآن عابد او عالم استغرق الاوقات بالله وهو بالامصار فمات جوعا
ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له
ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد
دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر

واستغل به وامن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما اكثره تدبيرا يصل الى المشتغل به
الحلاوة والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في بعض
الاحوال ولكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش يتناوله
لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا شره
النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طرق الاخرة
وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا
وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك
لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباد الله وان سكن الا
نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة
في القلب وشجاعة النفس ذلك ما قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة عيالي وان
حبة بدينار وقال وهيب ابن الورد لو كانت السما نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي
لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مفهوم في نفسه ولا يمكن الوصول
اليه لمن قوي نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاس
الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة بالقوت
والرضى بالموت فانه يأتيك لا محالة وان فررت منه وعد ذلك على الله ان يسوق اليك رزقك
على يدي من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير
ولذايذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل
بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم
مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه
في السما قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون واسباب السما لا مطلع عليها ولهذا
دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال
الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننتظر ما يكون فقال

[...] الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية
[...] فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني
[...] فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا
[...] وضعفا كانا لا نراه ولا يرانا فقد فهمت ان من انكسرت [...] وقوي
[...] وقوي ايمانه بتدبير الله كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله فان [...] سوا حاله
ان يموت ولا يبالي فانه الموت كما يأتي من ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالضمان
من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد
صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك
منتظرا للاسباب بل للمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا القلم الكاتب بل لقلب الكاتب فان اصل
حركة القلم والمحرك الاول واحد ولا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخرج
بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في الله
مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذايذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه من
حيث لا يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف
والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع
الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلما اقبح لان شرطهم القناعة والعالم
القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس
ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن
له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ ممن
يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر
الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما
عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل
وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب
الظاهرة لهم **بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال** اعلم ان مثال

الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب
الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان
يعطوا بعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر
ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل يسعى ان يطمئن كل واحد منكم
وهم مامورون بان يوصلوا اليكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيف
وخرج اتبعه بغلامي يكون موكلا به الى ان اقدم بعقوبته في ميعاد
ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية
الى الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة
اعطاه غلماني ولم يوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائلا لهم
رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلب
لم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الان جياع فبادروا الى
اذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم
وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة
ولم يفوزوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمراى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن لا ناخذ اذا
اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا
الميدان وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان
اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة
القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا
وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار الغلمان
وشغلهم شغل صارف عن طلب التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان
واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة
فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة
والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى

فانهم احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان
الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمراى الغلمان هم المقيمون في الامصار والرباطات
والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب
الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من
الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واما
سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي
ثلثة فتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الان فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف **الفن الثاني** في التعرض لاسباب الادخار فمن حصل
له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال **الاولى** ان
ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا
ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من سحته
ويحتاج اليه ويدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بشرط التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا **الحالة
الثانية** المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين
اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفار والنملة وابن ادم **الثالثة** ان يدخر لاربعين
يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب
سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج بالاربعين يوما ويخرج بالزيادة
على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا
اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض
التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانما يتوزع
على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية وتسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب
البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعلى درجات
اصحاب اليمين يلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان الوفاء
بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فبعيد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك

كالممتنع وجوده اما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره فاقل درجه
دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات
اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنه والمتمسك بالاربعين لاجل
كان تلك الواقعه ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص للامل فيه ولكن استحق
الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى
خمرت طينة ادم بيدي اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مده
ما ذكرناه وما وراء السنه لا يدخله الا المتحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج
عن مقام التوكل عن واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان اسباب الدخل
في الارتفاعات والزكوات بتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنه فله درجه بحسب قصر
الامل ومن كان امله شهرين لم تكن درجته درجة من امله شهرا ولا درجه من امله ثلثة اشهر
بل هو متوسط بينهما في الرتبه ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكل
ما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر رسول الله عليا واسامه تغسيله
وكفنه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصله
كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحيه قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير
الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جا الشتا ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاه الصيف ادخر
حلة الشتا لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز
والسفره وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ذلك لا ينقص الدرجه واما ثوب الشتاء
فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى الخلق
بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العباده
والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعه يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان
لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله ورب شخص
يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في
عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

اصناف الناس وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته
ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم
الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب
الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل
فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنه لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك
مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلبه وذلك
يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق
بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت
سنه ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر
عليها فقال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت
فلا تخبا فالاقتدا بسيد المتوكلين عليه السلام وقد كان قصر امله بحيث اذا بال تيمم مع قرب الما
ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عليه السلام لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما
ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقويا من امته فان اقويا امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر
لعياله سنه لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليبين ذلك للضعفا من امته ثم اخبر ان الله تعالى
يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه تطييبا لقلوب الضعفا حتى لا ينتهي بهم الضعف الى
الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل عليه السلام
الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار
قد يضر بعض الناس ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفه توفي فما وجد
له كفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال
عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك في حقه وهذا
يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه
فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن

عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان ما
يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يوتى احد من الدنيا شـ
واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلا
روي عن بشر قال الحسن المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة من نهار
فقام اليه بشر فقام وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من
اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك
فاكل منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه
في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ
بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان
يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار **الفن الثالث** في مباشرة الاسباب الدافعة
للضرر المتعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك
الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت
الجدار المائل والسقف المنكسر وكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة
نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من
شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد
يتقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى
موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من
الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى سفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة
من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف
الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا
امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون

ربهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع
... فترك دفعها ليس من التوكل في شي اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي
... على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالا عاده
و... اسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل
البعير لان هذه اسباب عرفت سنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال عليه السلام للاعرابي
لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله قال عليه السلام اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال
تعالى في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو ونوع
تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح
في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون
وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت
فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يديه على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم
ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق
التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليست تلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف
عليها ما لم تنته اليها فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول
الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان يسخر لك كلب
هو معك في اهابك يسمى الغضب ولا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج
واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد
الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك
اولى بان يتسخر من كلب دارك فاذا لم يتسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب
الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص
وعقل بعيره حذرا من ان يشرد فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال

اما العلم فهو ان تعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته فى اغلاق الباب
اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او ينفلت وكم من اخذ
على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل فى التوكل بالـ
واحد السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما
راضيا بما يقضى الله تعالى به فى نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما فى
بيتك وانا راض بحكمك فانى لا ادرى ان ما اعطيتنى هبة فلا تسترجعها او
ولا ادرى انها رزق او سبقت مشيتك فى الازل بانه رزق غيرى وكيف ما قضيت فانا به راض
وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الاسباب
فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذاك الذى ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود
التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى
ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا
او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه فى الاخرة فقد صح مقامه
فى التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا
فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من
الدنيا ولا يفرح بما ياتى بل قد يكون على العكس من ذلك فقد يصح له التوكل نعم قد صح له مقام
الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك
حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا
له فى ذنبه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه فى جميع الدعاوى فبعد
هذا ينبغى ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة
بالسوء ومدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول المتوكل
لا يخلو بيته عن متاع كقصعة ياكل فيها وكوز يشرب فيه وانا يتوضا منه وجراب يحفظ به زاده
وعصى يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل فى يده
مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه ولا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط

...ى يشرب منه والجراب الذى فيه زاده وانما ذلك فى الماكول وفى كل مال
...ولان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين فى زوايا
...سنة بتفرقة الكيزان والامتعة فى كل يوم ولا فى كل اسبوع والخروج عن
...التوكل ولذلك كان الخواص ياخذ فى السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة
...الله جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن
...ويحتاج اليه ولا ياسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه
واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه
وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له فى
ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك
بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده
مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته فى ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب فى تحصيله غرضه ويكون
ثوابه فى النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه فى جميع
الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة كانت له فى وجودها الى
الان والخيرة الان فى عدمها لما اخذها منى فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج
عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث ان الله ييسرها مسبب الاسباب عناية
به وتلطفا وهو كالمريض بين يدى الطبيب المشفق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح
وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قربه الى وان اخر عنه الغذاء بعد
ذلك فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرنى ويسوقنى الى الموت لما حال بينى وبينه وكل من لا
يعتقد فى لطف الله ما يعتقده المريض فى الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل
اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب
فانه لا يدرى اى الاسباب خير له كما قاله عمر رضوان الله عليه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا
فانى لا ادرى ايهما خير لى فكذلك ينبغى ان لا يبالى المتوكل بسرقة متاعه او بقائه فانه لا يدرى
ايهما خير له فى الدنيا ولا فى الاخرة فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى

يبتلى بواقعة أجل عناه فيقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين

للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه الأول أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب
الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه
ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته الثاني أن لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه
السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو يكون إمساكه سببا لهيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة
إلى مالك بن دينار ركوة فقال له خذها فلا حاجة لي إليها قال لم قال يوسوس إلي العدو أن
اللص قد أخذها فكأنه احترز من أن يعصي السارق ومن أن يشتغل قلبه بوسواس الشيطان
بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه
من أخذها الثالث أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضى بما
يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما أخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل
الله وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى ويكون له نيتان لو أخذه
غني أحدهما أن يكون له مانعا من المعصية فإنه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد
زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فدا
لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو
تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر أخاك ظالما أو مظلوما ونصرة
الظالم منعه عن الظلم وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه
من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكنه يتحقق بالزهد نيته
فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر
أيضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل وأقر النطفة قرارها أن له
أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وإن كان لم يولد له لأنه ليس إليه
من أمر الولد إلا الوقاع فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان
ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم وكذلك أمر السرقة الرابع أنه إذا وجد المال قد
سرق فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تعالى

في سبيل الله فهو ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه
يعلن وقد روي أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيي ثم قال في سبيل
الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا
فلبس نعليه وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت
وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال
غفر لي وأدخلني الجنة و[?] غفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينا
إلى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال إني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها
فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هذه
لمن أمضى السبيل فقلت وما إمضاء السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشيء في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو
كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما بجنب رجل معه هميان
فانتبه ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكره فحمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك
أعلمه أصحابه أنهم كانوا قد أخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو وأصحابه وردوا الذهب فأبى عليهم
وقال خذوها حلالا فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله ولم يقبله فألحوا عليه فدعا ابنا
له وجعل يصرها صررا ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف
رضي الله عنهم أجمعين وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له رده إلى
البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم وسائر الصدقات الخامس
وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ فإن فعل بطل توكله ودل
ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وإن بالغ في الدعاء بطل أيضا أجره فيما أصيب
ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين
ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما إني
قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب إلي من ذلك يعني
الصلاة فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فإني قد جعلتها صدقة
عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك فقال ما أحب أن أكون عونا

وعرض علي منازلي فيها قال [?] ومع ذلك كئيب حزين [?] قد دخل الجنة

للشيطان عليه لغراته لو ردت عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد
لاجر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه انه
حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق
تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله وفي الخبر
الظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما
زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب
الله ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا في
دينه فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك بانه
قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل
دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن
على المسكين انه يسال يوم القيامة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول
بالحزن عليه عن الدعا **الفن الرابع** السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان
الاسباب المزيلة للضرر تنقسم الى مقطوع به كالما المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع
والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة
ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع
به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل اذ به وصف
رسول الله المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال
اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب
الظاهرة عند الاطبا ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين
ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله وقوله وامره اما قوله فقد قال
عليه السلام ما من دا الا وله دوا عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال
عليه السلام تداووا عباد الله وسيل عن الدوا والرقية هل ترد من قدر الله تعالى فقال هي

... شهوره ما مررت بملا من الملايكه الا قالوا مر امتك بالحجامة . وفي الحديث
... موا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم
... الموت فانه قابل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق
... بالباب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس
... لك بل هو كصب الما على النار لاطفائها ولدفع ضررها عند وقوعه وليس
... التوكل ايضا وفي خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثا لسبع عشرة من الشهر
كان له دوا من دا سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة
بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي
وكان به رمد لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا وقد طبخ بدقيق
او شعير وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين اتاكل تمرا وانت رمد فقال انما اكل
بالجانب الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واما فعله فقد روي من طريق اهل البيت انه كان
يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدوا كل سنة وتداوى رسول الله غير مرة من العقرب وغيرها
وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحنا وفي خبر انه كان اذا خرجت
به قرحة جعل عليها حنا وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا ومما روي في تداويه وامره بذلك
خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي وذكر بعض العلما في الاسراييليات ان موسى
عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنوا اسرايل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرات فقال لا
اتداوى حتى يعافيني هو من غير دوا فطالت علته فقالوا ان دوا هذه العلة معروف مجرب وانا
نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ابراتك حتى تتداوى
بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى
اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشيا غيري وروي في خبر ان
نبيا من الانبيا شكى علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكا نبي اخر الضعف فاوحى اليه كل
اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح
اولادهم فاوحى الله تعالى اليه ان يطعموا نساهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في

الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى
فبهذا يتبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا
اسباب مستحق لحكمة الله تعالى كساير الاسباب فكان الخبز دوا الجوع والما دوا
دوا الصفرا والسقمونيا دوا الاسهال لا تفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة
والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص من اوليه
بالتجربة الحق في حقه بالاول والثاني ان الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخرى في
الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما تفوت بعض الشروط فيقاعد
الدوا عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي سوى الما شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض
ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الما ولكنه نادر واختلاف الاسباب ابدا تنحصر في هذين
الفنين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب
وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب
دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الدوا والشفا فقال تعالى
مني قال فما يصنع الاطبا قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي او يقضي
فاذن معنى التوكل مع التداوي بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة
للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة
النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل
وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقل ما
يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة
كالرقية الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغنا عنه فما من جرح يعالج
بالكي الا وله دوا يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية
مع الاستغنا عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى
رسول الله عن الكي دون الرقى وكل واحد منها بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين
اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول كنت

...اسمع صوتا واسلم على الملايكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان
...ه ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك وانا ب الى الله تعالى فرد الله تعالى
...لايكه وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله بها
...ب اخيره تفقدها فاذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل
...تدبير ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق
...داوي قد يجب في بعض الاحوال ويدل على قوة المتوكل وذلك لا يناقض
فعل رسول الله عليه السلام اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي
ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله اذ لا
يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق انه قيل له لو دعونا لك طبيبا
فقال قد راني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدردا في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي
قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قيل الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت
وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا
وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيا وكان
احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من شرب الدوا
وغيره وكان به علل لا يخبر بها المتطبب ايضا اذا ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل
قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله
تعالى عليه فاذن من ترك التداوي وراه فمنهم كثير ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله
وافعال هؤلا الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول لترك التداوي اسباب **الاول** ان يكون
المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدوا لا ينفعه ويكون معلوما عنده
تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي
الله التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعايشة في امر الميراث انما هو
اخواتك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف
بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن انه انكار التداوي

عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله ان يعافيك فقال اسال الله فيما هو اهم علي منهما

وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثاني** ...
مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله عليه فنسيه ذلك الم المرض ...
شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي ...
ذنوبي وكان ألم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون ...
عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل ...
فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن
اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت قال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك
عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد
قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة ترده الى صانعه اما رايت الصنعة
اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث** ان يكون العلة مزمنة والدوا الذي يؤمر
به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم
اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطبا فهلك المداوي ان الدوا غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك
في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه
كونه نافعا ولا شك ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن
بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم
لانه يبقى الدوا عندهم شيا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادويه عند من عرف صناعة
الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في
الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا
المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلا الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر
فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال عليه السلام نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلا
ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه
البلا وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلا وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلا
كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج

... مخبتا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
فان رضي اصطفاه وقال عليه السلام تحبون ان تكونوا كالحمر الصايلة لا تمرضون ولا تسقمون وقال
ابن مسعود تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا فلما عظم
الثنا على المرض والبلا احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان منهم من له علة فيخفيها
ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان
يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا مع الصبر على قضا الله افضل
من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما
كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته
الى رحمتي وقد قال رسول الله افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس قيل معناه ما دخل من الامراض
والمصايب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك
التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت
به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود
ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعة تعجب من ذلك
ويقول صلاته من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة قايما وسيل عن شرب
الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا فانما هو في سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل
في شي منه فهو افضل لانه اذا اخذ شيا من الدوا ولو كان هو الما البارد سيل عنه لم اخذ ذلك
ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات
لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل ... اعمال الجوارح اذا كان لله خالصا وقال سهل علل الاجسام رحمة
وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز
عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد
قال عليه السلام لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيية وفي الخبر
حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثماية وستون مفصلا
فتدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر رسول الله

صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى ... لـ زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا تزال محموما و[لم يزل]
حتى مات رحمه الله وقد سال ذلك طايفة من الانصار وكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال رسول
الله عليه وسلم من اذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة فلقد كان في الانصار من يتمنى
العمى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده وماله لما يرجو في
كفارة خطاياه وروى ان موسى نظر الى عبد عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه
[ارحمه] ابي به اكفر ... به وازيد درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه
البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده
الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفايت وتاخير الخيرات فان الصحة
عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو
الى التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات
واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلو المومن من
علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من
احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولا ينبغي
ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان
كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته
فاي دا ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي رضوان الله عليه لما راى زينة النبط بالعراق
في يوم عيدهم فقال ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم
لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي والانسان
ليطغى ان راه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى
لطول العافية لانه لبث اربعماية سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسد ولم يضرب عليه عرق
فلادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد
الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين

مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين
ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون
لذلك اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المومن في كل اربعين يوما ان
يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي عليه
السلام عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط فقال لا حاجة
لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما
الصداع ما اعرفه فقال النبي عليه السلام اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر
الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحمى حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعايشة رضي الله
عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهدا يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين
مرة وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه ولا شك ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت
فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي
نقصانا وقد يكون نقصانا وقد فعله عليه السلام بيان الرد على من قال ان ترك التداوي
افضل بكل حال فان قال قايل انما فعل رسول الله ذلك ليسن لغيره والا فهذا حال الضعفا
ودرجة الاقويا يوجب التوكل ترك الدوا فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة
والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك شرط فليكن من شرطه ان لا يلدغه العقرب والحية فلا
ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال
وذلك ايضا شرط التوكل فيقال ينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالما ولدغ الجوع بالخبز
ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب
رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر
رضوان الله عليه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية
بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا وطاعونا عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء
فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا
نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت

مطلب لا يخلو المومن من علة وقلة

مطلب ... الطاعون

فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسألوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوبآء فقال له ابو عبيدة
في رايه أنفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال
ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احديهما مخصبة والاخرى مجدبة أليس ان رعى المخصبة رعاها
بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف
ليسأله عن رايه وكان غائبا فلما اصبحوا جا عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين
شيء سمعته من رسول الله فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله يقول اذا سمعتم
بالوبا في ارض فلا تقدموا عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع الناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على
ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل قال يعلت فلم نهى
عن الخروج من البلد الذي فيه الوبا وسبب الوبا في الطب الهوا واظهر طرق التداوي الفرار من المضر
والهوا هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة
فرار من المضر فترك التوكل في امثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه
والعلم عند الله ان الهوا لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه
اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر فيها بطول الاستنشاق فلا
يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي
استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو
تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف
اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون
وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الما ويطعمهم الطعام وهم
يعجزون عن مباشرة ذلك بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما
ان خلاص الاصحا منتظر ولو اقاموا لم يكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج
قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمومنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في

تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة
اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب
الدخول ها هنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجا دفع ضرر عن بقية المسلمين
ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين
وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده
اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك
فان قلت ـــــــ ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله التداوي لينال الفضل
فنقول ـــ فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية
وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين
لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى
الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقية او كان يشغله حاله عن التداوي
او كان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي
وكل ذلك كمال بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على
وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب
ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال لكراهة
له وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوى
الحجر والذهب عنده وكان لا يمسكه ليعلم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم الخوف على
نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان يغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان
يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال
الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال
فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدوا نافعا دون خالق الدوا وهذا
قد نهي عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمومن

في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المومنين لا يرى الدوا نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الما مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعه او على المعصيه كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين بيان

حكم المتوكل في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفا الفقر وانواع البلايا من كنوز البر وهو اعلى المقامات لان الرضى بحكم الله او الصبر على بلايه معامله بين العبد وبين الله فكتمانه اسلم من الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت النيه فيه والقصد ومقاصد الاظهار ثلثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكايه بل في معرض الحكايه لما ظهر عليها من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن بن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى فيّ والثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفه فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن البصري اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك فظنوا انه شكايه فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم فيه من القوة والضرامة وتادب فيه بتادب النبي عليه السلام اياه حيث مرض علي فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلا فقال لقد سالت الله تعالى البلا فسل الله العافيه فهذه النيات في رخصة ذكر المرض وانما يشترط ذلك ان ذكره شكايه والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السوال على الفقرا الا لضروره ويصير الاظهار شكايه بقرينه التسخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلا عن قرينه التسخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم

ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكايه ولانه ربما يكون فيه تصنع ويزيد في الوصف على الموجود من العله ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحه الى الدوا احسن من الاستراحه الى الافشا وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العياده خشية الشكايه وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا منهم الفضيل بن عياض ووهب بن الورد وبشر بن الحرث وكان فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ايضا لا اكره العله الا لاجل العواد

تم كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه

ويليه كتاب المحبة والرضى ان شا الله تعالى

كتاب المحبة والرضى وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نور قلوب اوليايه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمايه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيدا كبريايه وعظمته وكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الايس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته محترقا بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبيا بكمال نبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق والمته وقادة الحق وازمته وسلم كثيرا اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك

المحبة مقام الا وهو من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل
المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات
ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها
حتى انكر بعض العلما امكانها فقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله واما حقيقة المحبة فمحال
الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الشوق والانس ولذة المناجات وساير لوازم
الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطا عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع
في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله ثم بيان ان اعظم اللذات
لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان
الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم بيان معنى
الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته
ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف تفترض ما لا وجود له وكيف يفسر
الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب
ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى والذين امنوا اشد حبا
لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحب لله تعالى من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله علمني ما
الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى
يكون الله ورسوله احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف
وقد قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الاية وانما اجرى ذلك في معرض
التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال
استعد للفقر فقال اني احب الله قال استعد للبلا وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي

مطلب الايمان

صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي عليه السلام انظروا
الى هذا الرجل قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابوين يغذوانه باطيب الطعام والشراب
فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك
الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رايت
خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله تعالى بكل
قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقا انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه
وقال نبينا عليه السلام في دعايه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك
واجعل حبك احب الي من الما البارد وجا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
متى الساعة فقال ما ذا اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله
ورسوله فقال رسول الله المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشي بعد الاسلام
فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا
واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمومن
لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم
الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلام مر بثلثة
نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار
فقال حق على الله تعالى ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا
فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم
جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال
ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون وقال عبد الواحد بن
زيد مررت برجل نايم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن
سري السقطي قال يدعى الامم يوم القيمة بانبيائهم فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة
محمد غير المحبين لله فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله تعالى فيكاد قلوبهم ينخلع فرحا
وقال هرم بن حيان المومن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه

مطلب

من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر

لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين العبرة. وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الاخرة
وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه
يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب
فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة
بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك
وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا ورضى
وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي
ولاح طائري فكيف انصرف عنك وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة
اليك همهمة لاني احبك وكل حب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف. وقد ورد في حب
الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق
معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المطلوب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها
واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معانيها في حق الله عز وجل فاول ما ينبغي ان يتحقق انه
لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف
بالحب جماد بل هو من خاصة الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه
ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام وايلاذ فكل ما في ادراكه لذة
وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب
الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه
محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة منه فالحب عبارة عن ميل الطبع
الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم
المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته

الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل
حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك

والبغض ضده يعني ان البغض عبارة عن نفرة الطبع الى المؤلم فاذا قوي صار مقتا

الحب ضد البغض والعشق ضد المقت

اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة
والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح
الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس
ملتذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ
للسمع والعين فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق
وسمى الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس
مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب
مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا
يحب فاذا قد بطلت خاصة الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او
بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من
البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور
الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من المعاني الشريفة الالهية التي تجل عن ان
تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب
الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور
عن درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا

الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه
ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد
يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ
الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور موجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها
وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى
دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملائمة
من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان
دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت

مطلب في اقسام المحبة والمحبوب الاول

بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت
والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم
لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء والهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام
الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر
المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت
في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في
الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته
ثم سلامة اعضايه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقايه فالاعضا محبوبة وسلامتها مطلوبة
لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود
وكماله وكذلك سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشيا لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام
الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا ينال منه حظا بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه
في الوجود بعد عدمه فيكون في بقا نسله نوع بقا له فلفرط حبه لبقا نفسه يحب بقا من هو قايم
مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقا نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان
طبعه باقيا على اعتداله اثر بقا نفسه على بقا ولده لان بقا ولده يشبه بقاه من وجه وليس هو
بقاه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا قويا
بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه
محبوب بالطبع لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه
عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب **السبب الثاني** الاحسان فان الانسان عبد الاحسان
وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اسا اليها وقال رسول الله اللهم لا تجعل لفاجر علي
يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة
لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة
وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وساير الاسباب
الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيا الوجود الا ان الفرق

بينه وبينه ان اعضا الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس
هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي قد يكون سببا في دوام صحة الاعضا ففرق
بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب مطلوب
لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذا العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ
محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة ولكن الطعام
محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل
واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه وكان من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه
وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقا ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه
الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه **السبب الثالث** ان يحب الشي لذاته لا لحظ
ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب
الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه
عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها فلا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لقضا الشهوة
فان قضا الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز
ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والما الجاري والخضرة محبوبة لا ليشرب الما وتوكل الخضرة
او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والما
الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة
الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب
حظ ورا النظر وهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن
لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند
من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال

الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما ظن
انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة
وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الانسان

جنس البهائم فاكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا
ولا متلونا متقدرا فلا يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن
ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط
حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فاي معنى لحسن الصوت
والخط وسائر الاشيا ان لم يكن الحسن الا في الصور ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن
والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شي من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن
وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشيا فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا
يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شي فجماله وحسنه في ان يحضر كماله اللائق
به الممكن له فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من
الحسن والجمال بقدر ما حضر والفرس الحسن هو الذي جمع ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن
عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها
واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شي كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شي في
كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا
تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشيا فان قلت فهذه الاشيا وان لم تكن تدرك
جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات
وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك من
غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات يقال هذا خلق حسن وهذا
علم حسن وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة
والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشي من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس
بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع
عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبيا عليهم السلام وعلى
حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل ابي حنيفة والشافعي ومالك
وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله

في نصرة ارباب مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم
اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده
ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة
فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة
العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور
جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق ويفضله
على غيره او يحب عليا ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين
والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده
واطرافه اذ كل ذلك قد زال وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة
التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقا تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك
الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر
شهواته فجميع خلال الخير تتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلها من جملة
البدن جز لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجز الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر
حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة عن غير علم وبصيرة
لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع
جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى
وطبعه اذا اردنا ان نحببه اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا الاطناب في
وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه
ولم يقدر على ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض ابليس الا بالاطناب
في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخا ووصفوا خالدا
بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله
المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة
الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتناءي الدار

فاذن حب الانسان ليس مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه
الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والجمال يشملهما ويدرك الصور
الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا
يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان
حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال
صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبيا لجمال صورته الباطنة **السبب الخامس** المناسبة
الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب
الارواح كما قال عليه السلام فما تعارف منها ائتلف وقد حققنا ذلك في كتاب اداب الصحبة عند
ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجايب اسباب الحب فاذن ترجع اقسام الحب الى خمسة
اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقايه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده
ويعين على بقايه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه
لكل ما هو جميل في ذاته سوا كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة
خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان
للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد
كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في
نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين
ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله
تعالى **بيان** ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى
الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى فان الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا حب العلما
والاتقيا لان حب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع
الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصاير الا الله تعالى ولا يستحق
للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق
الله تعالى بجملتها ولا توجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم

وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما بدا ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفا العقول
من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تعالى **فاما**
السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه
ونقصانه وقواطع كماله وهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة
لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام
وجوده وكمال وجوده من الله تعالى وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو
المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب
والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالايجاد
وهو هالك عقب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقا وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله بالتكميل
لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شي له قوام بنفسه الا الحي القيوم الذي هو قايم بنفسه بذاته وكل ما
سواه قايم به فاذن حب العارف ذاته ووجود ذاته مستعار من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده
والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه
فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها
ولذلك قال الحسن رحمه الله من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن احب النار بعد
منها فكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر
الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة
الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من
اثار قدرته ووجود الظل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع
للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفايض
منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة
الابصار ان النور حاصل بقدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام
الكثيفة كما ان الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من
الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقايق فاذن ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه

أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن
عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه
حق معرفته واقتصر على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم به والاتساع
له دون عالم الملكوت الذي لا يطأ أرضه إلا من يقترب إلى شبه الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات
من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى عالم البهائم وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه
بماله وأمده بمعونته ولاطفه بكلامه وانتدب لنصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض
وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه
يقتضي أن لا يحب إلا الله فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط وأما أنواع إحسانه
إلى كل عبد فلست أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد
أشرنا منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الإحسان من الناس لا يتصور إلا بالمجاز وإنما
المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أحسن إليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء
فإنك تظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته
الباعثة على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته
ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه ودنياه في الإحسان إليك
ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح
دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن
هو الذي اضطره وسخره لك وسلط الدواعي الباعثة والمرهقة إلى الفعل وأما يده فواسطة
يصل بها إحسان الله تعالى إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان
الماء فيه فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت
جاهلاً بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه أما الإحسان إلى غيره فمحال
من المخلوقين لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة
والاستسخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة
والمحبة كما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له

له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصوده وأما أنت فلست مقصوده بل يدك آلة له في القبض
حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل
إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده من ماله ولولا
رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة فهو إذاً غير مستحق للشكر والحب من وجهين
أحدهما أنه مضطر بتسليط الله تعالى الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الأمير
فإنه لا يرى محسناً بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والامتثال
لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه لما بذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي
عليه وألقى في نفسه أن حظه ديناً ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني أنه معتاض عما بذله حظاً
هو أوفى عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط
العوض أن يكون عيناً متمولاً بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأعيان والأموال بالإضافة إليها فلا
إحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله وهو الذي
أنعم على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود
والإحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض
فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان فإن كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب
العارف إلا الله إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة
على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه
وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضاً موجود في الطباع فإذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق
بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم
متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك فإنك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد في القلب
ميلاً إلى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني
لانقطاع طمعك عن التوصل إلى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن
إليك وهذا أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً إلا من حيث يتعلق بسبب فإن
الله تعالى هو المحسن إلى الكافة المتفضل على جميع أصناف الخلائق أولاً بإيجادهم وثانياً بتكميلهم

بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وما لنا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي مظان حاجاتهم
وان لم تكن في مظان الضرورة وما لنا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن
ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد
والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم
به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء
واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه
والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات
بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا
وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب
الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى وحده واما
السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول
في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة يعني
المدركة بعين القلب ونور البصيرة فالاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه ارباب
القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك
الجمال وان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهد حب الانبياء والاولياء والعلماء
وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه ونحول الاعضاء
وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس اثاره الصادرة منه الدالة
عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه واحبه فمن يحب رسول الله او الصديق او ابا حنيفة او
الشافعي فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم
على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى
حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه
الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم
اشرف واتم جلالا وعظمة كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة واجل

منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم
واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك كل ما يقاربه ويختص به ويحيط به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا
الجمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله
وشرايع انبيايه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث
تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل
هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى
صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة
عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم بقوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسما على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم
يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا والقدر اليسير الذي علمه الخلايق
فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان
هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلما جهل بالاضافة
الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم
وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تقتضيه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلايق
اكثر من التفاوت بين اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية
يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلايق
كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة
فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ
حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران
فيصادف في نفسه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث
ذلك في القلب حبا ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله
تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبايث
النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر

على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياةً
ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه
من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به
قدرته من ملكوت السموات وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها
وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من
نفسه بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على
اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك
الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن له جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء
من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي تحظى بها الناس من
ملك المدرة ثم تلك المدرة لغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدٌ من عباد الله لقدرته
وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته
وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه
ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر
الا وهو اثر من اثار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلا فان كان يتصور
ان يحب قادرا لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب
والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال
في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال
التقدس الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام فاما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص
ونقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره
كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته
ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص
المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار

علوم

علوم المكاشفة فلا نطول بذكره فهذا الوصف ايضا ان كان جمالا محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره في
تنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان
كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوت درجات النقصان فاذن الجميل محبوب
والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة
له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من
سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقائه الضروري
الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار
الارض والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت
ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في
وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبيا الاقرار بالقصور
عن وصفه كما قال سيد الانبيا عليه السلام لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد
الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان
حب الله تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال
والمحاسن او ينكر كون الله موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع
عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرةً على جلاله وجماله ان يطلع عليه الا
من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون
وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الاخرة
هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان
يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اودّ الاوداء الي من عبدني لغير نوال
ولكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنةً ولا نارا
لم اكن اهلا ان اُطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار
ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له

وتعظيما لجلاله وقال اسم اوليا الله تعالى حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحي ان
اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السو ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السو ان لم يعط لم يعمل وفي
الخبر لا يكون احدكم كالاجير السو ان لم يعط اجرا لم يعمل ولا كالعبد السو ان لم يخف لم يعمل **واما**
السبب الخامس فهو المناسبه والمشاكله لان شبه الشي منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك
ترى الصبي يالف الصبي والكبير يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم
بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد له التجربه و
له الاخبار والاثار والتجربه كما استقصيناه في باب الاخوة في الله في كتاب اداب الصحبة فليطلب
منه واذا كانت المناسبه سبب التجاذب فالمناسبه قد تكون في معنى ظاهر كمناسبه الصبي الصبي
في معنى الصبى وقد يكون خفيا لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال
او طمع في مال او غيره كما اشار اليه عليه السلام اذ قال الارواح جنود مجنده فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي
حب الله تعالى لمناسبه باطنه لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز
ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطا الغيرة حتى يعثر عليها السالكون
للطريق اذا استكملوا شرط السلوك والذي يذكر هو قرب العبد من الله في الصفات التي امر فيها
بالاقتدا والتخلق باخلاق الربوبيه حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات
التي هي من صفات الالهيه من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمه على الخلق
والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من المكارم الشريفه وكل ذلك
يقرب الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب
من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي فهي التي يومى اليها قوله تعالى ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تعالى
انا جعلناك خليفه في الارض اذ لم يستحق ادم خلافة الله الا بتلك المناسبه واليه يرمز قوله
عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة
المدركه بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا الله تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا
واليه

واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان فلو عدته
لوجدتني عنده وهذه المناسبه لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى
لا يزال يتقرب الي العبد بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس الى قاصرين مالوا الى
التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبه الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم
انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال اخرون تدرع الناسوت
باللاهوت وقال اخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة
الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام
كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل لا زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب دون نزوله
فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات من ذلك
وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذا هو المعلوم من
اسباب الحب واقواها واعزها وابعدها وجملة ذلك متظاهره في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا
وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله تعالى فقط
كما ان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب
يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركه نقصان في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد
احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف
بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك
امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركه فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركه الى صفاته فهو المستحق
اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا **بيان** ان اجل اللذات واعلاها معرفة
الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة **اعلم**
ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة
ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرايز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت
كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا

جزم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذا
الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذا الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار
والاستماع والاستشمام فلا تخلو غريزة من هذه الغرايز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب
غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد يسمى العقل
وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات
مختلفه والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان المعاني تطلب من الالفاظ وهو عكس الواجب
فالقلب مفارق لساير اجزا البدن بصفة بها تدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه
خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا
بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة وقد اشتهر اسم العقل بهذا
ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى
اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها
المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى ساير الغرايز هو لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة
حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شي خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شي
حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدث بالعلم والتبجح به في الاشيا الحقيرة فالعالم
باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلم وكل ذلك لفرط لذة
العلم وما يستشعره من كمال ذاته فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولهذا يرتاح
الطبع اذا اثني عليه بالذكا وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثنا كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه
ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة
العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملايكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم
بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر
به يجد لذة له وان جهله تقاضاه طبعه ان يتفحص عنه فان علم بواطن احوال امير البلد واسرار تدبيره
في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار الوزير
وتدبيره وما هو عازم عليه في امور الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا
بباطن

باطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور
الوزير وكان تبجحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان
ان الذ المعارف واشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل
واعظم من خالق الاشيا كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور
ان تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبها والجلال اعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها
وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار
الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات
والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف بكمالها وجمالها واجدر
بما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله
وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعرف ان لذة
المعرفة اقوى من ساير اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة ساير الحواس الخمس فان اللذات مختلفة
بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة
كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفايق
الجمال للذة النظر الى ما دونه في الجمال وانما تعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين
النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روايح طيبة اذا اختار النظر الى
الصورة الجميلة علم انها عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل
فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات
الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين
ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات
الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعدا ونيل
درجة الاستيلا فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وان

كان على الصبى كامل العقل ايثار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت فاختياره الرياسة
يدل على انها عنده الذ من المطعومات البهيمية نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبى
او الذى ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يوثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة
الرياسة والكرامة اغلب على من جاوز نقصان الصبى والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة
جمال حضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التى هى اعلى اللذات الغالبة على الخلق
وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يوثر
التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم
لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها وكونه
مقطوعا بالموت الذى لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون
عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من
اعلى عليين الى اسفل السافلين وانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا
تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا
نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها فى جنة عرضها السموات والارض يرتع فى رياضها ويقطف من
ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة
ثم هى ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذى
هو امر ربانى سماوى وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان
يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم
الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية فلا تظن ان هذا مخصوص بالمقتول
فى المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفى الخبر ان الشهيد يتمنى فى الاخرة ان يرد الى
الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه
من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث
يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها
السموات

السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون فى
سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله لا يدخل
فى الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهى باطنة اقوى فى ذوى الكمال من لذات الحواس
كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة ولا للصبى ولا للمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى
الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت
سمواته واسرار مملكته اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات
ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان
عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التى بها يدرك هذه اللذة
ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا
ان يقال من ذاق عرف ولعمرى طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا
رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها فانها ايضا
معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره فى معرفة
الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشى اليسير فانه يصادف فى قلبه عند حصول
الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا
مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى
الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله
خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف له اخبرنى
يا ابا محفوظ اى شى هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واى
شى الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واى شى القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واى
شى هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة
كفاك جميع هذا وفى اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك
عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث فى النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب
الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى ياكلان ويشربان فقلت فانت قال علم الله قلة

رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورجلا قائما على باب الجنة يتصفح الوجوه فيُدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا لله فاباحه الله تعالى النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراكا فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء الحجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا وقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط وهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لها عنها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها فصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله تعالى عرف

ان اللذات المعرفة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

ولذلك قال بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وما اراد بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى عن لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واغلبها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الاية ثم بعد هذا يظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله ومعرفة افعاله ويستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من ترك اللعب واشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من ترك الرياسة واشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون **بيان السبب** في زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غمض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صار بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال هو اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك

الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق الله هذا
الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات
فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال
لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني
ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية
الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين
البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل
فكذلك مقتضى سنة الله ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب
عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال
بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا
يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا
والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت
بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه
الخبث والصدا فصار كالمراة التي قد فسدت بطول تراكم الخبث على جوهرها فلا تقبل الاصلاح
والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد ونعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين
والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو
متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في
حق المؤمنين الى سبعة الاف سنة كما وردت به الاخبار ولن تنفك نفس عن هذا العالم الا وتصحبها
غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر
عنها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد الشرع
من العرض والحساب وغيره وافضى الى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه احدا من خلقه
فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك تستعد لصفائها ونقائها عن الكدورات

حيث

حيث لا يرهق وجهه قترة ولا غبرة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف
تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي
هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص
بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية
تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة
في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة
في الاخرة والمعلوم في الدنيا فرق الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربناه من المثال في استكمال
الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها
وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف كما ان
الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها واليه الاشارة بقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية
الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة
والحب زرعا ومن لا نواة في ارضه فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك
من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي
ايضا على درجات متفاوتة واختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كلها كاختلاف النبات
بالاضافة الى اختلاف البذور اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك
قال عليه السلام ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان تظن ان غير ابي بكر
ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره اذ كانت معرفته
في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في قلبه فضل لا محالة بتجل انفرد به فكما انك ترى في
الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات
ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمشروب جميعا فكذلك
يكون في الاخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم
والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع

على اسرار الربوبيه على لذة المطعوم والمشروب وساير ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعه
العدويه ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبيّنت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى
رب الجنه وكل من لا يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الاخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا
لم يجد لذة النظر في الاخره اذ ليس يستانف لاحد في الاخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد
الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو
الذي يتنعم به بعينه فقط الا انه ينقلب مشاهدة بكشف الغطا ويتضاعف اللذة به كما تتضاعف
لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق روية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة الجنة
ان لكل واحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتاذى به فاذن
نعيم الجنه بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر
الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الروية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان
كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر
ساير لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفه فمن خلا عن المعرفه
كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفه ضعيفه وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين
في معرفتهم وذكرهم ومناجاتهم لله تعالى لذات ان عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا
بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى نسبة اللقا والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رويته ولا للذة استنشاق روايح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى
لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة الى الاجمل اكمل لا محالة
الثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته
وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه بروية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او
من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضو ولا ادراك لذة المضاجعة مع
ثوب حايل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوايق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس
التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتالم
او المشغول

او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر وجه معشوقه من وراء ستر رقيق
على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حال اجتماع عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه
فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرات على الفجاة حالة انهتك بها
الستر واشرق بها الضو واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القويه
والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد
بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفه فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب
والزنابير الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف
الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاتها الى
اسفل السافلين وهو مثال قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور
فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البته
نعم قد تضعف هذه العوايق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل
وتعظم لذته بحيث يكاد ينفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من
الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دايمة في هذه الحياة الفانية
فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الاخرة وان
الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبه فانه يحب الله فيحب الموت
ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفه فان المعرفه كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له
والاحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفه بالله وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته
وقويت كثرت النعم في الاخره وعظمت كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن
تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الاخرة ولهذا قال رسول الله
افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى لان المعرفه انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل
بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي
ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا في المعرفه بالغا الى منتهى ما يسر له ومن
كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر وراى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا

سبب كراهية الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقا وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم يكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الاخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك وارباب البصاير لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سوا كان بالعين او غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان يحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الاخرة من الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة وشواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الوارده في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى اعلم ان اسعد الخلق حالا في الاخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الاخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاوه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الانا الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الما وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله تعالى بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الما في الانا ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد

الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محبوب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال عليه السلام ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبيبه فخلي عن السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الاباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله ولا يوتى احد من الدنيا شيا الا وينقص بقدره في الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب ولا يطيب قلب امراته الا ويضيق قلب ضرتها والدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجا وما ذكرناه من المقامات كالتوبة والزهد والصبر هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب من غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة **السبب الثاني** لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاوها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلايقها يجري مجرى البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من

هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله تعالى لها مثلا بقوله ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه فهي المعرفة والعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير
في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة فاما العلم بكيفية
العمل يراد للعمل والعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه المعاملة وغرض
المعاملة صفا القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما
حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه
بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تبع اللذة بالضرورة فالمحبة تبع
المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي
والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وملكوت سمواته
وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى
ثم به يعرفون غيره والى الضعفا ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى
الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا
هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي
والى الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وبقوله اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله الله الذي
خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع
البصر كرتين الاية وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر
دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت
كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم
ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق على ساير الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن
حد فهم اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج
عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا
وحظوظ

وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية
اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارض الا وفيها عجايب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى
وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه اغتراس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به
على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه بذكره فنقول اسهل
الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فليطلب اقلها
واحقرها واصغرها ولينظر في عجايبها فاقل المخلوقات هو الارض وما عليها اعني بالاضافة
الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى
من صغر جسمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر
الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها التي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة
وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في
العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها
بل ما اصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل
في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض من الماء كجزيرة
صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى
ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما تعرفه من الحيوانات
البعوض والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف
وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل
خرطومه وخلق له على شكله الصغير ساير الاعضا كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف
قسم اعضاه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من
اعضا الغذا وآلاته ما دبر في ساير الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية الجاذبة والدافعة
والماسكة والهاضمة هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذايه
وعرفه ان غذاه دم الانسان ثم انظر كيف خلق له آلة الطيران الى الانسان وخلق له الخرطوم

مطلب

الطويل وهو مجوف محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها
وكيف قواه حتى غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا
حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزايه ويغذيه ثم انظر كيف عرفه ان الانسان
يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي
بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر
مواضع الغذا فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى ان حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان
وكانت الاجفان مصقلة لمراة الحدقة عن القذى والغبار خلق للذباب والبعوض يدين فينظر الى
الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان
حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة فتجمع الغبار الذي يلحق الحدقة وترميه الى اطراف
الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضو العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها
عند هيجان الغبار فينظر من ورا شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار
واما الذباب فخلق له حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل
ابصارها تراه تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضو النهار فاذا راى المسكين
ضو السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضي فلا
يزال يطلب الضو ويرمي بنفسه اليه فاذا جاوزه وراى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها
على السداد فيعود اليه مرة الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل
الانسان اعظم من جهلها بل صورة الانسان في الاكباب على الشهوات صورة الفراش في التهافت على النار
اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ضو ظاهرها ولا يدري ان تحتها السم الناقع القاتل فلا
يزال يرمي بنفسه اليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا موبدا فليت كان جهل
الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضو تخلصت في الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد
او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ
بحجزكم فهذه لمعة من عجايب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب ما لو اجتمع الاولون
والاخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورته واما
خفايا

خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا
يشاركه فيه غيره فانظر الى النحل وعجايبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضيا والاخر شفا ثم لو تاملت
عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها من النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد
من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل
على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم
بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معادات اقرانك وموالات اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر
الى بنائها بيوتا من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس دون ساير الاشكال
فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس دون ساير الاشكال
تقصر فهم المهندسين عن فهم دركها وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستديرة وما يقرب منها
فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا
فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرا لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا
جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في اشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتوا من المستدير ثم تتراص
الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله
تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه فسبحانه
ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه واعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع
عنك عجايب ملكوت السموات والارض فان المقدار الذي بلغه فهمنا القاصر منه ينقضي الاعمار
دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلما والانبيا ولا نسبة لما احاط به
علم الخلايق كلهم الى ما استاثر الله بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم
الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريق وبزيادة المعرفة
تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقا الله تعالى فانبذ الدنيا ورا ظهرك واستغرق العمر في الذكر
الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب اعلم ان المومنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم

في اصل الايمان ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها
واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسما التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما
تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب [illegible] الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا
بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهولا هم اصحاب السلامة من اصحاب
اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف
الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الاية واذا كنت لا تفهم الامور
الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حبه [illegible]
منهم والعوام لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامده [illegible]
علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فان
من راى تصنيف مصنف واستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال قلبه اليه فان راى تصنيفا اخر
احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل
انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من ابيات شعره ما عظم به حذقه وصنعته ازداد به معرفة
وازداد له حبا وكذا ساير الصناعات [illegible] الا فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف
ولكن لا يدري ما التصنيف فيكون له [illegible] ويكون له به ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف
واطلع على ما فيها من العجايب تضاعف حبه [illegible] لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال
صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك [illegible]
واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى [illegible] حتى يرى في البعوض مثلا من عجايب صنعه ما
ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد
له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله تعالى اطلاعا استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله
وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة [illegible] اعني معرفة عجايب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا
جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له [illegible] ومما يفاوت الحب اختلاف الاسباب الخمسة [illegible]
للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ [illegible]
بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلا كحبه في حالة الرخا والنعما واما من يحبه لذاته [illegible]

مستحق

مستحق الحب لهذا وامثاله فهو السبب في تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في
سعادة الاخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي ان
تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد
من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا
راينا انسانا يكتب او يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته
وارادته للخياطة اجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة وصفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه
وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها لا نشك فيه كمقدار
طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه
جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته فان هذه الصفات لا تحس بشي من الحواس الخمس
ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته ولو نظرنا الى كل ما في العالم لم نعرف
به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله وقدرته وعلمه وساير صفاته
تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الخمس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات
وشجر وحيوان وسما وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهوا وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه
انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا
واظهر الاشيا في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل
واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد
ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه
وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كان حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد
واحد وهو ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل
نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان
حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجد ومحرك لها تشهد بذلك اولا
تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وساير

اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن
لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وغائب وحاضر الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت
العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه
وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء
النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره مع ضعف بصره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت
فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الضوء بالظلام
وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية
الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه
فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب
الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء
فدل بعضها دون بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل
الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول
عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها
وهي السواد والبياض وغيرها فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما
الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان
الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور
بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير
مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان
ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت
السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء
موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء
كلها على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء
فهذا

فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا
يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله اثر من آثار قدرته
فهي تابعة لها فلا وجود لها بالحقيقة دونها وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن
هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وشجر بل
ينظر فيه من حيث انه صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او
تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث انه اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج
مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل
الله تعالى وعرفه من حيث انه فعله واحبه من حيث انه فعله لم يكن ناظرا الا في الله تعالى ولا عارفا
الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه لا من حيث نفسه
بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة
بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت لضعف
الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام
او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن
معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها الانسان في
الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس
بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة
حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة
طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد
قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه وامتد
بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله
ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات
هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة والناس في طلبهم
معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات

إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الأمر فليتحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق

إذ لا يتصور الشوق إلا إلى المحبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطرا إليه

بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيكفي في إثباته ما

سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشتاق إليه لا محالة وأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه فإن الشوق

طلب وتشوف إلى نيل أمر والموجود لا يطلب ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه

ولم يدرك من وجه فأما ما لا يدرك أصلا فلا يشتاق إليه فإن من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لم يتصور

أن يشتاق إليه وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه

مداوم النظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه

وهو من وجهين ولا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه

خياله يشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور

أن يشتاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوف نفسه إلى استكمال

خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا تنكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته

وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا

ولا سائر محاسنه فيشتاق إلى رؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية

ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف

له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين

فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا

يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فإن الخيالات لا تفتر في هذا العالم

عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف إليها شواغل

الدنيا فإنما كمال الوضوح في المشاهدة وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك

بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال

الوضوح

الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني أن الأمور الإلهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد

بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب

عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من

المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الأول ينتهي في الدار

الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن

أدهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب إن أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه

قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق فرأيت في النوم أنه وقفني بين يديه وقال يا إبراهيم أما

استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه

فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك

وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني

فيشبه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال

الله وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لا نهاية له ولا يزال

العبد عالما بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته

درجات كثيرة إلا أنه يتشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو لذلك شوق لذيذ

لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن يكون الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة

متزايدا أبد الآباد ويكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل

وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلا فإن كان ذلك غير مبذول

فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم

يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا يحتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بإتمام النور

مهما تزود من الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا

استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا

نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها من

الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقا فأما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف

لمنافيه بعد ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار
البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار فاكثر من ان تحصى فمما
اشتهر من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد
العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدردا لكعب اخبرني
عن اخص اية يعني في التوريه فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد
شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي
اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع
لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني
بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي
ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة ابراهيم خليلي وموسى
نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان
الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق
اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت
عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون
الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام
وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم
وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد
وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاثا
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها
في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما
اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر
الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم
من الكدر

من الكدر وانبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي
واضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني ما دعوتكم لتسجدوا لي
ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي
كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي
فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون
به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان
فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام
وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي
افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة
الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا فقال داود اني رسول الله جئتكم لابلغكم
رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني
رسول الله اليكم ان الله تعالى يقرئكم السلام ويقول الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم
وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح بفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل
ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك
سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من اعمارنا وقال
الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعا وقد علمت انه لا حاجة لنا
في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون
في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك
افنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال
الاخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك
وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك
وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على
سيده اذ امرتنا بالدعا بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات بين اطباق السموات

وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا بوجهك وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك بتمام نعمتك فيما وهبت
لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى وجهك وقال
الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر
قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى
الله تعالى إلى داود قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه
وليتخذ لنفسه سربا فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي فقال داود يا
رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وإن هذا منزل
لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي
فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إليّ نظر الناظر إلى
الشيء بعينه وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة
ولدها وإن عطش أرويه وأذيقه طعم ذكري فإذا فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا
وأهلها ولم أحببها إليه لئلا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع
نظري من خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه
وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سماواتي يزداد خوفا وعبادة
وعزتي وجلالي لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إليّ حتى يرضى وفوق الرضى وفي
أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب
فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني
لكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي وفي أخبار داود أيضا أن الله تعالى أوحى
إلى داود تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان
في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد
دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وما أشكل عليك فقلدنيه حقا
علي أن أبادر إلى سياستك وتقويمك فأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك
على الشدائد فإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب عبدا إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته

القا كنفه

إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني وإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكنت الغنى
قلبك فإني قد حلفت على نفسي أن لا يطمئن عبد إلى نفسه ينظر إلى أفعالها إلا وكلته إليها أضف الأشياء إليّ
لا تكون معتمدا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا
تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي
أبيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر إليّ ببصر قلبك ولا تنظر
بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت قلوبهم عني فأضجروها وسخطت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي
لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل
محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها فأكتبك
جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا حاجة إلى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ
من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك فإني ما
أحب الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي وإنما عقوبة
في موضع الأنبياء والأبرار ما يصل إليهم أن أحجب قلوبهم عني وإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا
داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن
على ترك الشهوات بإدمان الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه يا داود
تحبب إليّ بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك
مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي وأوحى الله
تعالى إلى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا
شوقا إليّ وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي
في المقبلين عليّ يا داود أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر
عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إليّ فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة
والشوق والأنس وأما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم
الشواهد على محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد الله تعالى على من ادعى انه حبيب الله تعالى
قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى عن انس بن مالك عن النبي عليه السلام انه قال اذا احب الله تعالى عبدا
لم يضره ذنب والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومعناه
انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلا تضره الذنوب الماضيه وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد
الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم وقال عليه السلام ان الله يعطي الدنيا من لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال عليه السلام
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام قال
الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان
يقول له اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة
العبد لله تعالى حقيقة وليس بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشي الموافق
والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان
الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص
بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يتصور ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت
على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو
اعم الاشيا اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده
مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستوا في اطلاق
الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متساويه فيهما من
غير استحقاق احدهما ان يكون فيه اصلا فليست الجسمية في احدهما مستفاده من الاخر وليس كذلك
اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد في ساير الاسامي اظهر كالعلم والاراده والقدره وغيرها
وكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغه انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق
اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز
والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملايم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة
فانها

فاتها ما هو موافق لها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال
وبها وجلال ممكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله
فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته
وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني رحمه الله لما قرى عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق
يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه
وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه
وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه
والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الاراده
الازليه التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب فاذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب
عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفا باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل
ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده
من نفسه وياذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح
بمشاهدته او ليستشيره في رايه او ليهيي اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون
معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملايم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع
والاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضيه والخصال الحميده بما يليق به ان
يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب
بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميده ما اقتضى رفع الحجاب عنه يقال قد
توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله
بالمعنى بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله
تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهايم والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي
هي الاخلاق الالهيه وهو قرب بالصفه لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما
يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن

وهو محال في حق الله عز وجل اذ التغير عليه محال بل لم يزل في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل
الازل ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب من الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون
احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الاخر بل القرب في الصفات
ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال
علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق الى درجته من حضيض الجهل الى
يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك
ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور
واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال
ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ
وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات
الكمال متناه وينتهي الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية
له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع
الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده
كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه
فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا
المعنى محال على الله تعالى فان قلت ـــــــ محبة الله تعالى للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه
حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال عليه السلام اذا احب الله تعالى عبدا
ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله
تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى لم لا تشتري حمارا تركبه فقال انا
اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك
وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت
عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه

عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال
اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله
تعالى واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون
هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل
همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته
والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الان
علامات محبة العبد لله تعالى فانها ايضا علامات حب الله تعالى للعبد القول في علامات محبة العبد
لله تعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان
بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين
والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح
وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار
على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور
ان يحب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها قبلها
بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه
ليتنعم بمشاهدته محبوبه والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة وقال عليه السلام من
احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال
بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود
فقدم حب لقاء الله تعالى على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل
الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي
بكر لعمر الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن
غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت
ولن تعجزه ويروى عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد

الا تدعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني واذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله فيمن جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقان في خيط قال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله اخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقا حبيبه وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضا الله تعالى افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش على ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا كيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقا الله تعالى عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا على قدر حبه لها واما السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون العبد في ابتدا مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقا الله تعالى فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيي له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدووب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون موثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره

وباطنه

وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم الى قوله ويوثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى وكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله امرني بذلك فاخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعند ذلك سكنت فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل ايضا

واترك ما اهوى لما قد هويته ... وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك فليس كل من عمل بطاعة الله تعالى صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله ولا يكله الى شهواته وهواه ولذلك قال الله تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يوتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يوتى به رسول الله فقال عليه السلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال المحبة وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب

احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويدا القلب احب الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في
دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم
اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المحبة والمعرفة ولم يتحقق بشي من ذلك
ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيا اكثر
بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه
وحب رسوله وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت
من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب
رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه فلم يجاوز حبه المحبوب بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على
قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القران والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا
تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقال عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفين من احب من يحب الله
فانما احب الله ومن يكرم لله فانما يكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت
حلاوة المناجاة في شرة الارادة فادمنت قراة القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة
قال فسمعت قايلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي
قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القران فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسال
احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله وان لم يكن يحب القران فليس يحب الله
والقران هو المعيار وقال سهل علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب
النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الاخرة ومنها ان يكون انسه
بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة القران ويواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفا الوقت
بانقطاع العلايق والعوايق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان
النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى كيف يصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم
وقد

٧ نه علامه

وقد نزل من الجبل من اين اقبلت قال من الانس بالله وفي اخبار داود لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما
اقطع عني رجلين رجلا استبطا ثوابي فانقطع ورجلا نسيني ورضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه
وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة
محبة الله وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى ان الله قال لموسى ان برخا نعم
العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى
شي وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طاير وقد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر
عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا الطاير قال ففعل فاوحى الله تعالى
الى نبي قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا فاذن علامة
المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق
عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه
ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت
رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة
قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه
مرارا كالعاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه والمحب من لا
يطمين الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تعالى الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين
القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى
شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه
واوحى الله تعالى الى داود قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقا
حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد
وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله تعالى ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلث خصال
فليس بمحب يوثر كلام الله على كلام الخلق ولقا الله على لقا الخلق والعبادة على خدمة الخلق
ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تاسفه على فوت كل ساعة خلت عن
ذكر الله وطاعته فيكون رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة وقال بعض العارفين

ان لله تعالى عبادا احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ
كان بملك مليكهم ما شا وما شا كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب
اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويساله ويقول يا رب باى ذنب
قطعت بركتك عنى وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيخرج ذلك منه صفا ذكر ورقة
قلب ويكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون غفلته وهفوته سببا لتجدد ذكره وصفا قلبه ومهما لم ير
المحب الا المحبوب ولم ير شيا الا منه لم يتاسف ولم يشتك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر
له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم ومنها ان ينعم بالطاعة ولا
يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت عشرين سنة وقال الجنيد علامة
المحب دوام النشاط والدوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله
الفتور وقال بعض العلما ما اشتغل محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسايل وكل هذا له موجود
في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه
ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب
الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته
وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقد سيل بعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق
له شي ما كان سبب حالك هذه في المحبة قال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك
بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي قال يا سيدي
املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود
فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على اعدا الله وعلى
كل من يقارف شيا مما يكرهه كما قال الله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم ولا ياخذه في الله لومة لايم
ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياه اذ قال في بعض كتبه الذين يكلفون
بحبي كما يكلف الصبي بالشي ويأوون الى ذكري كما ياوى النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما
يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس ام كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي
لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه
فان

فان انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه
ومن منعه مقته واما النمر فلا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات
المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج
بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى ان الابرار
لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم
عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين والشراب
عبارة عن جميع نعيم الجنان كما ان الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون
فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم
بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدانا
اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزا وفاقا اى وافق الجزا اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل
المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاه لنعيم الاخرة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوا منها
حيث يشا فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك
ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين
ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون
نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فمن بقضا شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم اخرون
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب ولما قصرت
الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادريك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة
وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خايفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن
ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب
الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها
خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود شيب

سيدنا المحسن اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين سبب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله تعالى وانما كان ذلك استغفارا من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي ان الله تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة لعموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول في سياحته وكان على جبل كل ذنب لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه ولم يفق يوما وليلة وطرت عليه احوال ثم قال سمعت النداء في الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا او يغتر بحسن الظن بالله او بالغفلة والهوى والنسيان وهي كلها من جنود الشيطان الذي يغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان كما ان اوصاف الله تعالى ما يظهر مقتضى هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة ومن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة والاستغنا وذلك من مقدمات المكر والشقا والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة

مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر والانقباض عن دوام الذكر وملالة الوظايف والاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها وهذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر بصفا المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخايف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر وانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشي ولا ينتفع به شي فسال له الصديق ربه ان ينقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزا من ماية الف جزء من ذرة المعرفة وذلك ان ماية الف عبد سالوني شيا من المعرفة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين ماية الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من ماية الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاوه وسكن وصار كساير العارفين وقد قيل في وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... على الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب ... كان فواده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وغابت ... عن الابصار الا للشهيد
ترى الاعياد في الاوقات تجري ... له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد ... ولم تجد السرور له بعيد

ولذلك كان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي

سرت باناس في الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراص بقرب الله في ظل قدسه ... تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو افضل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وما كتمه احلى لديه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه ... وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم ... وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه ... الى اهله في السر والصون اجمل
واستا لهذه المعارف التي اليها الاشارة

لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شي منها لمن لم ينكشف بل لو اشترك الناس فيها
لخربت الدنيا والحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم
فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلما الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام
عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما
ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة
تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى
ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافترا وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى في
الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع
ذلك من غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه
وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول   وقالوا قريب قلت ما انا صانع
بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري   فما لي منه غير ذكر بخاطر   يهيج نار الحب والشوق في صدري
والعاجز عنه يقول   يخفي فيبدي الدمع اسراره   ويظهر الوجد عليه النفس   ويقول ايضا
ومن قلبه مع غيره كيف حاله   ومن سره في جفنه كيف يكتم   وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله
تعالى بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شي ويكثر التصنع بذكره عند كل
احد فهو ممقوت عند المحبين والعلما بالله عز وجل   ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن
كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلا فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه
فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت
المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار الخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها
ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان
ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى
اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب
فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت
فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعته يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت
فاغسل

فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك واظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب
سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضا فلا يلام فيه صاحبه   وحكي ان رجلا راى من بعض المجانين
ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلا ومجانين
فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة
وحبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من كل
حب لله تعالى وقال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل
المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيا فذكر اشيا من مكاشفات ايات السموات في
قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شي فقلت ما انتم فقالوا
نحن المحبون لله نعبده ها هنا منذ ثلاثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال
فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه
واستحيى منه حق الحيا خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته
واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف
لعلته دوا ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل
ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم
رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول
قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه
وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته
ومنها الانس والرضى كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما
لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحب لجلاله
وجماله وان لم يحسن اليه فالمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله عام
وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انه تقل
محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة

والمتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمنعوا أن أحبوه فإذن استحق عندهم المحبة
بذلك لأنه أهل له ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله إبليس وهو مع ذلك يلبس
على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن أنه يحب الله وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس بها نفاقا وريا
وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السو والقراء السو أولئك بغضا
الله في أرضه وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال يا دوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا
فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا لا يخلو إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله
وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحب أبياتا وهي هذه

لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية معلولة والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل
وقال يحيى بن معاذ الرازي
ومن الدلائل أن تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا أن قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله تعالى

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه
آثار تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب
إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج
إليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب
ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير
ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات
العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى
تألمه خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظة تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها

فالأنس

فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه
وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال
لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإلى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير
ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة
كما حكي أن إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله
ملازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب كما روي أن موسى
عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغشيان لأن الحب يوجب عذوبة
كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه
يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سواي
مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل وقال عبد
الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة
لاستوحشت إليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة قال الراحة
من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله قال إذا
صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال إذا اجتمع الهموم فصارت هما واحدا في الطاعة
وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك فإن قلت
فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره
بعذوبة الذكر فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد
في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي
الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما
استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده
وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والمحبة لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهله
بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد

ابن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق
حتى انكر بعضهم مقام الرضى وقال ليس الا الصبر فاما الرضى فغير متصور وهذا كلام ناقص فأمرهم
يتطلع من مقامات الدين الا على القشور وظن انه لا وجود الا القشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في
الخيال الطريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يعرف من الجوز الا قشره وظن ان الجوز خشب
مجرد ووراءه اللب فهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الانس. اعلم ان الانس اذا دام غلب واستحكم
ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال
والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام
الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة
برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى
الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون
مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى ولم يعرف
فبينما موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر
السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ
قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من
حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام
اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف
ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت
الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رأيت حين
خاصمت كيف انصفني فهم موسى به فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن
الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير بالبصرة فاخبر
بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على
ربي

ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة
رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى
النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها
ان تطفأ فعزم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال
له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة
ما لم ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس
لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة
وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه
اشار القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له
يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما
ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار
حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس
اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته
وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وقد عاتب الله نبيه عليه السلام في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سواء ولكن
في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى
فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل
سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الى قوله
ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي فكذلك الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس قول موسى
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب
الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله انا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا في غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف

ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام دون هذا لما انه اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن
الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم القيمة لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم قال
الحسن العرا هو القيمة ونهى نبينا ان يقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاوت
والتفاضل في القسمة بين العباد ولقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله
ورفع بعضهم فوق بعض درجات وكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام
علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما
يحيى بن زكريا فاقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل
لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلما قد عدد من قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا الى راس العشرين من اخباره عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد
يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسالة واحدة في سالة عنها
في القدر حتى قيل يمحى من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعور من اكابر العلما فاكل الدنيا بالدين
فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفى عنه فقد روى ان الله تعالى
اوحى الى سليمن يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه
مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن
بعده فلما دخل اصف على سليمن اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه
ويديه نحو السما وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم
ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة
فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر
ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان اشفى على الهلكة كم ذنب واجهتني به غفرته لك قد
اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل والتقدم والتاخير على ما سبق
به المشية الازلية فهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل
فما في القران الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول
قل هو

انبساط موسى في مقام الانس

قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول
الملك القدوس الاية وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في اعدايه وانبيايه
فيقول الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القران هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة
ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمايه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة
الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث
القران فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القران لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور
لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه لم يلد ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن
اصلا له ولا فرعا ممن هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد
وجملته تفصيل ذلك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القران ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القران والتمسوا غرايبه ففيه علم الاولين
والاخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في احاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة
بانه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القران معباة
في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيه من العجايب ما تستحقر منه العلوم
المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد
الله فيه

القول في معنى الرضى بالقضا وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامض على الاكثرين وما يدخل
عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون
تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضى بكل شي لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى
بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فراوا الرضى بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب
التسليم لقضا الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة
الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم
نذكر ما يظن انه من تمام الرضا كترك الدعا والسكوت على المعاصي وبالله التوفيق

بيان فضيلة الرضى

اما من الايات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزا الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان
رضى الله تعالى عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله اكبر فقد رفع الله الرضى فوق درجات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى
عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر وكما ان مشاهدة الله في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب
الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
فيقولون رضاك فسوالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما
رضوان الله تعالى عن العبد فهو لمعنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف
عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وفي الجملة فلا رتبة
فوق النظر اليه وانما سالوا الرضى لانه سبب دوام النظر فكانهم راوا غاية الغايات واقصى الاماني
لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضى سبب دوام رفع الحجاب
وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب
العالمين احدها هدية من عند الله ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من
رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والسلام فذلك
قوله ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضى الله وهو ثمرة رضا العبد
واما الاخبار فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون
فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلا ونشكر عند الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال مومنون
ورب الكعبة وفي خبر اخر انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا وفي
الخبر طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال عليه السلام من رضى من الله
بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله لطائفة
من امتي اجنحة فيطيرون من القبور الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاوا فتقول
لهم الملائكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فتقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا
صراطا فتقول لهم هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيا فتقول الملائكة من انتم فيقولون من امة
محمد

صلى الله عليه وسلم فتقولون نشدناكم حدثونا ما كان من اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى
هذه المنزلة بفضله ورحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير
مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال عليه السلام اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه
يرضى به عنا فقال عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم
ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عليه السلام انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله
عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم
بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون
وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان
رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي
مناجاة موسى عليه السلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال
فاي خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ما هو
اشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعماي ولم
يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي ومثله في الشدة قوله فيما حكى عنه نبينا عليه السلام قدرت المقادير
ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى حتى يلقاني ومن سخط فله السخط حتى يلقاني وفي
الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل
لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة
ان نبيا من الانبيا شكى الى الله الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى
اليه كم تشكوا هكذا كان بدوك في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني
وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا فتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل
ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج
في صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان ادم عليه السلام كان بعض اولاده
الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه

ثم نزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده الكبار اما
ترى ما تصنع هذا بك فلو نهيته عن هذا فقال يا بنى انى رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا فانى تحركت حركة
واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء واخاف ان اتحرك حركة اخرى
فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشي فعلته
لم فعلته ولا لشي لم افعله الا فعلته ولا قال في شي كان ليته لم يكن ولا في شي لم يكن ليته كان وكان
اذا خاصمني مخاصم من اهله يقول دعوه لو قضي شي لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود يا داود
تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك
فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد واما الاثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون
الله على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي
الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله
تعالى لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل
ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضى عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان
الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشي كان ليته لم يكن اولشي
لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال
اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا
طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها
فكان يبيت قايما وتبيت نايمة ويظل صايما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما
هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي فيّ ان كنت في
شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان
اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز العباد عنها
وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السما قضا احب من اهل الارض ان يرضوا بقضايه وقال
ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت
من شدة او رخا وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله
ان تساله

ان تساله الرضى وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن محمد بن سليمن الضبعي فمتى يكون عن
الله راضيا فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده
المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله عز وجل
من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال اليس مراد العبد من المولى
ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من
اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من الرضى على قدر عيشهم مع الله تعالى وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الغم
والحزن في الشك والسخط **بيان حقيقة الرضى وتصوره فيما يخالف الهوى** اعلم ان من قال ليس
فيما يخالف الهوى وانواع البلا الا الصبر فاما الرضى فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا
ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم فلا يخفى ان الحب يورث الرضى بافعال الحبيب ويكون ذلك من
وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك
المها ومثالها الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها
حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قد تصيبه شوكة في
قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به وان كان
مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ الحجام والمزين وهو لا يشعر وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا
بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه
قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلا الحب على قلبه هذا اذا
اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل
واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب
ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة
بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة
الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شي منه فقد يبهره بحيث يدهش
ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها

فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه. وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع. واما الوجه الثاني وهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة المبصرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لاني عاشق قلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة

الى الله

الى الله عز وجل ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت. وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا. قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها. وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك. وقال سعيد بن احمد رايت بالبصرة في خان عطا بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيمة اطول والموت من الم الفراق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا. ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول اللهم متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول. ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به. وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذ اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف خفي لطف الله رضي بفعله على كل حال. ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من

كنت

الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء
اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال
له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة فاذهب الله عنه ما كان
به فصحبه عيسى عليه السلام ويعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها
ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت
ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان
فيه الصبر وان كان الغنى فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضى فما
لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف
اخر هل نلت غاية الرضى عنه تعالى اما الغاية فلا ولكن مقام من الرضى قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر
الخلائق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيته من قسمته
وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل
من لذته في استشعار حصول رضى محبوبه بالقاية اياه في النار واستيلا هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان
بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف احوال الاقويا ويظن ان ما هو عاجز عنه
يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلا الدمشقي قول فلان ان جسدي قرض بالمقاريض
وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح فاعرف وان كان من
طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى
على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه
مطرف واخوه العلا فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان
احب الاشيا الى الله احبه الي ثم قال اخبرك شيئا لعل الله ان ينفعك به واكتم حتى اموت ان الملائكة
تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم ان البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة
فمن شاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا
ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيء حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت
الضجعة ودبرت الحراقف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
وما يسرني

وما يسرني ان نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاء
الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن
السايب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها
فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله
عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل لو سالت الله تعالى
ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد قال اذنبت
ذنبا عظيما وانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما
هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان
اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده
فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا
قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة
مدخولة ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد
في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس
على الشبلي في مارستان وقد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم
يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي
ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران وقال بعض عباد اهل الشام
كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو
كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة
اهل الاخرة وهم يستحيون منه وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما
احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة
وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت
قطعا ان الرضى بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا
في حب الخلق وحظوظهم كان في حق الله وحظوظ الاخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضى

بالألم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضى بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظاراً للشفا والثاني
الرضى به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضى له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد
المحبوب فيكون الذ الاشيا عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل
وما لجرح اذا ارضاكم الم   وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك
الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما
فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم فرط الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه
وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافعي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية
مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت   علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى   فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت
فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت
وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي فقال
الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال
ان كنت صادقا فمت فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب في جيراننا رجل وله
جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ
قالت الجارية اه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت
اصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هذا موضع قولك اه وحكي عن محمد بن عبد الواحد البغدادي
قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول   من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت   ثم رمى نفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوق
فالتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية
اوفى من كل جمال بل كل جمال العالم من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي
فقد السمع ينكر لذة الالحان الموزونة والذي فقد القلب لا بد ان ينكر هذه اللذات التي لا مظنة لها
سوى القلب

بيان ان الدعا غير مناقض للرضى

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضى وكذلك
كراهة المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لا يناقضه

لا يناقضه ايضا   وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من
قضا الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع   فاما الدعا فقد
تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نقلناه في كتاب الدعوات يدل عليه وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا عليهم السلام في اعلى المقامات من الرضى وقد اثنى الله تعالى
على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضى بها فقد تعبد
الله به عباده وذمهم على الرضى به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى رضوا بان
يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله
وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل
وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي
بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي
الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنين
رجل اتاه الله تعالى حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله تعالى مالا فسلطه على
هلكته في الحق وفي لفظ اخر ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به انا الليل والنهار فيقول الله
الرجل لو اتاني الله مثل ما اوتي لفعلت مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم
ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القران والاخبار ما لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المومنون الكافرين
اوليا من دون المومنين وقال تعالى يا ايها الذين لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا وقال تعالى
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مومن ان يبغض كل منافق
وعلى كل منافق ان يبغض كل مومن وقال عليه السلام المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم
حشر معهم يوم القيمة وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد
هذا قد ذكرناه في بيان الحب والبغض من كتاب اداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده
فان قلت فقد وردت الاخبار والايات بالرضا بقضا الله فان كانت المعاصي بغير قضا
الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضا الله تعالى فكراهتها ومقتها
كراهة لقضا الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين

الرضى والكراهة فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس
على قوم حتى راوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضى وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول
الرضى والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد
في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك
وساع في اهلاكه فيكره موته من حيث انه مات عدو عدوك ويرضاه من حيث انه عدوك وكذلك المعصية
لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعل الله وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك
الى مالك الملك ورضى بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله وبغيضا عنده حيث سلط الله عليه اسباب البعد فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا
ينكشف لك هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا قال بين يدي من يحبه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني
وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى انسان فاوذيه واضربه ضربا يحوجه
ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم ايضا انه عدوك
وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل
البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما
تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضه اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض
به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فهو عدوان من جهته اذ كان من
حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب
للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل
لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث
انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما تقتضيه جمالك اذ كان
يقتضي ان يحتمل الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف
له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به
لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا
وعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن
نفسك

نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته
لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث
انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما
اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد
لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية
عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربنا
به المثل ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره
يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى
ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته
فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من يبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من ابعده عن حضرته
وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان
بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا
بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب عليه بابعاده وبهذا
تتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ
عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضى بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله تعالى وهذا كله يستمد
من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الخير والشر كلاهما داخلان في المشيئة والارادة
ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما
جميعا من الله من غير افتراق بالرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى
السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق
بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضى بقضاء الله تعالى
ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا
يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضى
بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج بالدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب

ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز
وشرب الماء ليس مناقضا لقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لإزالة العطش ومباشرة سبب
مسبب الأسباب فكذلك الدعا سبب رتبه الله وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا
على سنة الله لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا
مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلا في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله مناقض
للرضا وإظهار البلا على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف
من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما في
الشتا فهو شكر والشكوى مناقض للرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها مناقض للرضا بقضاء الله تعالى
لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلا ومحنة والعيال هم
وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير إلى المدبر والمملكة
لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي

بيان

أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا اعلم أن الضعيف قد يظن
أن نهي رسول الله عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت
فيه المعاصي لأن كل واحد منهما فرار من قضا الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد
بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحا وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم
فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالفرار من الزحف
فلو كان ذلك للفرار من القضا لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل
وإذا عرف المعنى فيه ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضا بل من
القضا الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي
تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى
اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب
فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد يزدرى فيه نعمة الله تعالى ويستصغر فيه معصية
الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت فيها إلا شرطيا غضبان أو

تاجرا أو قاريا ولا ينبغي أن يظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به
وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وكان مقامه ببغداد ريث استعداد القافلة
ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينارا كفارة لمقامه وقد ذم العراق
جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار وقال ابن عمر لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع
به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض الله تعالى له قرينا من البلا وذكر كعب الأحبار يوما
العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الدا العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزا فتسعة
أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بعشرة أجزا على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب
الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه
ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال يأتينا أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين
يسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في
الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول
لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل فأين تسكن قال بالثغور وقال
بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على أن من بلي ببلدة
تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله
مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أهلها وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلا ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فإذن ليس شيء من أسباب نقصان الدين البتة رضي
مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى فأما هي في أنفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد
اختلف العلما في الأفضل من أهل المقامات الثلاثة رجل يحب الموت شوقا إلى لقا الله تعالى ورجل يحب
البقا لخدمة المولى ورجل قال لا أختار شيئا بل أرضى بما اختار الله لي ورفعت هذه المسألة إلى
بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد
وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت

يوسف

الى اموت فقال يوسف لما قال لما الخوف من الفتنة فقال لكني اكره طول البقا فقال سفين لما قال
اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقال لوهيب ايش تقول انت قال انا لا اختار شيا أحبُّ ذلك
إليَّ أحبُّه إلى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانيه ورب الكعبة مسائل جملة من دكايات
المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب
والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا
رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل كيف وانت شخص واحد فقال لاني رايت اربعين بدلا واخذت من
كل بدل خُلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى
الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب منه وحكي عن الخضر انه قال ما حدثت نفسي يوما قط
انه لم يبق ولي لله الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وسئل ابي يزيد البسطامي
يوما حدثنا عن مشاهدتك من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا عن
رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة
ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ الرازي انه راى ابا يزيد في بعض
مشاهداته من بعد صلوة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع
عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر
فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوا فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من
ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى
عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فراني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال
مذ متى انت هاهنا قلت منذ حين فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت الاسفل واراني الارضين وما تحتها الى الثرى
ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني
بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنه
فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشيا قال يحيى

فهالني

فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك
وجبار السموات سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه
سواه وحكي ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين وكان يدنيه ويقوم بمصالحه
والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني عنه
مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد
رايت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله
لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله
وانكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد
عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على
تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة
على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا
على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتلته قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه
سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مكان ضعفا المريدين فقتله
ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت
الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض
ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى
اشيا لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يمتنع عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل
عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى
لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم
فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلا
مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رايتهن
يتسعين في الهوا عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن

نظره فتوحشت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقلن انظر الينا
فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع
حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يكن كل واحد مؤمنا
الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه الاحوال يظهر بعد
مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن
جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل
سلوكهم واقل مقاماتهم وهو اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات
الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق
يجري مجرى انكار من انكر انكشاف الصورة في الحديد اذا تشكلت ونقيت وصقلت بصورة المرآة
فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من
الصور فانكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال
وهذا حكم من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره وقصور من رآه وبئس المستند ذلك
في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل
لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري
وروي انه رأى الخضر عليه السلام فقال ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني
قال وسترها عليك فقيل معناه وسترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها
وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان
اهم الاشياء علي قال فرايته فما غلب همي ولا همني الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته
حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم
اسبل علي سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك
قال ثم غاب ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار
بحيث يستذل ويمتهن حتى ان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق لحمل الاشياء لهم
لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به فكانت راحته ووجود قلبه واستقامة حاله

مطلب

في ذلة

في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت
المرقعات والطيالسة وفي المشهورين من الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله على اوليائه تابى
الا اخفاءهم كما قال اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذي طمرين
لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة
بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل انفسها استشعارا
اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم
يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل
بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة لذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق
مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان
بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى
ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت
الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون
لولاية الله في طلبها وشروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي ان ابن الكريني
وهو استاذ الجنيد دعاه رجل ثلث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك
حتى ادخله في المرة الرابعة قال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد
فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيجيء ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك وعنه ايضا
انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعمدت على ثياب فاخرة
فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا حتى رأوا اذيال الثياب
من تحت مرقعتي فلحقوني فنزعوا مرقعتي فاخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد
ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى
الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب
له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حائل فانما بعد القلوب شغلها بغيره
او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس بها ولذلك ان شاهد اعظم القدر من اعيان اهل بسطام

كلاً في حقه صح

منقبة استاد جنيد

كان رجل يعارق ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلاثين سنه اصوم الدهر ولا افطر واقوم الليل كله ولا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثماية سنه وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذره قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل حتى اعلمه قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعلم قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباة وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعه اعطيته جوزه وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله يقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدي بهذا قبل كل شي فقال لا اطيقه قال قد قلت انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دوا من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض دوا سوى هذا وامثاله من لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى نفسه بعد المرض بهذا الدوا او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر ايضا وهذه امور جلية من الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع فقد قال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشي عنده احب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال عليه السلام ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لايم ولا يرائي بشي من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانيه فهذه شروط ذكرها عليه السلام لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عليه عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري

ولا يوثر

مطلب في شواهد من الخصال

مطلب في استكمال الايمان

الاوتي

ولا يوثر عليه شيا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وقعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما ورا الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك ورا الحب والحب ورا كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق ان الله قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثماية خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخا وقال عليه السلام رايت ميزانا دلي من السما فوضعت في كفه ووضعت امتي في كفه فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفه وجي بامتي فوضعت في كفه فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله بالله بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه **خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة ينتفع بها** قال بعض المحبة اتباع الرسول وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال غيره كراهة البقا في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه ويمنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة يكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان يذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي

يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيى ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيى بالمنى واموت شوقا فكم احيى عليك وكم اموت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدويه يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت الى سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم

انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر
في عظمتك وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى الاشياء طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء
وقيل لرابعة كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن
حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضى عن الله
والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة وانما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي
الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى منك شيء راجع منك اليك وقيل
المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحراق
جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد
الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم وافضلها التعظيم
والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان
المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسده في الدنيا ويروحه في الاخرة وقال عبد
الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت
من الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى
ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك
معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني
فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون
بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون العبد قدرا اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي
نبي من الانبيا عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبيا نعمل عليه
انتم تعملون على الخوف والرجا ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى
الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين
واوحى الله تعالى الى ادم يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله

ومن

ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا
اراه وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد فقال وعزتك
وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر
ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة
فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المؤمنين روحانية
ولذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض العارفين
رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول الشوق
والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها
ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة
والانس والشوق والرضى فلنقتصر عليه وبالله التوفيق

تم كتاب المحبة بعون الله تعالى وحسن توفيقه ويليه

كتاب النية والاخلاص وهو

كتاب النية والاخلاص وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله تعالى حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان
الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق
السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه
اغنى الاغنيا عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى
اله واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان
وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة والناس كلهم هلكى الا العالمون

والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير
نية عناء والنية بغير اخلاص ريا وهو للنفاق كفا، ومع العصيان سوا والاخلاص من غير صدق وتحقيق
هبا وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هبا منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية
اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى
على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة
الصدق والاخلاص اللذان هما وسيلة العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق
والاخلاص في ثلاثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب الثاني في
الاخلاص وحقائقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال
المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية وقال النبي عليه
السلام انما الاعمال بالنيات ولكل ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال عليه السلام اكثر
شهدا امتي اصحاب ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال عليه السلام ان العبد
ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا
هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا فيقولون ربنا انه لم يعمل
بشي من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه انه نواه وقال عليه السلام الناس اربعة رجل اتاه
الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما
في الاجر سوا ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني
الله مثل ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سوا الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه

امرئ

الفرش

وكذلك

لذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله في غزوة تبوك فقال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا
واديا ولا وطينا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك
وهم بالمدينة قالوا وكيف ذاك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية
وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيا فهو له فهاجر رجل منا ليتزوج امراة فكان يسمى مهاجر
ام قيس ولذلك جا في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعا قتيل الحمار لانه قاتل رجلا
لياخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي عليه
السلام من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا
حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فقال له من دنياه واخرته الا ما
جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو
كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد
قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد
في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله من كانت نيته الدنيا
جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي عليه السلام ذكر
جيشا يخسف بهم بالبيدا فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم
وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات
وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا
فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد
على ما مات عليه وفي حديث الاحنف بن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في
النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي
هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي
قضاه فهو سارق وقال عليه السلام من تطيب لله جا يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن
تطيب لغير الله جا يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة واما الاثار فقد قال عمر بن الخطاب افضل

بن عمرو

الاعمال اذا اما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله وكتب سالم بن عبد
الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال
داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك
الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب
النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني
على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله
فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام
بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى
من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام
طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة
على قدر نياتهم وكان الفضيل اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله
كثير وما اريد به غيري فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه
الله تعالى حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر
في نيته فاذا نوى فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات
فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة
وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه
وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة علم وارادة وقدرة
ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان
بحيث توافقه بعض الامور وتلائم غرضه وتخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق له
لنفسه

ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب
هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه
الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة
وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه
ورغبة فيه وشهوة له باعثة اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة
والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه
اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه
لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم بها التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة
تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه
كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث اخر
صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء
فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة والنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة
وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض
المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض
القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد
يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كانا باعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد كان مليا
بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر
لكن الاخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد
مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع
فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا
فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه وانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال قام
نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا
بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خالص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو

ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان
على حمل ما هو بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يساله قريبه الفقير
حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا القرابة لكان
يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضا حاجته وفقير اجنبي فيرغب
ايضا في قضا حاجته وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفه فصام وهو يعلم
لولا يوم عرفه لكان يترك الطعام حميه ولولا الحميه لكان يتركه لاجل انه يوم عرفه وقد اجتمعا
جميعا فاقدم على الفعل فالباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث
ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون
ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده القريب الغني فيطلب درهما فلا
يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون
انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابه والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس
لغرض الثواب ولغرض الثنا ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على
العطا ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الريا على العطا ولما
اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين
مستقلا لو انفرد والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله
في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف
لم يستقل فان ذلك بالجمله يسهل العمل ويوثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان
ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل
اخف عليهم بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان
عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الباعث حمله عليه فهو شوب تطرق الى النيه ولنسم هذا الجنس المعاونه
فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض
الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل الاعمال
بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع بيان سر قول النبي عليه السلام

نية المومن

نية المومن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب الترجيح ان النيه سر لا يطلع عليه الا الله تعالى
والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح لكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر
في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نيه التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح
ان النيه تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير
من القليل بل ليس كذلك فان نيه اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدوده والاعمال تدوم
والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان النيه بمجردها خير من العمل بمجرده دون
النيه وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نيه او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنيه
بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعني به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل
كانت النيه من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النيه من جملة الطاعة خير من
عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النيه وفي العمل فهما عملان والنيه
من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم
مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الاثار بالبعض حتى
يظهر بعد ذلك ما الارجح بالاضافه الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه
خير بالاضافه الى مقصود القوت والاغتذا ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذا مقصدا وهو الصحة
والبقا وان الاغذيه مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذا
القلوب والمقصود شفاوها وبقاوها وسلامتها في الاخره وسعادتها وتنعمها بلقا الله تعالى
فالمقصد لذه السعاده بلقا الله فقط ولن يتنعم بلقا الله تعالى الا من مات محبا لله تعالى عارفا
بالله تعالى ولن يحبه الا من عرفه ولا يانس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر
والمعرفه بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفه بالضروره ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر
الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مايلا
الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته
في الاخره منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه ان سلامته فيها فاذا حصل اصل
الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة فان المواظبه على مقتضى صفات

القلب وارادته بالعمل يجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ تلك الصفة وتقوى بسببه
فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل اشتغل
بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى
ميله انكسر وربما زال او انمحى كالذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو اتبعه
وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمجاورة تأكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر
على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء او خالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة
الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع او ينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات
والطاعات كلها يراد بها الاخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الاخرة وميل النفس
الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك
الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى
انه يتأثر كل واحد منهما بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا
تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير
اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا
والاتباع فالجوارح خادمة للقلب تأكد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات
موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي عليه السلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر
الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب من هذا الوجه لا محالة
يجب ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها
افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود
القلب ارادة الخير ويؤكد عنه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر
فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة
اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل الى
المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى

المعدة

المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم مآثر الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير
القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه
جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه
تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على
يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح رأس
يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك
من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه
يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب
يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء
او تعظيما لشخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها
حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا
من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم
القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا هي غاية الحسنات
وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب
عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد وجدت عند جزم النية والهم
وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا
اعني القلب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا
كما تقدم ذكره لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة
واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب
الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث
التي اوردناها في فضل النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة **بيان
تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية** اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول
وحركة وسكون وجلب نفع ودفع ضر وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه

هي ثلثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات **القسم الاول المعاصي** وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية
فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب
طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او
رباطا او مسجدا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا
ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر اخر فان عرفه فهو معاند للشرع
وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما تعرف كونها خيرات بالشرع
فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب
اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ الدنيا توسل الشيطان به الى
التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد
من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه
انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل
بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة
التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير
بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد
قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي عليه السلام لا يعذر الجاهل على
الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت عن جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب من تقرب السلاطين
ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين
بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع
حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق
الله تعالى وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى
ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك
العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه الة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال
جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي

من اقواله

من افعاله واقواله وفي مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى اثاره منتشرة في
العالم الف سنة او الفي سنة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال
بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به
الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان
بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا لقاطع طريق واعد له خيلا
واسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله الجميلة وقصدت
ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو
صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى
الله تعالى حتى قال عليه السلام ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحدة منها دخل الجنة واحبها
اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم
فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره
والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله تعالى وقد يعاون به اعداء الله تعالى وهو الهوى فمن
لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على اخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع
علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو راوا
منه فجورا او استحلال الحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا اكرامه وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه
لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع
السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد
بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله
عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من الشارع وقد اخذت قدر سمك
الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال
طلاب العلم وهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة
والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل
على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل العلوم التي تتعلق بالخلق

ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله عليه السلام الاعمال
بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية
بالقصد والمباح ينقلب معصية بالقصد وطاعة بالقصد واما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد
اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها
كما ذكرنا في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف
فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما
تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون
له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله
القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ
به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة
مولاه رجاء لما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله
تعالى وحق على المزور اكرام الزائر وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في
جملة المرابطين كما قال عليه السلام وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم
الرباط فذلكم الرباط وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضا
عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله
تعالى ولزوم السر للفكر في الاخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها
التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد يذكر
الله او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة علم بامر
بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف
ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف له خيراته ٥
وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الاخرة والمسجد عش
اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى ويحتسب

ان يتعاطى

ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقال الحسن بن علي من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله
تعالى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى
او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات
والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير
وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات القسم الثالث المباحات
وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي
الدرجات فما اعظم خسران من يتغافل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة
ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسال عنه يوم القيامة انه
لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل قال ان العبد ليسال يوم القيامة
عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر
اخر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم
القيامة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت
فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم
ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد
به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم
ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر الى
لامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فلذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة الا
القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسال عنه ومن نوقش
في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن ينقص من نعيم
الاخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات
الحسنة فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوي
بذلك ايضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائر الله الا طيب الرائحة

وان يقصد به ترويح جيرانه لئلا يتأذوا في المسجد عند مجاورته بروايحه وان يقصد به دفع الروايح الكريهة
عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروايح
الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية
كما قيل مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم . وقال تعالى ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر
وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال
الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله وهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان
تجارة الاخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم تغلب الا نعيم الدنيا على قلبه لم يحضره هذه
النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النيات في شي
والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب
ان يكون لي في كل شي نية في اكلي وشربي ونومي ودخولي الخلا وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب
الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين
فمن كان قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل
به الى ولد يعبد الله بعده فيكثر به كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع
وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له
مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته
وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل
اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة
فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي
الخبر ان العبد ليوافي يوم القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا
وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت
حسناته وبقي الطالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار
وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد

يوم السوال

يوم السوال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته
فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه
مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله ولا
اريد ان اسويه لغيره وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله
فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت من حائطي لبنة واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله
من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الان
ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتامل اولا انك
لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الاخرة وبماذا ترجح
الدنيا على الاخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك
ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي
ان يكون الداعي هوى خفيا لا يطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخير وافطن للاغوار
والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط
بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسبه فدخل عليه قوم فلم يدعهم
الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة
في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم
ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل
نقص في فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال
بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل وما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت
ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعام وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فله
وزران فان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه اخاه
لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا
بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث القلب وتوجهه وميله الى ما ظهر له ان فيه غرضه اما عاجلا او اجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه وكقول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة الى الغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة النكاح اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم امر يعظم فضله لا يمكنه ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد عليه السلام ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤونة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا وان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا النية حتى ان ابن سيرين لم يحضر على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية

ونادى

ونادى بعضهم امراته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله ومات حماد بن ابي سليمن وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان احدهم اذا سئل عن عمل من اعمال البر فقال ان رزقني الله نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدي فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت النية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت فقال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرف فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال لم اجد نية وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يعملون عملا الا بالنية لعلمهم ان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هي انبعاث للقلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى وقد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه بالجملة مائل الى اصل الخيرات فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهي الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة

الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في
الاخرة وان كان من جنس المالوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما
الجنة فالعامل لاجل الجنة وقد جعله كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر
اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله
وساير الاعمال مؤكدات وروادف وهذا ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة
فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس
بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين
كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل
اشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين
جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء
الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله تعالى الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها
وإلفه لها واعراضه عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله
يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانه لا يشعر به اصلا ولا يلتفت اليه ولو كان له عقل وذكر
له لاستخف عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وكل حزب بما لديهم فرحون حكي
ان احمد بن خضرويه راى ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني
وراى ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال وراي
الشبلي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان
الا على قول واحد قلت يوما اي خسار اعظم من خسران الجنة فقال اي خسار اعظم من خسران
لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له
العدول الى غيرها ومعرفة هذه يورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء
فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه
وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار
في الظلم وربما تحضره نية الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية
في الاكل

في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال
للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعف
رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة قال
ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا
القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق
بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي ان يعيد اولا
قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل
بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين
يدي قرنه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيغلبه فكذلك سلوك طريق الله
تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطايف من الحيل
يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض
على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف
له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

بيان فضيلة الاخلاص قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين
تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت الاية فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبي
عليه السلام ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن
اي ان له فضلا على من دونه من اصحاب النبي عليه السلام فقال عليه السلام انما نصر الله تعالى هذه
الامة بضعفايها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال علي بن ابي
طالب لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي عليه السلام قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه
القليل وقال النبي عليه السلام ما من عبد يخلص لله تعالى العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة

من عليه على لسانه وقال عليه السلام أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله تعالى العلم فيقول الله تعالى
ما ذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله عز وجل كذبت وتقول
الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله تعالى مالا فيقول الله تعالى
لقد أنعمت عليك فما ذا صنعت فيقول يا رب كنت أتصدق به آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت
وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول
الله تعالى ما ذا صنعت فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت
وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول
الله على فخذي وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي هذا الحديث
على معاوية وروى ذلك فبكى حتى كادت تزهق نفسه ثم قال صدق الله إذ قال من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم الآية وفي الإسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا
فجاءه قوم فقالوا إن ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه
وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس عليه اللعنة في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله فقال
أريد أن أقطع هذه الشجرة فقال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير
ذلك فقال إن هذا من عبادتي قال فإني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى
الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له إبليس يا هذا إن
الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى
أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء الله تعالى لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها
فنابذه القتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له هل لك في أمر
فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقني حتى أقوله لك فأطلقه فقال إبليس
أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك
وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل
عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعلى عيالك وتصدقت
على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم
قطعها

قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني
قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على
الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك
الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في
صورة شيخ فقال له إلى أين قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر عليها ولا سبيل لك
إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه إبليس وصرعه فإذا هو كالعصفور
بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فإذا
لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت
أول مرة لله تعالى فكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا
فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قول الله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين إذ لا يتخلص العبد عن
الشيطان إلا بالإخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تتخلصي
وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال أبو سليمان طوبى لمن صحت
له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري من خلصت نيته
كفاه الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك
القليل من العمل وقال أيوب السختياني تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال وكان
مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط خلط عليه ورؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك
فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في
كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته
مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي إنه قد
وجه حيث بعثت به فإنه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك ولو قلت في سبيل
الله لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم
إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا قال ما أحسن حاله إذا لم يكن عليه فقد
أحسن إليه وقال يحيى بن معاذ الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم

وقد كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او ماتم فاتفق انه حضر يوما موضعا يجتمع فيه النسا فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت نايما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشي فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح على الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سالني ان احج معه فقلت لا فقلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله ان اتعرض لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تعالى شيا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة وروي عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في المنام كان شخصين نزلا من السما فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرايا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه فقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا بعلو او سبعمايه وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماوه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت

قد سعدت

قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتوا ردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله عز وجل عن جميع الشوايب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الريا فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الريا من ربع المهلكات واقل اموره ما ورد في الخبر ان المراي يدعى في القيمه باربعة اسما يا مراي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الريا او غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مونته وسو خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلما والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف او يتبرد او اغتسل ليطيب رايحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف

عليه اكرام المساكين او صام ليتخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل
عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة
ليشيع جنائز اهله او يفعل شيا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار
فمهما كان باعثه التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه
بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لله تعالى وتطرق
الشرك اليه فقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا مما تستريح اليه
النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان
مرتبك في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ
واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لله تعالى نجا
وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب
القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه
فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضاف اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب
اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية وبالجملة
اما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما
سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب
فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة
بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته
في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على العبادة
ويتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على
الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون همه الا الله تعالى فمثل هذا
الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته
وسكناته ولو نام مثلا ليريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له
درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور

وكان

وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا
فالذي تغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله تعالى فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة
فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا اصل الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع
عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب
الانسان فيها ويظن انها خالصة لله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيها
كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت
يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر
الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض
قلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم
كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم الآية واشد الخلق
تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع
والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله تعالى والنضال
عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة
الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح
بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس اليه واقبلوا
عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره
ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس
الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري
المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده
وليت شعري لو اغتم عمر بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين
ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في
الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من

هو اولى منه بالامر فما بال العلما لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه لفرح به واخباره بذلك قبل التجربه والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر فاذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشيطان وهو لا يشعر والعياذ بالله تعالى

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية الفعل عن العجب بالفعل فان الالتفات والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفي عن جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصه وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النيه مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس افه عاجلا واجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرغبة الجنه وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجله والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ فالبراءة عن الحظوظ صفه الالهيه ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة عن الحظوظ وقال هذا صفه الالهيه وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفه في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفه والمناجاه والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هولاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة طاعة الله تعالى والمناجاه وملازمه الشهود للحضرة الالهيه سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم

لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمن الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذه اشاره الى افه الريا فقط ولذلك قول بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشاره الى مجرد الاخفا وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق عن معامله الرب فهذه اشارة الى مجرد نفي الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسه فقد خرج عن اخلاص العبوديه وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الريا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشه للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفيه الاعمال عن الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبه ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيره ولا فايده في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقه وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين عليه السلام اذ سيل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوايب والافات المكدره للاخلاص

اعلم ان الافات المشوشه للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلا وبعضها قوي مع الخفا ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الافه على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدين من المريدين

الدرجة الثانيه ان يكون المريد قد فهم هذه الافه واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العباده

وهذا اغمض من الاول وقد ينغمس به من لا ينغمس بالقول الاول وهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص ايضا
فانه اذا كان يرى الخشوع وحسن العباده خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي ذلك لنفسه في الخلوه ولا
يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه
واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى
به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه متصفا به الدرجة
الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته
بين الخلوه والمشاهدة للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص في ان يكون صلاته في الخلوة مثل صلاته
في الملا، ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زايدا على عادته فيقبل على
نفسه في الخلوه ويحسن صلاته على الوجه الذي يرضاها في الملا، ويصلي ايضا في الملا، كذلك فهذا
ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة ليحسن صلاته في الملا، فلا يكون قد فرق بينهما فالتفات
في الخلوة والملا، الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهايم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيره
واحده وكانت نفس هذا ليست تسمح باساة الصلوه بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون
في صوره المرائي ويظن بان ذلك يزول بان يسوى صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك
بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات والملا والخلا جميعا وهذا شخص مشغول الهم
بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي
ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم
فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف
بين يديه واستحيي من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر بذلك قلبه ويخشع
جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى
جلاله لكانت هذه الخطره ملازمه في الخلوه وكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة
الامن من هذه الافه ان يكون هذا الخاطر ما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا، ولا يكون حضور
الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمه سببا فما دام يفرق في احواله بين
مشاهدة الانسان ومشاهدة بهيمه فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي
من الريا،

الدرجة الرابع وهي ادق

وليس يعدى هذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا في الليله الظلما على الصخرة الصما،
ولا ينجو منه الخلق ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته
والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله ولا يغفل عنهم ساعة بل يحملهم على الريا في كل حركة من الحركات
حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصه
وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول
هذه سنه لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لاجل تلك الشهوات الخفيه او مشوبه بها
شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الافات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في
مسجد معمور لطيف حسن العمارة تانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف
وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صوره المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله
الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوايب الطباع وكدورات
النفس ويبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوته فمنها
ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير ودغل
الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من سنه من جاهل
واريد به العالم البصير بدقايق افات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العباده واغتراره
بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زايف في نفسه وقيراط
من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي وهكذا يتفاوت امر العباده
بل اشد واعظم ومداخل الافات المتطرقه الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاوها فلنقنع
بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فايده في
التطويل بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا
لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف فيه ان ذلك هل
يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به
الا الريا فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب
للثواب وانما النظر في المشوب فظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن

كذا السبيل الى الصلاة من يصحف مذهب ... ينصب وخطها سواد وكلام ... القرآن والذكر بين النظام ... وغيرها بعدان ... التراوة

تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ننظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث
الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب
واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب
العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث
الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة ولا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل
ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط
بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد
القلب في صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية
الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان
فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وان كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد
قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر
فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر
قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع
مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا
يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله
او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه واذا
كان الفعل مما يقربه شبرين والاخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال عليه السلام اتبع
السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا
بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد
امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه وهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة
ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس
السفر

من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصورا الدينوري في
المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم أؤمله فقلت احسن ما توجه العبد
به الى الله ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق
سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين
وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق
على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله
تعالى الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس
الشبلي ورمى بنفسه في الدجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى وان كان كاذبا فالله
يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة
ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله في الاعمال وطيب المطعم وقال
وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها
ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين
من العلم ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل
افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق
ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من
الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنأ من العفة ولا عبادة
احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من
الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اعطاك الله مرآة بيدك حتى تبصر
كل شيء من عجائب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ فيما بينك وبين الله تعالى الصدق
والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال
قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل ؛ فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل
وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال

الشيء والحيا وطيب الغذا وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكمال فقال قول الحق
والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عن
انفسهم عند ربهم وهذا امر على خطر **بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه** اعلم ان
لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم
وصدق في الوفا بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق
في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق
في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه **الصدق الاول** صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل
الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه ولا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع
الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا
الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك
لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما
تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري
مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر
الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين
فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل
للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل
الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره
وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصد وليس هذا من الكذب في شي قال النبي عليه السلام ليس بكاذب
من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلث من اصلح
بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية
فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجرد للخير ارادته كان
صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه
بعض

بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع على الدائرة وقولي ليس
ههنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في
الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة
والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر
السموات فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواته فهو كاذب
وقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى
الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان
كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكلما تقيد العبد به فهو عبد
له كما قال عيسى بن مريم عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد
الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشي عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق
اولا عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله
تعالى فيسعده بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد
يجاوز هذا الى مقام اشرف منه يسمى الحرية وهو ان يعتق عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد
الله تعالى له من تقريب او تبعيد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عتق عن غير الله مرة فصار
حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه
تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي
الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده
لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها
تتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى
الصدق في القول **الصدق الثاني** في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا
يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق
النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص في حديث الثلثة حين يسال العالم
ماذا عملت فيما علمت قال فعلت كذا وكذا قال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم

حاله لم يكذبه ولم يقل لم تعل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصد
وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن
كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول
يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله وكذب في دلالته بقرينة الحال
على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية
وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد ان يكون مخلصا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان
قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله تعالى مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت
عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم اعص الله
تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون
في عزمه نوع ميل وتردد يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال
لفلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوية كانت
او ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى الصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات
كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات
وكما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه
فانه قد وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بان لا يتامر مع وجود ابي بكر واكد ذلك
بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى
بالقتل ولكن اذا خلا ورايه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين
من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابي بكر الصديق **الصدق الرابع**
في الوفاء بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا
يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان
عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله فشق ذلك على قلبه فقال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله ليرين الله
ما اصنع

ما اصنع فشهد احدا من العام المقبل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة
اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة
فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا بثيابه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف
رسول الله على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة ابن عبيد سمعت
عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله
حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال
الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب
وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غائر فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا واخر
سيئا لقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على
ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله لنصدقن فرزقهم فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن
اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا
به فقال ومنهم من عاهد الله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في
قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف
فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم
ثم تكع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر فقال
لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل
شيئا لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم
وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد
فقالا صدقت وعرجا الى السماء **الصدق الخامس** في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا يدل باعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا
خلاف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة
الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما

بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهواته وهذه اعمال تعرب بلسان الحال
عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون
والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
اياهم ولا ينجو عن هذا الا باستوا السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن
خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون
كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي ريا ويفوت
به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته
فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من
سريرته فذلك الجور وانشد اذا السر والاعلان في المومن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه
المردود لا يقتضي المنا وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله
تعالى الملايكة يقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكا بالليل بسام بالنهار
وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شي كان من اترك الناس
له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت
الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري
الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق

الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف
والرجا والتعظيم والزهد والرضى والحب والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها
مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها فاذا غلب
الشي وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الحب الصادق
وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من
امن

مطلب مؤمنك اچوسی ظاهری باطنی برابر اوله

مطلب تفسير صدق

امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وسيل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل
له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب
للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق
وغير بالغ الى درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد
فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده
وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار
كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان معصية
ولذلك قال عليه السلام لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه
الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله
اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له
ولذلك قال النبي عليه السلام لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق
ذلك قال بلى ارني قال فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي عليه السلام فاذا هو به
قد سد الافق يعني جوانب السما فوقع النبي مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل عليه السلام لصورته
الاولى فقال عليه السلام ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش
لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى
يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى
ذلك الحد وساير الملايكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالي
من خشية الله يعني الكسا الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خايفين وما بلغوا خوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس
كلهم حمقى في ذات الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان
بعض الحمق اهون من بعض وقال النبي عليه السلام لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير فالصادق اذن في جميع هذه

مطلب

مطلب في صفة اسرافيل عليه السلام

الكساء ... بلاس

المقامات عزيز من درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض
فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلثه انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف
ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قايله
ولا ما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي عليه السلام يقول قولا الا علمت انه حق قال
ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الامور وكم
من جلة الصحابة قوم قد اداموا الصلوة وتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات
الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لاحاد
هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق
المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصادقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد
الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق
وهذا ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار
على الله غير الله كما لم يختر عليك غيرك بقوله تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى
الى موسى اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته
صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال فاذن من
علامات الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم

تم كتاب النية والاخلاص ويليه
كتاب المحاسبة والمراقبة ان شا الله تعالى

كتاب المحاسبة والمراقبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القايم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل
جارحة بما اجترحت المطلع على ضماير القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت
الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير
والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت

حشرت

المتطول بالعفو عن معاصيهم وان عظمت وانما حاسبهم ليعلم كل نفس ما احضرت وينظر فيما قدمت
واخرت فيعلم انها لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وبعد
المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول طاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من
عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت فبنفحات فضله
اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن هدايته
انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت
وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسر من الطاعات ما تيسرت فمنه العطا
والجزا والابعاد والادنا والاسعاد والاشقا والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى اله السادة الاصفيا
وعلى اصحابه قادة الاتقيا وسلم كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال
تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم
الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقال تعالى يوم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سو تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال
تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان
الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات
وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في
الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف
في القيمة حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن منقلبه ومابه ومن لم يحاسب نفسه دامت
حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى المقت والخزي سياته فلما انكشف
لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها

الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة
ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان
حقيقتها وفضلها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة
ومراقبة وتتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات **المقام الاول**
من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة
سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو
التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال تعالى قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة
اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما
ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا
ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف
عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك
تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال
كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفا
بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبيا والشهدا
فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى
نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضا ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا
يدوم خير من خير لا يدوم لان الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى
الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دايما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم امن بالله
واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها
فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز
لا يتناهى نعيمه ابد الاباد وانقضا هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران
عظم

عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة
لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول
للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا
اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى فيه وانساء في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني
الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك توفيتي ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا
اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع
وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة
فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور
والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم
ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سودا مظلمة تفوح منها ويغشيه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص
عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها
او غفل او اشتغل بشي من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله القادر
على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا
تعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا
تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك
من درجات عليين ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن
وحسرته لا تطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسي قد عفي عنه اليس قد
فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستانف لها وصية في اعضايه السبع وهي العين والاذن
واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة
وبها يتم اعمال هذه التجارة وان جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين لتلك
الابواب من عصى الله تعالى بهذه الاعضا فيوصيها بحفظها عن معاصيها فاما العين فيحفظها

عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم او الى عورة مسلم او الى النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول
مستغنى عنه فان الله تعالى يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها الى
هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجايب صنع الله تعالى
بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ
والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر في كل عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه
منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة
الخلق والاطعمة واللعن والدعا على الاعدا والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان
وهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى
طريق الله واصلاح ذات البين وساير خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره
الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
واما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات
ويقتصر على قدر الضرورة وليشترط على نفسه ان خالفت شيا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن
ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضا واستقصا ذلك يطول ولا
تخفى معاصي الاعضا وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة
ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد
لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما
وطاوعته نفسه في الوفا بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة
الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد
ولله عليك في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشي من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس
اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه
الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الابق
المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب
يوثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة وهي المحاسبة

قبل العمل

من العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما
بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلام
قال لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان
غيا فانته عنه وقال بعض الحكما اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضا الشهوة حتى
تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة
امن الندامة وروى شداد بن اوس عن النبي عليه السلام انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله اي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله
انا لمدينون محاسبون وقال عمر بن الخطاب حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
وتهيوا للعرض الاكبر وكتب ابو موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخا قبل حساب الشدة وقال لكعب
كيف تجدها في كتاب الله تعالى قال ويل لديان الارض من ديان السما فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب
نفسه فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه
وهذا كله اشارة الى المحاسبة في المستقبل اذ قال دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور
كلها اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها **المرابطة الثانية المراقبة**
اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها
بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها اما الفضيلة
فقد سئل النبي عليه السلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال عليه السلام اعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى
الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قايمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله فساله عن تفسيره فقال
كن ابدا كانك ترى الله وقال عبد الله بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمن

المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال
ابن عطا افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان
تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال ابو عثمن المغربي قال لي ابو حفص
اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله
رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال
له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا
وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له
مثل ما قال لهم فرجع كل واحد منهم بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال ما لك
لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا
منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرمه وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت
فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة
الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحيي فقال ومن استحيي
وما يرانا الا الكواكب فقالت فاين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك
ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد رحمه الله انما يتحقق بالمراقبة
من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس
وفيها جواري خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن
الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي
اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل
المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب جل جلاله وقال المرتعش المراقبة مراعاة
السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر
وانا رقيب على الباطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا يغيب نظره اليك واجعل شكرك
لمن لا ينقطع نعمته عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه
وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده حيث كان

وسئل

مطلب في شيخ يكرم تلميذه وهو شاب فقيل له كيف تكرمه

مطلب المراقبة

مطلب في تفسير قوله رضي الله عنهم

وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب
ربه وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون رحمه الله بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة
ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب
له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقد قيل ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد
اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن
لا يخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي
ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله
بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال
له يا راعي بعنا شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله فبكى عمر
ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة فارجو ان تعتقك في
الآخرة **بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها** اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب
وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه
ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي
القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه
اليه اما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال
العباد وقائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق
مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت
بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت
على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم
المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين ومراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى
مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك

الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في
تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن الالتفات إلى المباحات فضلا عن
المحظورات فإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل لها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبت في حفظها على سنن
السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح
مستعملة جارية على سنن السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله
سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ويتبع ما
يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه
إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الأرض حتى إن خدم
الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجلس الملوك لشدة استغراقهم به بل قد يشتغل القلب بهم حقير من
مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي
نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا اشتغل بحاله عن الخلق فقال
ما أعرفه إلا رجلا سيدخل الساعة فما كان حتى دخل عليه عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد
من أين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رأيت
أحدا وروي عن يحيى بن زكريا أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا
فقال ما ظننتها إلا جدارا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم
فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى فقلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكان
فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال
أكثر خلقك شاغل عنك وهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه
وهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنه لا يتحرك إلا بما هو فيه ودخل الشبلي على أبي الحسين
النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه
المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك
لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري
فقال لي عيسى بن يونس المعروف بالزاهد إن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة

فلو نظرت

فلو نظرت إليهما نظرة لعلك أن تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على
كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية
وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت أنشدتكما بالله إلا رددتما علي السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر
إلي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك
حتى تتفرغ إلى لقائنا قال فأخذتني كأنه تنظر إلي وطأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر
والعصر فذهب جوعي وعطشي وتعبي فلما كان وقت العصر قلت له عظني فرفع رأسه إلي وقال يا ابن
خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان الموعظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا
رأيتهما أكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في نفسي أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما
فرفع الشاب رأسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته في قلبك
يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال
والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغيره الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين
اطلاع الله على ظواهرهم وعلى بواطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد
الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب
عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون من كل ما يفتضحون به في القيمة
فإنهم يرون الله سبحانه مطلعا عليهم في الدنيا فلا يحتاجون إلى انتظار القيمة وتعرف اختلاف الدرجتين في المشاهدات
فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن
جلوسك وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا
تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك
التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة
الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته و
لحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن
ما ظهر له وتحرك لفعله خاطره هل هو لله تعالى خاصة أو هو هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف
فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله

وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيها وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها فانها عدوة
نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامر الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه
فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف
والثالث لمن ومعنى لم لما فعلت هذا كان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه
بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه يسئل عن الديوان الثاني فيقال كيف فعلت فان لله تعالى في كل عمل شرطا وحكما
لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال كيف فعلت ابعلم محقق او بجهل وظن فان سلم من هذا نشر
الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا وفا بقولك لا اله الا الله فيكون
اجرك على الله او المرايات خلق مثلك فخذ اجرك منه فان عملت لتنال عاجل لذة دنياك فقد وفيناك نصيبك
من الدنيا او عملت بسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت
مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعو ن
من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
واعبدوه ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات و
التوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد
التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التأمل فقد قال النبي عليه السلام لمعاذ ان العبد ليسأل عن كحل عينيه
وعن فتة الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحكماء ان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر
وثبت فان كان لله امضاها وقال ايضا رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان له امضاه وان كان عليه تأخر
وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد ابن علي المؤمن وقاف متان
يقف عند هوليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة
الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكائد الشيطان ومتى لم يعرف ربه ونفسه وعدوه وهو الشيطان
ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم
في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا
تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر بالجهل هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت
ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكائد الشيطان ومواضع

الغرور

الغرور فيتقيها والجاهل لا يعرفها فكيف يحترز منها فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ
بالله من الجهل والغفلة فهما راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه با
لفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عند الهم وعند السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى
النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة تورث
الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر
من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة ولم ينكشف له فليتفكر
فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر فيه بنفسه فليستضئ
بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الاسد بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
يا داود لا تسئل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فا
لقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره بها والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضئ انوار العلم
حضرة الربوبية وكيف يستضاء بهم وقد استدبروها واقبلوا على ضدها وعشقوا ضدها وهي شهوات الدنيا
فلتكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم
الرغبة فيها فقد قال عليه السلام ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم
الشهوات جمع ما بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في
الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسعد
الادمي به حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان
الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات
وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين من جملة العلوم وتجرد والفقه الدنيا الذي ما قصد به
الا دفع الشواغل عن القلب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا فقه الدين بواسطة هذا الفقه ففي الخبر انتم اليوم
في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولاجل هذا توقف طائفة من الصحابة عن
القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد ابن ابي وقاص وعبد الله ابن عمر واسامة ابن زيد
ومحمد ابن سلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا للهوى معجبا برايه وكان ممن وصفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك

وكل من خاض في شبهة من غير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام
اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد بظن بغير دليل كما يستفتي بعض العوام فيما
اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعا الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق
حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى
وقال عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان لك رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه
وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وكان من دعاء النبي عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان اقول
في الدين بغير علم واعظم نعمة الله تعالى على عبده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة
عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم
وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا
بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف
عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد
اقرب من قريب والقريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يبعدك من حبيب سوء
ظن ونعم الخلق التكرم والحيا سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به
سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما خرج من يديك فلا تجزع على ما لا
يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وان المر لسرك
درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه
فما نالك من دنياك فلا تكن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه
نفسك عليه اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما
خلفت وشغلك لاخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا
من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق الوقوف
عند الحيرة فان النظر الاول للمراقبة
نظر في الهم والحركة اهي لله ام للهوى فقد

قال النبي عليه السلام

قال النبي عليه السلام ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا
عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر الاخرة على الدنيا واظهر ما ينكشف له في حركاته بان يكون
مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني للمراقب
عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون
فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا
مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس
متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم جلست مرة متربعا
فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان ينام فينام على يمينه مستقبل
القبلة مع ساير الاداب التي ذكرناها وكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضا الحاجة فمراعاته
لادابها وفا بالمراقبة فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة الله تعالى او معصية او مباح فمراقبته
في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعات الادب وحراستها عن الافات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة
والندم والاقلاع والحيا والاشتغال بالتكفير وان كان في مباح فمراقبته في مراعات الادب ثم بشهود
المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا
بد من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض الله عليه اما فعل يلزمه
مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث به عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله
او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود ولا بد من
مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في
جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي ان
يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح
تنال بمزايا الفضايل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف
ما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا

يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم
الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة فإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما
استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه
في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على
وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال ويكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر في قوله
عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وما روي
عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة
يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن في هذه الساعة
عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن
يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب
ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون
إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط الحيوانات به وكيفية
تقدير الله تعالى لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا
بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون
وجه الاضطرار إليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا
مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة
ذلك سببا لتذكيرهم أبواب من الفكر ينفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات
المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع
وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت
وذلك عزيز جدا وقسم ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون
بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله ويذمون الطبيخ
والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وأن من ذم
شيئا من خلق الله بغير إذن الله فقد ذم الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا تسبوا الدهر
فإن الله

فإن الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول
وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول **المرابطة الثالثة** محاسبة النفس بعد العمل
ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم
قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني
قال أمستوص أنت قال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته
عنه وفي الخبر ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه الحديث وقال الله تعالى
وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي
عليه السلام إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا
جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين
حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله
عنها أن أبا بكر قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت
عليه ما قال فقال لا ما أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها
بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما
ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك
وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على
نفسه يحاسبها لله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة
على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه فيقول والله
إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط
منه الشيء فيرجع إلى نفسه ويقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن
شاء الله عز وجل وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا
فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله

ان لم يعذبك الله . وقال الحسن في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يحاسب نفسه ما
اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن
دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب
الله فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه ان شا الله تعالى وقال ميمون بن مهران
ان التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح . وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في
الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار اكل من زقومها
واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد
الى الدنيا فاعمل صالحا فقلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول
امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره امرا اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرا نظر في
مكياله امرا نظر في ميزانه فما زال يقول امرا امرا حتى ابكاني وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت
اصحبه فكانت عامة صلاته بالليل الدعا وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار
ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا . بيان
حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل
التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في اخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها
وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركا في اخر كل سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا
من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا اياما قلايل
فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة
الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك . ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر
في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة والنقصان فان كان من فضل حاصل
استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال
العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار
ومعامله نفسه الامارة بالسو فليحاسبها على الفرائض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى
ورغبها في مثلها وان فوتها طالبها بالقضا وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان
ارتكبت

ارتكبت معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر
بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن
في شي منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب
عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن
نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن
سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس فقد ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له
فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه
وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها بالغرامة والضمان وبعضها برد
عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتبيين الباقي من الحق
الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع
العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضا الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان
بالرقة وكان محاسبا فحسب يوما واذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم
وخمسماية يوم فصرخ وقال يا ويلتاه القى المليك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف
ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي
ان يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية
حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان
عليه احصاه الله ونسوه . **المرابطة الرابعة** في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه
فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها
سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي
ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم
ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك كل طرف من اطراف بدنه بمنعه من شهواته فهكذا كانت
عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى
وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشت . وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد

في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فرجعت نفسه
وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان
تعصي الله تعالى تعود معي في الصومعة لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار
والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت وسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن
الجنيد قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت
في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتاخير وتسخين الماء او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت واعجباه انا
اعامل الله في طول عمري يجب له علي حق ولا اجد له المسارعة واجد الوقوف والتاخر اليت لا اغتسلت
الا في مرقعتي هذه والت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها بالشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى
كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك
للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول
حياته وكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان ابن ابي سنان مر بغرفة فقال
متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك
بن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت
نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني
شيا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت اوقت نوم هذه الساعة اوكان
هذا عليك ينام الرجل متى شا وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله
علي عهدا لا انقضه لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حايل او لعقل زايل سوءة لك اما تستحين كم
توبخين وعن غيك لا تنتهين وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى
ان تميما الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة قال انطلق
رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة
بالليل بطالة بالنهار قال فبينما هو كذلك اذ ابصر النبي عليه السلام في ظل شجرة فاتاه وقال غلبتني
نفسي فقال له النبي عليه السلام الم يكن بد من الذي صنعت اما انه لقد فتحت لك ابواب السما ولقد
باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي فقال

عليه السلام

عليه السلام عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم سدده اللهم اجعل الجنة مآبه وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما
في الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في
بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى
ثواب من كنت تعمل له وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فصام سبعين سبتا
ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك
خير لاعطاك حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم هذه ساعة خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله
حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف
في يوم شديد الريح فاذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا
فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك
ورجعت هكذا يقول مرتين او ثلاثا ثم قال والله لاعرضنك على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه
اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه
حتى انكشفوا ثلث مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذا دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته
ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة بطاير في حايط
فتصدق بالحايط كفارة لذلك وان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ما
ذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع
راسه الى السما ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع اصبعه
عليه ويقول لنفسه ما حملك يوم صنعت كذا وكذا وانكر وهب بن الورد شيا على نفسه فنتف
شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير ورأى محمد بن بشر
داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بالملح فقال ان نفسي لتدعوني
الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم
لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق
وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل

نفسك وهي اعظم عداوة لك فما اشد طغيانها عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيـ
فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم
المقيم الذي لا اخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها **المرابطة**
الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات
التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل
الاوراد ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهكذا كان يعمل عمال الله تعالى
فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر جماعة بان تصدق بارض كانت قيمتها
مائتي الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان
فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة
او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله وكل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت
ان كانت نفسي لا تطاوع على المجاهدة والمرابطة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك في ذلك
ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضائل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد
الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به كان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة
نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ قد فقد
في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء
انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي
ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما
قلائل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك
ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم قد قال
صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة
قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون
ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله
ويروى ان الله تعالى قال لملائكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم
الى شي

فاشتاقوا اليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن
ادركنا اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شيء منها ادبر ولهي
كانت ايسر في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي
لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط فادركتهم عاملين بكتاب
ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون
ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا
عملوا السيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفر لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من
الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب
ناحل الجسم فقال له يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين امراض واسقام فقال سألتك بالله
الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها
واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت
لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم
كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت
قراءة خمسين اية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني في
البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام
وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له
في ذلك فقال ان الله خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله فكل من نظر بغير اعتبار كتبت
عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة
وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت
العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب
الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى
يخضر جسده ويصفر لونه فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد
وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصفر لونه ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا

له ان الله لم يامرك بكل هذا وتقول انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان
بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه وكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر
احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب اليه
الصلاة وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال
الجنيد ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال
الحارث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما
هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ النفس ونسوا حظهم
الاكبر من ربهم فبكى القوم من اخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم
ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حايط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال
له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني
ومشى متفكرا وعن بعضهم دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه يبكي حتى رايت الدموع تتحادر
من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت بالله يا فتح بكيت الدم فقال
لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله
تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما
صنع الله بك قال غفر لي قلت فما صنع في دموعك قال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ماذا
قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح
ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما
ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته
فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف الطريق قال فاوما براسه الى السما فعلم القوم ما اراد
فقالوا يا راهب انا سايلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا
يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم قال على
نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق
وادخل راسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان
الصين

الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا
ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمايه وعظمه في كبريايه وصبر على بلايه ورضي بقضايه
وحمده على الايه وشكره على نعمايه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في
حسابه وعقابه فنهاره صايم وليله قايم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار فذلك هو الراهب فاما
انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق
عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب
والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل
لداود الطاي لو سرحت لحيتك فقال اني اذن لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع
فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة
وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك فقال
الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم طويلا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا وقال
سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن
داود وكان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن
يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسماية ثم كان
يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا ابت ما لي ارى الناس ينامون
وانت لا تنام فقال يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكا والسهر
نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا قال نعم يا اماه قالت فمن هو حتى نطلب الى اهله يعفو عنك فوالله
لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك قال يا اماه هي نفسي وعن عمر بن اخت بشر بن الحارث
قال سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي يا اختي جوفي وخاصرتي تضرب علي فقالت له امي يا اخي
تاذن لي فاصلح لك قليل حسا بكف دقيق عندي تحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان تقولي
من اين لك هذا الدقيق فلا ادري ايش اقول له فبكت امي وبكا معها وبكيت معهما قال عمر
ورات امي ما بشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له يا اخي ليت امك لم تلدني
فقد والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت امك لم تلدني واذ ولدتني لم تدر

ثم نهار على بالفجر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار قال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى
الفجر ثم جلس وجلست وقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى
صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح
ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه
ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال وما لاويس ان لا يكون
مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف
ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن ادهم
فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب
الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له
رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة احيانا
وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان بعضهم يصلي فيعجز حتى
ما ياتي فراشه الا حبوا وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء في احدى
عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل كان ورده خمسون في كل يوم ثلثماية ركعة وعن ابي
بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة اقرا فيه قل هو الله احد ثلثين الف مرة
او اربعين الف مرة شك الراوي وكان منصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر
الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه بدمع ولقد قالت له امه ما هذا الذي
تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا امه
انا اعلم بما صنعت بنفسي وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظماء الهواجر فقال هل
هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار فليس في ذلك خطير امر وكان يقول
ما رايت مثل الجنة نام طالبها ولا رايت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر
النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فاذا جاء
الليل قال من خاف البيات ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت بن عبد قيس
اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من اصحاب علي قال صليت خلف علي الفجر فلما
سلم

انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد وما
ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله
يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله عز وجل مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت
اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني قد علق
سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه ويقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك حتى يكون الكلال منك لا مني
فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي وكان يقول
ايظن اصحاب محمد ان يستاثروا به دوننا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا
وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا
ما وجد متزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان في الصيف اضطجع
داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي
وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشة اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا
هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الاية فقمت
حتى مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي
ثم رجعت وهي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود
حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشا وقال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيما
الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة
الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا
من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت
معي عدوا وجعلته يجري مجرى الدم مني وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك
ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح وقال
جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه
يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة

ثم يضع راسه بين ركبتيه فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض الحرس قال لا
ينظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان بينه بين الصيحتين حين صاح وعن الهيثم بن راشد الشيباني قال
كان لي زميعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم يصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى
باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع
من ها هنا باك ومن ها هنا داع ومن ها هنا تال ومن ها هنا متوضي فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته
عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكما ان لله تعالى عبادا الهمهم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم
فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفا اليقين وبيوتا
للحكمة وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت
وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في
باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مبذولون لمن ارادهم تواضعا فهذه طريقة لا يبلغ
اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشا وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال
بيت المقدس اذ هبطت الى واد فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال نحيبه لها دوي عالي
فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل قائم فيها يردد هذه الاية يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو
يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقاي ثم انتظرت افاقته
فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين
اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت امال المقصرين
ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا
بابنا جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل
الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك
انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام
كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لها عني
ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى فخر مغشيا
عليه

فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب
لي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي
ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته اثامه
وذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ شا الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا عليّ ليخرجني مما انا فيه
غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله
من شركم ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان
اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسير لي اذ
ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا شيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان ملك الموت لم يمت ثم
هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما
بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر ميزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه
عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملا قلبي من المحبة لك واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك
فقد آن لي الحيا منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك
لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وبعضهم انشد في هذا المعنى شعر

نحيل الجسم مكتئب الفواد تراه بقنة او بطن واد ينوح على معاصي فادحات يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عماد فانت بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد

وقال الاخر

الذين الملاذ بالغواني اذا اقبلن في حلل حسان
منيتي فوق املي ومالي سريح من المكان الى المكان لاجهد ذكره ويعيش فردا ويطرب بالعبادة والاماني
يلذ بالتلاوة اين ولي وذكر بالفواد وباللسان وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلاث
مرات ويجاهد نفسه في الطاعات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل
سبعة الاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة قال وكيف يعجز احدكم ان يعمل سبعة
ايام حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت ستة الاف سنة وتخلصت من يوم
كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا وكيف عمرك قصير والاخرة

لا غاية لها وهكذا كان سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك
وامتنعت من المرابطة على العبادة فطالع احوال هولاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة
من اقتدى بهم فهو انجع في القلوب وابعث على الاقتدا اذ ليس الخبر كالمعاينه واذا عجزت عن هذا فلا تغفل
عن سماع احوال هولاء فان لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتدا بهم والكون في زمرتهم وغمارهم
وهم العقلا والحكما وذوو البصاير في الدين وبين الاقتدا بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى لها
ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبيا وتوثر مخالفة العقلا فان حدثتك نفسك بان هولا رجال
اقويا لا يطاق الاقتدا بهم فطالع احوال النسا المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني اقل
من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات
فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها
وخمارها ثم قالت الهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه
وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار
قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا ام رددتها علي فاعزى وعزتك هذا دابي ودابك
ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ويروى عن
عجوز انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كانت في السحر نادت بصوت لها محزون
اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا
بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك
الصالحين فانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم الكرما ثم تخر ساجدة وسمع لها وجبة ثم لا تزال
تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانه فكنت ارى ما تصنع من
النياحة والبكا فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال انت وذاك قال
فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكا شيا لكان لك اقوى على ما تريدين
قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم
في جارحة من جوارحي واني لي بالبكا واني لي بالبكا فلم تزل تردد واني لي بالبكا حتى غشي عليها
وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة واذا اهل
الجنة

الجنة قيام على ابوابها فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه
المراة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه المراة قال امة سودا من اهل الابلة
يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهوا
فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت
لم يان لقدومك ولكن احفظي عني اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت
وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت
فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي قلت لها لا تقولي
بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني
وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض
ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرفي على هذه المراة فانظري
ماذا تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيا غير انها لا ترد طرفها عن السما وهي مستقبلة القبلة
تقول خلقت الثرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل
وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سو
فعلها وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما
علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني
السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة مني فقلت رجل
غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدوا
على دا قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا
قلت ولم ذاك قالت لان البكا راحة القلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على
عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعناها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك
ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله
قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السما فحانت منه نظرة فخر
مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت راسها الى السما لم تعص ويا ليتها اذا عصت لم تعد

وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوايجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت ولم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت بئس ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب مني واحد وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال ابن عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت ان تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علي فان عفوت فمن اولى بذلك منك وان عذبت فمن اعدل بذلك منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي بارا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولو رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفع عند مماتي بغفرانه الهي كيف اياس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني

وادم لي

وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اكن شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو يشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركبي في سفينة تخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم خوفا من الغرق ومن عذاب الغرق لا تتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك وحملها على الاجتهاد واستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها ان تنزجر عن طغيانها.

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها من شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك

فهي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله
راضية مرضية فلا تغفل ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً
بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني
وقال تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها
فإنها أبداً تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها
يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً أما تعرفين
ما بين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين
باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غداً فأراك ترين الموت بعيداً
ويراه الله قريباً أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس بآت أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة
من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وأنه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء
ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون
الصبي بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة
ثم يفضي إلى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب أما تتدبرين قوله عز وجل
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ويحك يا نفس إن كانت جرأتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم
كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك
عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة
تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات
جربي نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربي
إصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أو تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك
وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك إذا قصدك عدو فلم تستنبطين
الحيل في دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا تنقضي
إلا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم
الله

الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب
أفتحسبين أن الله تعالى كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب الدنيا
والآخرة واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فإنك
تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها وقال في أمر الآخرة وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا وصرفك عن السعي فيها
فكذبتيه بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل أمر الآخرة إلى
سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان
فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين
أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين أنك تتركين سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى
ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك
أما تتفكرين أنه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله ثم إذا شاء
أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فما بالك لا تأخذين حذرك ولو أن يهودياً أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك
في مرضك لصبرت عنه وتركتيه وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول
الله في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيراً من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل
وقصور علم والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل
أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أو صار حر نار
جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر
عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ما هذه أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك
لضحكوا منك وسخروا من عقلك فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الأجل وهب أنك وعدت
بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها
إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فأقام فيها سنين متعطلاً بطالاً
يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن

يقل في

وكأنه

هو لنجو اهل بالجهل والرذيلة وجوب قربان ...
... من انس ...
... ا ... اذ جهل ودار ...

نفقه النفس من غير نفقه ودرس وتكرار ما يطمع فيه بغير تعب او حصاد من غير ... تنال
غير نفقه اعتمادا على كرم الله تعالى ثم هبي ان التوبه اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى
فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحى اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث
لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك
لا يعسر عليك فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره
ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا
فقد جا الغد وصار يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذي جا وصار يوما كان له حكم الامس لانك
ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا
عجز عن قلعها للضعف كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع علمه بان طول
المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا تقدر عليه في الشباب فلا تقدر
عليه قط في المشيب بل من العنا رياضة الهرم ومن العذاب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل
الانحنا فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك الانحنا ولا يصح تقويم المعوج الا بالنار فاذا كنت
ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد
على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني من الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام
والمشقات فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات
الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر
لها في مخالفتها فرب اكلة منعت اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الما البارد ثلثة
ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه
طول العمر فما مقتضى العقل في قضا هذه الشهوة ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر او يقضي شهوته
في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمايه يوم وثلاثة الاف يوم وجميع عمرك
بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى
جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم
النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ويشـد

جهنم

جهنم على البرد ليس بقوي ولا على اسير الحرارة فكيف تقوى على جحيم وقودها الناس والحجارة . فما
اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة
معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات
الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال
او كلمة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري
لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب
بعضك واغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحيوة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقايك فيها يا نفس اما تستعدين للشتا بقدر طول
مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه
حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها النفس
ان زمهرير جهنم اخف واقصر مدة من زمهرير الشتا ام تظنين ان العبد ينجو منها من غير سعي هيهات
كما لا يندفع برد الشتا الا بالجبة والنار وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن
التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في
ان يدفع العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتا ان خلق النار وهداك لطريق
استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعي به برد الشتا عن نفسك وكما ان شرا الحطب والجبة
مما تستغنين به ويستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك
ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اسا فعليها والله
غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي اخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا
ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها
وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها

فما انت مومنه بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر
فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطره لا محالة الى مفارقته اهو معدود من
العقلا ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار لملك الملوك وما لك منها الا المجاز وكل ما فيها لا يصحب
المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت
فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان
كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورايه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة
وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا
كيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداهم اما تريهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون
ويوملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السما ومقره قبر محفور تحت الارض فهل
في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته وهو
صاير اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هولا على حماقتهم واحسبي انك لست ذا البصيرة تهتدي
الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتدا فقيسي عقل الانبيا والعلما والحكما بعقل
هولا المنكبين على الدنيا واقتدي على الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل
والذكا يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور
الواضحة الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الدنيا وادهشك عن فهمها او ما تفكرين
ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا لك
واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقى انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك
وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس
منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين
سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب
وانتظمت لك الاسباب كيف وان ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا
من محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركيها
ترفعا عن خسة شركايها وتنزها عن كثرة عنايها وتوقيا عن سرعة فنايها او ما لك لا تزهدين
في قليلها

في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود
والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولا الاخسا فما
اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار
رب العالمين ابد الاباد لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين ايام قلايل فيا حسرة عليك اذ خسرت
الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا
يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي عنك ربك بعد الموت ويحك يا نفس
ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت منها ربحت فما بقي وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية
عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك
اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين
يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد الوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا
يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا
بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا
عليه وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين
الله في السر بالعظايم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك
اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذايل تدعين الى الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت
له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب
غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم
بلا الا بشومك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع
هذا فتعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطية واحدة بعد ان عبده مايتي الف
سنة واخرج ادم من الجنة بخطية واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك
يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك لم تعقدين فتنقضين ويحك
لم تعاهدين فتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة
عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم

بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم
دعوا الى الاخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين يا انت الا في هدم عمرك منذ سقطت
من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس
منك التراقي ان يبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب
فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا والعجب كل العجب منك يا نفس
انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين
بنقصان عمرك وما ينفع المال اذا نقص العمر ويحك يا نفس تعرضين عن الاخرة وهي مقبلة عليك
وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله وكم من مؤمل غدا لم يبلغه وانت تشاهدين
ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها
النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله
سره وعلانيته فانظري يا نفس باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين فاعدي للسؤال جوابا
وللجواب صوابا واعملي في بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن
ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا احسنا واخرج الاحرار قبل ان تخرجي منها
على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل
لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله تعالى انه
من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا
وطلبك للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا
ينتهي واعلمي يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل
والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من
اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة
تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام
فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي
ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت عليه ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني
نفسك

نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان
لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك
الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء لانسداد طرق الخير فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الان هل ياخذك
حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع
من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكا واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى
اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك
قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا
مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في
تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتذلل المتضرع ويغيث الطالب الملهوف ويجيب
دعوة المضطر وقد اصبحت والله مضطرة والى رحمة الله محتاجة قد ضاقت لك السبل وانسدت عليك
الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ والمطلوب منه كريم والمسؤول
جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا
رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا
يستحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي
وفرجي وارني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين
اقتدي بابيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل آدم الى الارض من الجنة مكث
لا ترقا له دمعة فاطلع الله عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه
يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت
ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقا بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة
وفي دار السلامة بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفنا بعد الخلود والبقا
فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك
بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري
ونسيت عهدي ونقضت عقدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني

ويستحيوني بترعوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك بماية عام وكان عبد الله البجلي كثير
البكا يقول في بكايه طول الليل الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك
خطيه عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيه لم تبل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت لك
النار مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك نصبا واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل
حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا
رب ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا
لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك
بفعلي فمن عذابك الان من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوءتاه من الوقوف بين
يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت
سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى اتوب والى متى اعود اما آن لي ان
استحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاتهم مولاهم وفي معاتبتهم نفوسهم وانما مطلبهم وغرضهم من المناجاة
الاسترضا ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا
ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم كتاب المراقبة
والمحاسبة ويليه كتاب التفكر ان شا الله تعالى

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل
لمرقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في ابتدا
كبريايه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف
ايسه نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرا لانك لو
تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت امرا ورا الفكر في صفاتك امرا فانظري
في نعم الله واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار
المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا
وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر في الصفات الى النظر في الذات

(في الافعال)

فقد

فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزا حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون
مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد سيد ولد ادم وان كان
لم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد
منهم في سما الدين بدرا ولطوايف المسلمين صدرا وسلم كثيرا اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر
ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله عز وجل على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار
ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم
واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه
وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد
لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا
وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر ثم مجاري الفكر ومسارحه
ان شا الله تعالى فضيلة الفكر قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع
لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا
في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي عليه السلام انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون
فقال ما لكم لا تتكلمون قالوا نتفكر في خلق الله قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا
فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق
من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون
خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطا قال انطلقت
انا وعبيد الله بن عمر الى عايشه رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من
زيارتنا قال قول النبي عليه السلام زر غبا تزدد حبا قال ابن عمر فاخبرينا باعجب شي رايتيه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي
ثم قال ذريني اتعبد لربي فقام الى القربه فتوضا منها ثم قام فصلى وبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى
بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يوذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد

عفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في
هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن
قراها ولم يتدبر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان
رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع
في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مراة تريك
حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفين الثوري
كثيرا ما يتمثل ويقول اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال
الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك قال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته
فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو
سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق قال امنع قلوبهم من التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف
والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت
لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم في
الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمن يطيل الجلوس وحده وكان يمر به مولاه
فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان انس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة
افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما
علم قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من افضل العبادة وقال عبد الله
بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر
الناس في عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير
من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك
قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء
وقلوبكم التفكر وقال الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الاخرة

يورث

تفيد الحكمة وتحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف
وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى
قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت
صمته فكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر
وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي
على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السما ويبكي حتى وقع في دار جار له قال
فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع
السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر
بحسن الظن بالله ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال
الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال ايضا صحة النظر في الامور
نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم
والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان
تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية
العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال
قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما
معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة واثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الاخرة اولى
بالايثار فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة
بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة
والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين
المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار
الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة

يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا وتأملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على
معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التفكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان
اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شي واحد ولكن باعتبارات
مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف
يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث
انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر
لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة
الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايدة التذكار تكرار المعارف
على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفايدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة
فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر فالمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص
اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى
حصل من ذلك نتاج اخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما
ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او العوايق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق
التفكر فاما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف الذي يستثمر
منها العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة
التجارة فلا يربح شيا وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس يحسن
استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج منها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار
تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبيا عليهم السلام وذلك عزيز جدا وقد
يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو
لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من
انسان يعلم ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سيل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير
عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخرة
ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار فرجع حاصل التفكر الى احضار
المعرفتين

المعرفتين ليتوصل بهما الى معرفة ثالثة **واما ثمرة الفكرة** فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة
العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح
فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذن هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها
وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة
وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن التفكر من جملة الاعمال ولذلك قيل
تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد
والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا
وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان
الاخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الاخرة
والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل
اليها والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته
ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة فههنا خمس درجات
اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما
والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير احوال القلب عما كان بسبب
حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على
الحديد فيخرج منه نار يستضي بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تبصر وتنتهض الاعضا
للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويولف
بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث
النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور
النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضا للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب
الظلمة عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها
والاحوال التي يتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر
ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم

نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العباد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يخلو عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين واما ما يتعلق بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يبقى فيه متسعا لغيره فمحب الله ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود بهذا الكتاب واما القسم الاخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي

جه سعي كند على الخصوص الله بجارت بس

جه باشد جه از بهر ديكري كند از بهر مال دنيا وي

المعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار عن الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز منه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من هذه المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم في علم المعاملة في اربعة انواع المعاصي والطاعات والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصي

ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القران والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا منكرا عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر

على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام فان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به وهكذا يتفكر في اعضائه وفي هذا المقدار كفاية عن الاستقصا فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يوديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال المتعلقة بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور في قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدرا فازجره عن ذلك بمعصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع ذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسوال عن احوال الفقرا وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله ويقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغني عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات واما النوع الثالث فهو الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها فيما ذكرناه في ربع المهلكات وهو استيلا الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليها فان النفس ابدا تعد بالخير

بالخير من نفسها ثم تخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح ذلك عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وبارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضاي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي فاذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله عز وجل وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت متقربا الى الله عز وجل بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت لسوء الخاتمة فاذا عرفت ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهايم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملايكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهايم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهايم اشبه وعن الملايكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد من تحصيل ما في هذه الكتب اما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلا والشكر على النعما والخوف والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع له والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شي منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد

والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله به حتى ينبعث له
حالة الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه واياديه عليه
وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر واذا اراد حال المحبة والشوق فلينظر
في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته كما سنشير الى طرف منه في
القسم الثاني من الفكر واذا اراد الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت
وسكراته وفيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول
النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة والحساب
والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى
الشمال فيكون من اصحاب او يصرف الى اليمين فينزل في دار القرار ثم ليحضر في قلبه بعد احوال القيمة
صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب
فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
وهلم جرا الى جميع ما ورد في القران من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى
الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهذا
طريق الفكر الذي يطلب بها العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة والتنزه عن صفات
مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر
اما ذكره بجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال
وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر
الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقراه العبد ويردد الاية التي
هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة
بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر
ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة
لو تاملها

لو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الايات والاخبار يطول فانظر
الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول
العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التفات الى
الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او
مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة
والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره واعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات
فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله
وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون
مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه ثم
واوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو نظر في عمارة
الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان
الخواص رحمه الله يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت فقال ادور في
البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء
في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات
المهلكة يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات
يجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها
فاذا استغرقت في تربية الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي
ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب
وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا
فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام اخرون واذا عرفت مجال
الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ودينك صباحا
ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى والاحوال المقربة الى الله بل كل مريد

فينبغي ان يكون له جريدة يثبت عليها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي
والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها
وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب
الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلا والرضى بالقضا والشكر على النعما واعتدال
الخوف والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع
له فهذه عشرون خصلة عشرة منها محمودة وعشرة مذمومة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها
في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا
بتوفيق الله تعالى وعونه له ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذايل عن نفسه فيقبل على التسع
الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات واذا اتصف
بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما
اكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرايدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة
واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمرا والثنا على النفس والافراط في معاداة الاعدا وموالاة
الاوليا والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر الناس ممن يعد نفسه
من وجوه الصالحين لا ينفك من جملة من هذه المعاصي في جوارحه ما لم تطهر الجوارح عن الاثام لا يمكن
الاشتغال بعمارة الباطن القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي
ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاصي هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في
غالب الامر عن اظهاره نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن
فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع
في القلوب لا ينفك عن الاعجاب والخيلا والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم
يخل عن انفة وغيظ وحقد على من رده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان
عليه ويقول له ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه
او يرد على عالم اخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء
واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على
استجلاب

الثنا والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ
والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلا لدين الله فان كان فرحه بتحسين الفاظه
وثنا الناس عليه اكثر من فرحه بثنا الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب
الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات المذمومة ظهر على ظاهره ذلك حتى
يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقايه اشد استبشارا ممن يغلو في موالات
غيره وان كان ذلك لغيره مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء
فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في
دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو
مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا
مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب
الخمول والمدافعة بالفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة جمعا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي يود ان يكفيه
غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست
العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فانه كان معمورا قبلي وكذلك يكون
بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عني وانا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي
فاما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا
بالقيود وتوعدوا بالنار عن طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم
حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب
الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب
لهم في الاخرة كما قال عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر ولا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى
في قلبه حب الجاه والثنا والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال عليه السلام حب الجاه والمال
ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة

عم بالكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينعدم حب الجاه من القلب الا بالاعتزال
عن الناس والهرب عن مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا
هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التقي فاما امثالنا فينبغي ان
يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو راٰنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هولا لا يومنون
بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يومن بالجنة والنار فان من خاف شيا هرب منه ومن رجا شيا طلبه
وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة
بتكثير نوافل العبادات ونحن مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل من ثمرة العلم لنا الا انه يقتدى بنا
في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلما اولى باجتنابه منا
فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال
الله ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا فانه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه
مجاري افكار العلما والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا
منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك
من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا
مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن
تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فينغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في اكمال التنعم
الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات
وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر
العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه عز وجل

القسم الثاني التفكر في جلال الله وعظمته وكبريايه

وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمايه وهذا
مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا
يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل ساير الخلق احوال ابصارهم
بالاضافة الى جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي
نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال
الانسان

الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر
ونظر المختطف اليها يورث العمش ويزرف البصر فكذلك النظر الى ذات الله يورث الحيرة والدهشة
واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول
لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلما وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه
عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا منفصل عنه قد
حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من هذا اذ
قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له
مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام
ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضا وهذا
لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه
نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير بين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم
غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له
ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني
افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة ولا يكون
له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لظلوم
جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيايه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم
عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع
وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجايب
صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريايه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته
وعلى نفاذ مشيته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا
لا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة
الى نور القمر وساير الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر
دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من قدرة الله

تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشيا كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشيا بذات القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس فيه ولم يمكن النظر اليها فيكون الما واسطة تغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا تبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب يظهر بها حكمة الله وقدرته وجلالته وعظمته واحصا ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا نعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشيا مما يدق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السما والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وكل ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف

حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال الله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لايات وكما قال ومن اياته من اول القران الى اخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الايات فمن اياته خلق الانسان من نطفة واقرب شي اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما ينقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره وقال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال تعالى الم نخلقكم من ما مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان الاية فتكرير ذكر النطفة في كتابه العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الما قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهوا فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بما الحيض وغذاه حتى نما وربى وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضا مشرقة علقة حمرا ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم والعظام والاعصاب والعروق الاعضا الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والريه والرحم والمثانه والامعا كل واحد على شكل

مخصوص ومقدار مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات
لكل طبقه وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقه منها او زالت صفه من صفاتها تعطلت العين
عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضا من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار فانظر
الان الى العظام وهي اجسام قويه صلبه كيف خلقها من نطفه سخيفه رقيقه ثم جعلها قواما للبدن
وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفه واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير
ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركه بجمله بدنه وببعض اعضايه
للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركه
وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركه المطلوبه بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض
باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد
خارجة منه وفي الاخر حفرا غايصة فيها موافقه لشكل الزوايد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار
العبد ان اراد تحريك عضو من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق
عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفه الاشكال والصور
فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الراس كما ترى فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر
للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقيه هي الاسنان بعضها عريضه تصلح للطحن وبعضها حاده
تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبه مركبا للراس وركبها من سبع
خرزات مجوفات مستديرات فيها تحويفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض
ويطول وجه ذكر الحكمه فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى
منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزه وركب عظم العجز من ثلاثة اجزا ثم وصل عظام الظهر
بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانه وعظام العجز ثم عظام الفخذين
والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مايتا عظم وثمانيه واربعون عظما سوى العظام الصغار التي حشى بها خلل المفاصل فانظر
كيف خلق جميع ذلك من نطفه سخيفه رقيقه وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف
عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطبا والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها
وخالقها

وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص
لانه لو زاد عليها واحدا لكان زايدا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا
يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستد
لوا بها على جلاله خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام
وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسماية عضلة وتسعا وعشرين عضله والعضلة هي مركبة من
لحم وعصب ورباط واغشيه وهي مختلفه المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها
فاربعة وعشرون عضله منها لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر
العين وكذلك لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاورده
والشراين وعددها ومنابتها وانشعابها اعجب من هذا كله وشرح هذا يطول فللفكر مجال في
احاد هذه الاجزا ثم في آحاد الاعضا ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب
المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه
وصفاته فترى فيه من العجايب والصنعة ما تقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ما قذرة
فترى من هذا صنعه في قطره ما فما صنعه في ملكوت السموات والارض وكواكبها وما حكمته في اوضا
عها واشكالها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها
ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمه وحكم بل هي احكم خلقا واتقن
صنعا واجمع للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال
الله تعالى انتم اشد خلقا ام السما فارجع الان الى النطفه وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا
وتامل لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة سمعا وبصرا او عقلا او قدره او علما او روحا او يخلقوا
فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه
حقيقته وكيفيه خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه والعجب منك لو نظرت الى صورة
انسان مصور على حايط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال
الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم
في قلبك محله مع انك تعلم ان الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحايط وباليد وبالقدرة وبالعلم

تعلم

والمراده وليس شي من ذلك من فعل المقاس ولا طاقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى علمه ان يجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاها المتشابهة الى اجزا مختلفة فاحكم العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون ذلك سببا لبقايها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذايها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذا عنها ثم اظهر في مقدار عدسه منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها وهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ما يحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت فيرده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تجويفات واعوجاجات ليكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيها حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهوا غذا لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد روسها وبيض الوانها ورتب صفوفها متساوية الرووس متناسبة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية وزين الجبهة بالحاجبين وزين الحاجب بدقة

الشعر

الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضا الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السودا عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفرا والكلية تخدمه بجذب المائية والمثانة تخدم الكلية بقبول الما عنها ثم تخرجه بطريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث مفاصل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب ليدور الابهام على الجميع فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطا فان بسطت كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على روسها زينة للانامل وعمادا لها من ورايها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشيا الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضا لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اضعف الخلق واعجزهم فلم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بتعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهو في داخل الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغطا والغشا وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيا شيا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت مصورا وفاعلا لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واوضح برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم على الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم لبنا خالصا سايغا للشاربين وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت لهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا

فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير
عند الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى
الا باللبن ويستغنى عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام
الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام
الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا
عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر
كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا
ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مومنا او كافرا تصديقا لقوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم انظر الى القدرة والحكمة
تبهرك عجايب الحضرة الربانية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا على حايط فيستحسنه
فتنصرف جميع همته الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال
يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا تحيره جلاله وحكمته وهذه نبذة من
عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاوها فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت
غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي
فتجامع وتغضب فتقاتل والبهايم كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت
البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجايب الافاق والانفس اذ بها
يدخل العبد في زمرة الملايكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب
العالمين وليس هذه المنزلة للبهايم ولا للانسان الذي رضي من الدنيا بشهوات البهايم فانه شر
من البهايم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك اما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة
الله تعالى فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر
في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السما

اما الارض

اما الارض فمن اياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في
مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد بهم ثم وسع اكنافها
حتى عجز الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم قال تعالى والسما بنيناها
بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض فراشا وقد
اكثر في كتابه من ذكر الارض ليتفكر في عجايبها فظهرها مقر للاحيا وبطنها مرقد للاموات وقال
الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الما اهتزت وربت
واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض
بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار
تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ما رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل
به كل شي حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان
وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والروايح تفضل بعضها
على بعض في الاكل تسقى بما واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها
واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل
في كل سنبلة ماية حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها
فاذا انزل عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها
وغير متشابه ولكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الاخر فانظر الى كثرتها واختلاف
اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه وكيف اودع الله تعالى
العقاقير والمنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد
وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفرا
وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا
يفرح وهذا ينوم وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع
لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تدبيره الى عمل
مخصوص فالنخل يوبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث

البذر في الارض وبعضه يغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس
النبات وانواعه ومنافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس
نبذ يسير يدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال
والمعادن الحاصلة تحت الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف تخرج
منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج والبلور وغيرها وبعضها منطبعة تحت
المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل
وكيف هدى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي ثم انظر
الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام
ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها
بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال ذرة منه ليكون
ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة
وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي على الوجه
الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي
وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض
الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو
والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة
مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة
او النملة او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها
وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها
لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب موضعين متقاربين بينهما
فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ ويلقي اللعاب الذي هو
خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر من الخيط ثم كذلك يتردد

ثانيا وثالثا

ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط وركب به
خيوطا كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع
التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب
ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز
عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط
اخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى بنفسه اليه واخذه ولف خيطه
على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى افترى
انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم
افيشك ذو بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر
نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب
صنعه لفاطره الحكيم ولخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق
المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات
وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما
تعجب القلوب لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال
سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام
التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاسقيتهم
واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل لحومها والبانها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب
وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها
ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور
مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير ومشير فهو العليم
الخبير الحكيم القدير فقد استخرج تأمل العاقل في خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين
بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة

جلاله وعظمته من الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن
معرفته فنسأل الله تعالى ان يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض
التي هي قطعة من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من الجبال والبراري عن الماء بالاضافة
الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر
كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد
شاهدت عجائب الارض وما فيها فتامل الان عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر
اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان
فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها وربما يحس
بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس او
طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثاله واضعافه وفيه اجناس لا يعهد لها نظير في البر وقد
ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ
ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على
هيئة شجرة نبت من الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج
منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب
الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف
الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله تعالى في البحر
في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف
سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل
مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات
فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منه لبذل جميع خزائن الارض في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا
شربها لو منع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الادمي
كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالى في شربة ماء اذا احتاج
الى شربها والاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجائب المياه والانهار والابار والبحار
ففيها

متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن
جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب اما تراني
واما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي اتظن اني تكونت بنفسي
او خلقني احد من جنسي اوما تستحي ان تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانه صنعة آدمي
عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي
لا يدرك بالابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول
النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في
دم الحيض في الوقت الذي يظهر علي التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني
وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا
ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام والاب ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش
باعجب ممن يشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل يقدر على
ان يتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير
ملامسة ومن غير اتصال بها ولا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا
تفهم ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما ان نقشه وصنعه
لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من
هذا ولا تفهم فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح
ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى
وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب
اعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض لا يدرك
بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور
محلقة في جو السماء محلقة وتسبح سباحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه
وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله تعالى الهواء وجعله ريحا هابة فان

ثم جعله بشرا بين يدي رحمته كما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهوا الى [illegible]
والنبات فيستعد للنما وان شا جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال سبحانه وتعالى انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهوا ثم شدته
وقوته مهما ضغط في الما فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الما فيعجز عنه والحديد الصلب
تضعه على وجه الما فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهوا من الما بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة
امسك الله السفن على وجه الما وكذلك كل مجوف فيه هوا لا يغوص في الما لان الهوا ينقبض عن الغوص في
الما فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهوا
اللطيف كالذي يقع في البير فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها تتشبث
باذيال الهوا القوي فتمتنع من الهوي والغوص في الما فسبحان من علق المركب الثقيل في هوا
لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود
والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السما والارض وقد اشار
القران الى جملة ذلك في قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين واشار الى تفصيله
في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السما والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب
والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك
في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينك فادركت ظاهرها
فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا
ايضا يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصايه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو
صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شا ومتى شا وهو مع رخاوته حامل للما الثقيل
وممسك له في جو السما الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الما وتقطيع القطرات كل قطرة
بالقدر الذي اراده الله وعلى الشكل الذي شاه فترى السحاب يرش على الارض ويرسله قطرات
متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم
لها لا تعدل عنه لا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون
والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او في قرية واحدة لعجز

حساب الجن والانس عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل
حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدودة الفلانية
الذي هو في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الما اللطيف
وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القادر
ما لاحد من الخلق فيه شركة ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعمي
الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الما لانه ثقيل بطبعه
وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه
الما الذي طبعه وما الذي خلق الما الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الما المصبوب في اسفل الاشجار الى اعالي
الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيا
شيا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورق ويجري اليه
في تجاويف عروق شعرية صغار يرى منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير
الممدود في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول
سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق
فيصل الما في اجوافها الى ساير اجزا الورق ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى ساير
اجزا الفواكه فان كان الما يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان بجذب جاذب فما الذي سخر
ذلك الجاذب وان كان ينتهي بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال
عليه في اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن اياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب
وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهوا وكل جسم
سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في البحار وانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من
سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع فكم من قسم في القران بها كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق
وقوله والشمس وضحاها وقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها
فكيف ظنك بما اقسم الله به واحال الارزاق اليه فقال وفي السماء رزقكم واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات

والارض وقال عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الي السماء وهي متغيرات علي القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغيير الي ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالي محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الي الملكوت لتري عجايب العز والجبروت ولا تظنن ان معني النظر الي الملكوت بان تمد البصر اليه فتري زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهايم يشاركونك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالي ابراهيم عليه السلام بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقران يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالي عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشي من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يطلع علي غيبه احدا الا من ارتضي من رسول فاطل ايها الناظر فكرك في الملكوت فعسي يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الي ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجي لك ان تبلغ رتبة ما بلغ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيث قال راي قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصي لا يكون الا بعد مجاوزة الادني وادني شي اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف ثم النبات والحيوان وما علي وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملايكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم تجاوز منه الي النظر الي رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيما ذا اتفكر والي ما ذا اتطلع فارفع الان راسك الي السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها و

اختلاف

در بهشت بر دلی که بجز وصیت کند دوم

اختلاف مشارقها ومغاربها ودووبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى كطي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى لون الرصاص ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة الحمل وبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والسرطان والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير اخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولاطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السموات لا مطمع في معرفة عشر عشير جزء من اجزايها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى فيه حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدور جوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تريها اصغرها هو مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك اشار الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد مثل الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم الى السماء التي الكواكب مركوزة

مطلب في معرفة ... الشمس والكواكب

...سقف گردن خویش را باشد

منها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انها في لحظة تسير مقدار عرض الكواكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته حيث قال له النبي عليه السلام هل زالت الشمس قال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الله الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة عين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى باريها جل جلاله كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه والعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت تنظر ابدا الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع ذلك فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما ياكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك في غفلتك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها

مطلب في تعبير جبريل عليه السلام عن سرعة حركة الشمس

نوشته

بخرد سبوم انک ازهر بزادر مسا ان کند

جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها واما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة عن النظر الى نفسها وغذائها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته ولا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصورك وبدائع صنع الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله به علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر بالاضافة الى ما عرفه الانبياء عليهم السلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا عليه السلام وما عرفه الانبياء قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان مجاري الفكر الذي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجائب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيد محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا فتامل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق ولنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب

وبتنگی بل که میانه نگاه دارد ومعنی اسراف

هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى نعوذ بالله من الضلال ونساله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله

تم كتاب الفكر بعون الله تعالى وحسن توفيقه

ويتلوه كتاب ذكر الموت ان شاء الله تعالى

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به امال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة وصلى الله على محمد ذي المعجزات الظاهرة والايات الباهرة وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا . اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها من اصحاب القبور فان كل ما هو ات قريب والبعيد ما ليس بات وقد قال عليه الصلوة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد الا عند تجدد ذكره

بمباح داد که ایشان از جمله اتان اند

ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بقي من العمر الا قليل والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهى اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما وانما يذكره لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين

وبانواع طعام وشراب اسود كى جسش اما

كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جا على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنى والسقم احب الى من الصحة والموت احب الى من الحياة فسهل على الموت حتى القاك فاذن التايب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشيا اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال عليه السلام لو يعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن ادم ما اكلتم منها سمينا وقالت عايشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهدا احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للاخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال عليه السلام تحفة المومن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المومن اذ لا يزال فيها في عنا من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال عليه السلام الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المومن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتنابه الكباير واقامته الفرايض وقال عطا الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال عليه السلام كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم الموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان

عليه وسلم له الحج المبرور ليس له جزا الا الجنة

صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر اتيت النبي عليه السلام عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة. واما الاثار فقد قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غايب ينتظر المومن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلونى الى ربي سلا وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقها فيتذاكرون الموت والقيامة والاخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمى شيان قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل وقال كعب رحمه الله من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن وانما هو في ذكر النار وذكر الاخرة وامر الاخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة قساوة قلبها فقالت اكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجات تشكر عايشة وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلما عظنى فقال انت اول خليفة يموت قال زدني قال ليس احد من ابايك الى ادم الا ذاق الموت وقد جات نوبتك فبكى عمر بن عبد العزيز وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا ما اشتهيت لقاه فكيف احب لقاه وقد عصيته

بيان الطريق الى تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم

اشد بعد حوف

فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع
ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه من كل شيء الا من ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان
يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر
فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه
الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل
كيف محى التراب الان حسن صورهم وكيف تبددت اجزاوهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا
اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما يذكر رجلا رجلا
وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته ويتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقا
ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك
واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان
كيف تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل
التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه في عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين
الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه وانكشف له صورة الملك
وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم
وستكون عاقبته كعاقبتهم وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم
وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل
يوم غاديا او رائحا الى الله تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع
الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد
ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له
ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير
والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر
ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا
ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني

الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية
معالجته بيان فضيلة قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا
تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك
يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى علي رضي الله عنه انه عليه السلام قال ان اخوف ما اخاف عليكم خصلتان
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا ثم قال الا
ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابنا وللاخرة ابنا وللدنيا
ابنا فكونوا من ابنا الدين ولا تكونوا من ابنا الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت
مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر
اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد
الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده
ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه
حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم
تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله
ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه عليه السلام اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا
بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن ادم فيختلجه الاجل دون الامل
وقال عليه السلام مثل ابن ادم والى جنبه تسعة وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم
وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف سوارع اليه والهرم ورا الحتوف والامل ورا الهرم
فهو يامل وهذه الحتوف سوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم
وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط

خطوطاً الى جانب الخط وخط خطاً خارجاً ثم قال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا
الإنسان للخط الذي في الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان
أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الأمل يعني الخط الخارج وقال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم
ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل وفي رواية ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص
على العمر وقال عليه السلام نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل
وقال بينا عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى عليه السلام اللهم انزع منه الأمل
فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله
عيسى عليه السلام عن ذلك فقال بينا أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة
واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي وقال الحسن قال النبي
عليه السلام أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين
أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان عليه السلام يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من دنيا
تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل **الآثار** قال مطرف
بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا
الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني
آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنه
العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان ثلاث أعجبتني حتى
أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط
عنه رب العالمين أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد وحزبه الأحبة وهول المطلع والوقوف
بين يدي الله تعالى لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار وقال بعضهم رأيت زرارة بن أوفى بعد موته
في المنام فقلت أي الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر
الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه عز وجل أن يرفع عنه
الأمل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه عز وجل فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب
وقيل للحسن يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك قال الأمر أعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم

والدنيا

والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل مادٍّ عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود
الطائي رحمه الله لو أمّلت أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى
الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني وفي
طرف كسائه شيء مصرور فقال له أستاذه أيش هذا معك قال لوزات دفعها إليّ أخ لي وقال أحب أن تفطر
عليها فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً قال فأغلق في وجهي الباب ودخل
وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة
التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمل
فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه
ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً
وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لا
يداوي كلماً إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي
فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه منصوبة
لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت أو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت
أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما وكتب رجل إلى أخ له أما بعد
فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام وكتب
آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب
وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام
قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله
خلف ظهره وقال عبد الله بن شميط سمعت أبي يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط
من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة لو فكرت في طول عمرك لنسيت
ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم من الموت تأمنون أم على ملك
الموت تجترئون إن ملك الموت إذا جاءك لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن
ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت رحم

الله

الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما انا بسليمان بن عبد الملك في المسجد
الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت قرب
ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك
وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك
الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامه
فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك
وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان
يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع
وضيق مضجع ثم يبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلايق وخلاء الارض
من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجي بالنبيين
والشهدا وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج
وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلى عن
الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النايمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر
العظيم واوقع الدنيا والاخرة في قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا
سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله
تعالى من رحمته التي وسعت كل شي وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا
لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين
وسيخلفها بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورايحا الى الله عز وجل
وقد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد
خلع الاسباب وفارق الاحباب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من
الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله تعالى عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن

... استغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى
... وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنه فلو اتاني ما احببت تاخير شي عن شي
وقال الثوري رحمه الله رايت شيخا في مسجد الكوفه يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنه انتظر الموت
ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته عن شي ولا لي على احد شي ولا لاحد عندي شي وقال عبد
الله بن ثعلبه تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في
جنازه بالكوفه وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحيه وهي تدفن فجيت فقعدت قريبا
منه فتكلم وقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكلما هو آت قريب
واعلم يا اخي ان كل شي شغلك عن ربك فهو عليك مشوم اعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور
وانما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون
وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي ان معروفا الكرخي اقام الصلوة قال محمد
ابن ثوبه فقال لي تقدم فقلت ان صليت بكم هذه الصلوه لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث
نفسك انك تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم كتب الله عليها الفنا وكتب على اهلها الظعن فكم من عامر
موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحله باحسن ما
يحضركم من النقله وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن
ادم في الدنيا ينافس وهو بها قرير العين اذ دعاه الله تعالى بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه
اثاره ودنياه وصير لقوم اخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر
قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاه
الحسنه وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان اين
الذين كانوا يعطون الغلبه في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور
الوحى الوحى ثم النجا النجا **بيان السبب في طول الامل** اعلم ان طول الامل له سببان احدهما
الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل
على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيا دفعه

... جمعی است یکی انک شر سبک باد تر باشد

عن نفسه فالانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق البقاء
في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من اهل ومال ودار واصدقاء
ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا
يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد سوف ووعد نفسه وقال
الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب فاذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى
ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد
وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا
يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم
ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار
صياحهم من سوف يقولون واحسرتاه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى
التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون
للخائض في الدنيا فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها ولذلك قيل فما قضى احد منها لبانته
وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله عليه
السلام احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد
قرب الموت مع الشباب فليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد
وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت
لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير
بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت
ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار
لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل
والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به
ووقوعه فيه وهو ابدا يظن ان يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته بان هذا قد تكرر عليه
والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه واذا وقع لم يقع

دفعة

جمله فرموده انست وا ... ورفا بعیت هی

دفعة اخرى فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد ان تحمل جنازته
ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض
واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من الخاصة
وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو
الداء العضال الذي اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وما فيه من
عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير
هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى
الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير
مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا
الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران
والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت بغتة في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما
واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه
وليتدبر انه كيف ياكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدا بحدقته
اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص
لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر
واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه
وتدعو الى الاستعداد له **بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره** اعلم ان الناس في
ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة
ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر
الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه ولا يقدر لنفسه
وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه
لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل مدة الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء

عضا به

علاج طول الامل وازالة الجهل حب الدنيا

ولا في الشتاء شباب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال
عيسى عليه السلام لا تهتموا لرزق غد فان يكن غد من آجالكم فستاتيكم فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من
آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا عليه السلام يا عبد الله اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم
من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه
نقل ما روي عن معاذ لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا
ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود انه كان يصلي ليلا وهو يلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل
ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله فليس من امله
مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى فان الله لا يظلم مثقال
ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير
الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك
على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينه لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت
الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى
منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ
القلب عن الغد وما يكون منه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد
ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير جاد
بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بمبادرة
العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه والله الموفق

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم ان من له اخوان غائبين ينتظر قدوم احدهما غدا وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد
للذي يقدم الى شهر وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن
انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالسنة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة
بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا

في تلك

باشد باجامه كهنه وموى براكنده وكم ذا

في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي عليه السلام ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا
مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة
ادهى وامر وقال ابن عباس لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل
سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال عليه السلام نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما بعد زوالهما وقال عليه السلام
من خاف البيات ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال عليه
السلام جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان عليه السلام اذا انس من اصحابه غفلة
او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو
هريرة قال عليه السلام انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في
جنب ما مضى منه وقال عليه السلام مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط
في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم او مساكم
ويقول بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول
الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر
للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء
الا منادي ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر
نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر
بن عبد الله وهو يصلي فاوجز صلاته ثم اقبل علي وقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت
وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي
فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عليه السلام التؤدة في كل شيء خير

الا في اعمال الاخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادر قبل ان ياتيك
الموت ويحك بادر قبل ان ياتيك الموت كرر ذلك سبعين مرة اسمعه ولا يراني وكان يقول الحسن في
موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله رحم
الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا انما نعد لهم عدا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك
اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري اجتهادا شديدا فقيل
له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت
جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته
شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفا على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم
وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت
فقد اظلكم وترحلوا فقد حل بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان
غايبا يحدوه الليل والنهار لحدير بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل
العدة فاتقى الله امرا عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه
واملة خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم
منيته عليه اغفل ما كان عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا ان ينزل به الموت فيا لها حسرة على ذي
غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة
ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعا وانه بيده الخير
وانه فعال لما يشا وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال باللذات والشهوات
وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جا امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور وقال
الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلايل وانما انتم ركب وقوف يوشك الرجل منكم ان يدعا فيجيب
ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو
ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مودات وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على
الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار
المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم وايقنتم فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله

ان تسمعوه

ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا
ورايحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحى الوحى النجا النجا
على ما تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله امرا جعل العيش عيشا واحدا فاكل
كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيه وهرب من العقوبة وابتغى
الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا اسايله يا
هذا لا تشغلك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ها هنا وها هنا
فينقطع عنك النهار في لا شي فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيا قط احسن طلبا ولا احسن ادراكا
من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت

وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا
هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان ينغص عليه عيشه ويكدر عليه
سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في
كل نفس بصدده كما قال بعض الحكما كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه
يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم
اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه
لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو
عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة
الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال
الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه
فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى
الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزا فلا
يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم
ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن الم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزايه حتى لم يبق
جزء من اجزا الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده
انما يجري في جزء من الروح يلاقي
ذلك الموضع الذي اصابته
الشوكة

وانما يعظم الم الاحتراق لان اجزا النار تغوص في سائر اجزا البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا
وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزا الروحانية المنتشرة في سائر اجزا اللحم واما الجراحات فانما
تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس
الروح ويستغرق جميع اجزايه فانه المنزوع والمجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب
وجزء من الاجزا ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسال
عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما
يستغيث المضروب ويصيح لبقا قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة
المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهدّ كل قوة وضعف كل جارحة
فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف
فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك
فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير
لونه واربدّ حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله
فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص
اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب
منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح
المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضايه تدريجا فتبرد اولا قدماه
ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك
ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو
له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون

منه ولا

ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشيا قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبيا
من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى ان يهون علي هذه السكرة يعني
الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة
فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل
قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت
منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عايشة لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد
الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان عليه السلام يقول اللهم انك تاخذ الروح
من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثماية ضربة بالسيف وسيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من
الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلام على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت
على حدته وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف
اهون علي من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد
بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المومن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم
وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شي لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات
الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل
ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض
قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال
عليه السلام موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر ويروى عن مكحول عن النبي عليه السلام انه قال لو
ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت
ولا يقع الموت بشي الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت
وروي ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل

بيان شدة الم الموت للمومن لتبلغ الدرجة العليا وهون الم الموت للكافر لوصول اجر معروفه في الدنيا

صوف رطب ثم جذب فقال اما انا فقد هوّنا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله
الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح
ولا ينجو فيطير وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي عليه
السلام انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون
علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك
بعد اليوم وقال عمر لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت كغصن كثير
الشوك ادخل في جوف رجل واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ
وابقى ما ابقى وقال عليه السلام ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها
على بعض تقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله تعالى
واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت الدواهي فان دواهي الموت
ثلث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الخوف
والروع منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة
لم يطق رويته فقد روى ان ابراهيم قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض عليها
روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود
قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم
عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر
عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام ان داود عليه السلام
كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي
برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الدار لئن جا داود ليلقين منه عنتا فجا داود فراه فقال
من انت فقال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال والله انت اذن ملك الموت وزمل
داود مكانه وروى ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله تعالى
فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي
اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان

مطلب دواهي الموت ثلث

قصة داود عليه السلام

قصة جمجمة عيسى

فرقة

فرقة وياليتما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون
فقد حكى الانبيا مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها
في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برويته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة
واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابراهيم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج
اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال
انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك قال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال
هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المومن قال نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت
فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المومن
عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت
يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق
اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا
وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت
اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم
قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم
ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة
ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبي عليه السلام لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين
مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال عليه السلام من احب لقا الله احب الله لقاه ومن
كره لقا الله كره الله لقاه فقالوا كلنا نكره الموت فقال ليس ذاك بذاك ان المومن اذا فرج له عما هو
ما هو عليه احب لقا الله واحب الله لقاه وروى ان حذيفة اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من
اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحمرا فقال حذيفة
اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال
ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة فقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن
انتظر احدى البشريين من ربي عز وجل بجنة او بنار وروي في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال

مطلب مشاهدة الملكين الحافظين

مطلب مشاهدة العصاة مواضع النار

ان الله تعالى اذا رضي عن عبده قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد
بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول
الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان
فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما
اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به وكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن
دون لقا الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند
موته ما تشتهي فقال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا
اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم
السلام الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى عند النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا
عقاب لخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا
معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول
بذكره واعادته **بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت** اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة
المحتضر الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله
تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح جبينه
وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق
واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة
فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلام لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية
حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمن قال النبي عليه السلام من مات وهو يعلم ان لا
اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان رضي الله عنه اذا احتضر الميت
فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال ابو
هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد
فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص
وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين فربما لا ينطلق لسان المريض ويشق عليه ذلك ويودي الى استثقاله

التلقين

التلقين وكراهته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل
وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في
حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على راس اللسان
ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله
بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرناه في كتاب الرجا وقد وردت الاخبار
بفضل حسن الظن بالله تعالى ودخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال
اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو رحمة الله فكبر واثلة بن الاسقع وكبر اهل البيت بتكبيره
وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن
بي ما شا ودخل النبي على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال
عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى الذي يرجو وامنه من الذي
يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت له ام تعظه كثيرا وتقول يا بني ان لك يوما
فاذكر يومك فلما نزل به امر الله اكبت عليه امه فجعلت تقول له يا بني قد كنت احذرك مصرعك
هذا واقول ان لك يوما فقال يا اماه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض
معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به تعالى وقال جابر بن عبد الله كان شاب به رهق فاحتضر
فقالت امه يا بني توصي بشيء فقال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما
دفن رؤي في النوم فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل
له انك تموت فقال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا ارى الخير الا منه
وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن
الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه عز وجل **بيان
الحسرة عند لقا الموت** بحكايات تعرب بلسان الحال عنها قال اشعث بن اسلم سال ابراهيم عليه
السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما
تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوبا بارض والتقى الزحفان كيف تصنع فقال
ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست

مطلب منفعة كلمة الشهادة

مطلب داب السلف ذكر محاسن اعمال المحتضر لحسن الظن

بين يديه بينا ولد منها حيث شا قال وهو بشر بالله خليل الرحمن وقال سليمن بن داود عليهما السلام
السلام لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا فقال ما انا بذلك باعلم منك انما
هي صحف او كتب تلقى الي فيها اسما وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا
بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي
بدواب فركب احسنها فجا ابليس فنفخ في منخره فملاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى
الناس كبرا فجاه رجل رث الهياة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد
تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الان فقهره على لجام دابته فقال
اذكرها قال هو سر فادنى اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب
لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك
ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مومنا في تلك الحال فسلم فرد السلام فقال ان لي
حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته
علي فوالله ما كان في الارض غايب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت
لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقا الله عز وجل قال فاختر على اي حال شيت ان اقبض
روحك فقال اتقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي وانا
ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرايل مالا فلما
اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشي كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره
فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فراه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج
من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة
فهلا كان قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال
الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله
وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا
نفس انعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة
رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه

افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمة وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي مولاكم قالوا والى مثلك قال
نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس
فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا
له قولا لينا وقولوا له هل تاخذ به احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست خارجا
منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله من مال انت شغلتني
عن عبادة ربي تعالى ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على
السلطان بي ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون
وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك فلو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن ادم من تراب
فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه وسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك
الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السما فقالت الملايكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت
روحه قال امرت بقبض نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت
ولدها لصغره ولكونه في فلاة لا متعهد له فقالت الملايكة الجبار الذي قبضت روحه الان هو ذلك المولود
الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشا وقال عطا بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى
ملك الموت صحيفة فقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج
ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح
كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه واذا قبض روحه
اقبل اهله برنة وبكا فاخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت
له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون
مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار من الجبابرة
من بني اسرايل جالسا في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب داره فثار اليه فزعا
مغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع
مني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان
مريد قال فسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستجديا متذللا له
خاضعا

فقال له انت اذن ملك الموت فقال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت
مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي
قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى
ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباكي قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان
العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال
فما ذا تريد قال اريد ان تخلصني منه بامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال
سليمان لملك الموت بعد ان اتاه رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه
اني كنت امرت ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين اعلم

ان في رسول الله اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين
اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه
فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة
الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها
عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع
ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت
في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره
فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا او هل راقب الملك فيه اهلا وعشيرة او هل سامحه اذ كان
للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا
فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو
صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات
وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين
ولعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على

متن النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللفوز منها متوهمون لا بل
ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان
منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولينظر كل عبد الى
نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين
فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان
سيد المرسلين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانتقال
الى جنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله في بيت عائشة حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت
عيناه ثم قال مرحبا بكم حياكم الله واواكم الله ونصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني
لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وفي بلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة
المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤوا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة
الله وروي انه عليه السلام قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان
بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا
وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت عائشة امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج وصلى بالناس واستغفر
لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم واصبحت الانصار لا يزيد
على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا
عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر وظن انه
يريد نفسه فقال النبي عليه السلام على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب
ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحابة من ابي بكر قالت عائشة فقبض النبي عليه السلام في
بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله تعالى بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي عبد
الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت اخذه لك فاوما براسه اي نعم
فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاوما براسه اي نعم فلينته وكان بين
يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده يقول الرفيق

الاعلى والرفيق الاعلى فقلنا اذن والله لا يختارنا ٭ وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال
لما راى ان رسول الله يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس على النبي فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل
الفضل فاعلمه مثل ذلك ثم دخل علي بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت
وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى رسول الله فثار رسول الله فخرج متوكيا على علي والفضل والعباس
امامه ورسول الله معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب اليه الناس
فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون
من موت نبيكم الم انع لكم ونعيت اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون بي
واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى قال والعصر ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجري باذن الله
فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع
الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم
الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم الديار
الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا من ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز
عن مسيئهم الا فلا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض
مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر اشد بياضا من اللبن والين من الزبد
واحلى من الشهد ومن شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا حصباؤه اللولو وبطحاؤه من مسك
من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا من احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي
فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم
وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل
القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون ٭ وروى عن ابن مسعود ان النبي عليه السلام قال لابي بكر سل يا ابا بكر فقال
يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى قال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت
شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والعرش الاعلى والكاس الاوفى والرفيق

الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك فقال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى
قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمنيه وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال
مهلا غفر الله لكم وجزاكم الله عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير
قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم اسرافيل ثم ملك
الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا
تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء
ثم زمر الصبيان قال ومن يدخل القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم
قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن ربيعة جاء بلال اول ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول
الله مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل
بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله تعالى
ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف
رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر
بعد الصلاة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن ربيعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني
ظننت ان رسول الله امرك ما فعلت فيقول عبد الله لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة وما قلت
ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت
ايضا ان لا يكون يحبون رجلا صلى في مقام النبي وهو حي ابدا الا ان يشا الله يحسدونه ويبغون عليه من امر
الدنيا والدين قالت عائشة فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله راوا منه خفة في اول النهار فتفرق
عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل
حالنا في الرجا والفرح قبل ذلك قال رسول الله اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت
غيري وراسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل فقال رسول الله اجل يا عائشة
هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذنك فان لم تاذن لي ارجع
وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل
فهذه ساعة جبريل قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا

الذي ... علمنا ... باب ... للسلام ... راسه في حجري

بصاحبه ما يخبر اليه شيا وما يكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت
فلما وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل وقال ان الله عز وجل يقرا عليك
السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك
وشرفك على الخلق وان تكون سنة فقال اجدني وجعا فقال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك
فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك جل جلاله اليك مشتاق
الم اعلمك بالذي اراد بك والله ما استاذن ملك على احد قط ولا استاذن عليه ابدا الا ان ربك جل جلاله
متم شرفك وهو اليك مشتاق فلا تبرح اذن حتى يجي واذن للنسا فقال ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها
وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني اني ذاهب
فابكاني ثم اخبرني اني دعوت الله تعالى ان يلحقك بي اول اهلي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت ابنيها
منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال له الملك ما تامرنا يا محمد قال الحقني بربي
الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك جل جلاله اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني
عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل فقال عليك السلام
يا رسول الله هذا اخر ما انزل الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك
وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير
الله في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى
النبي صلعم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا
ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شي قط اطيب منه فكنت اقول
له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان روح المؤمن تخرج
بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان
اول رجل جانا ولم يشهده اخي بعثته الى ابي فمات رسول الله قبل ان يجيئني احد وانما صدهم الله تعالى
عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا
اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها حتى مات

عبد الرحمن

حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة وقالت عائشة مات رسول الله بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار
يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم
لما اصيب علي بالكوفة مثلها ما لقيت في يوم الاثنين مات فيه رسول الله وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت
من يوم الاثنين وقالت عائشة لما مات رسول الله اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله
الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا
الكلام بغير بيان وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد معهم اخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي
فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال رسول الله لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن
ايدي وارجل من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله الموت انما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى عليه السلام
وهو اتيكم وفي رواية قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله فانه لم يمت فوالله لا اسمع احدا يذكر
ان رسول الله قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم
احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز
وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لا يرعوون الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال والذي
لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون
ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين والله
توفي رسول الله ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا ذلك اليوم وفي رواية ان
ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله وهو يصلي على النبي وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة
وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل
يبكي ويقول بابي وامي طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا وهو النبوة
فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سوا ولولا ان
موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكا لانفدنا عليك ماء الشؤون

زیادی بر تو ننهادم که ترا طاقت آن نبود

فاما ما لا نستطيع نعيه فكمد واذكار يتحالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك
عند ربك عز وجل ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم فابلغ نبيك عنا
واحفظه فينا وعن ابن عمر لما دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر
شيا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذايقه
الموت الآيه ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافه فالله فارجوا وبه فثقوا
فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكا فلما انقطع البكا فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا
فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله تعالى واحمدوا على كل حال تكونوا من المخلصين
ان في الله عزاء من كل مصيبه وعوضا من كل رغيبه فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا
الخضر واليسع حضرا النبي عليه السلام واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال قام
ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبي محمد فحمد الله على كل حال
واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيايه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع
وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك
ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك افضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم فاجعل
صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد
قايد الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا
يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة
وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره
فلا تدعوه جزعا وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم
كتابه وسنة نبيه فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه

ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك
تقول ما مات نبي الله اما ترى ان النبي عليه السلام قال يوم كذا وكذا كذا ويوم كذا وكذا كذا وقال الله تعالى
في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان
الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على
رسوله وعند الله نحتسب رسول الله ثم جلس الى ابي بكر رضي الله عنه وقالت عايشه لما اجتمعوا لغسله
قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله نجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه فارسل
عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نايما ثم قال قايل لا ندري من هو اغسلوا اغسلوا
رسول الله في قميصه فانتبهوا ففعلوا ذلك نغسل عليه السلام في قميصه حتى اذا فرغ كفن وقال علي
رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما
نغسل موتانا مستلقيا ما نشا ان نقلب لنا عضو منه لما نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا
لحفيفا كالريح الرخا ويصوت بنا ارفقوا برسول الله فانكم ستكفون فهذا كانت وفاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وثيابه
ثيابه عليها التي يلبسها يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته
مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما احتضر ابو بكر جات عايشه فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى
الجديد احوج من الميت وقالت عايشه عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال ابو بكر ذاك رسول الله ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي
وقال اني فعال لما اريد ودخل سلمان الفارسي يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح
عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا
تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس منه ان يستخلف
فاستخلف فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك جل جلاله تعالى اقول استخلفت

على خليقتك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجا فقال انى اوصيك بوصية اعلم ان لله تعالى حقا بالنهار لا يقبله
بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين
من ثقلت يوم القيمة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل
وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سياتهم فيقول القائل
انا دون هولا ولا ابلغ مبلغ هولا وان الله ذكر اهل النار باسوا اعمالهم ورد عليهم صالح الذى
عملوا فيقول القائل انا افضل من هولا وان الله ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المومن راغبا
راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكه ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتى هذه فلا يكون غايب
احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتى فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه
وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا
فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هولا الكلمات ثم مات جعل الله تعالى روحه فى الافق المبين
قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم
مايه رحمة من قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير
حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير
اللهم انك جعلت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم وجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا
فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلنى
ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشا حتى تشا فاجعل مشيتى ان اشا ما يقربنى اليك اللهم
انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شى الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك جعلت الخير
والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك جعلت الجنه والنار
وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت
به صدورهم فاشرح صدرى للاسلام وزينه فى قلبى واحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى
اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاوه غيرك فانك ثقتى ورجاى ولا حول ولا قوة
الا بالله قال ابو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت فى غداة اصيب عمر ما بينى وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين
الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم يرى فيهم خللا تقدم فكبر وقال وربما قرا سوره
يوسف او النحل او نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلنى
او اكلنى الكلب حين طعنه ابو لولوه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا
الا طعنه حتى طعن ثلاثه عشر رجلا فمات منهم سبعة وفى روايه ستة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح
عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من
كان يلى عمر فقد راى ما رايت واما نواحى المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر
وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفه فلما انصرفوا قال يا ابن عباس
انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جا فقال غلام المغيره بن شعبه قال قاتله الله لقد كنت امرت
به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر
العلوج بالمدينه وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شيت فعلت اى ان شيت قتلتهم
قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان
الناس لم تصبهم مصيبه قبل يومئذ قال فقايل يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتى بنبيذ
فشرب منه فخرج من جوفه ثم اوتى بلبن فشرب فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه
وجا الناس يثنون عليه وجا رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله عز وجل قد كان
لك صحبة من رسول الله وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال
وددت ان ذلك كان كفافا لا على ولا لى فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا
على الغلام فقال يا ابن اخى ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما
على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال ال عمر فاده
من اموالهم والا فسل فى بنى عدى بن كعب فان لم تف اموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد
عنى هذا المال انطلق الى ام المومنين عايشه فقل لها عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المومنين
فانى لست اليوم للمومنين اميرا فقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله
بن عمر فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلام

ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل
أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين
المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر بن الخطاب
فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء تسير معها
فلما رايناها قمنا فدخلت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من
داخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين واستخلف قال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول
الله وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمن والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد
الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذلك والا فليستعن به
ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف
لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان
يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة
المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب
ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد في فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله
ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا فسلم
عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه
الحديث وعن النبي عليه السلام قال قال لي جبريل عليه السلام ليبكي الاسلام على موت عمر وعن ابن
عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم قال
فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا
احب الي ان القى الله تعالى بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا
اسمع النبي عليه السلام يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو
او لاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمن رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال
عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمن لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول
الله الليلة في هذه الخوخة لخوخة في البيت فقال يا عثمن حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا

فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت
عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم وقال عبد الله بن سلام لمن
حضر يتشحط عثمن في الموت حين جرح ماذا قال عثمن وهو يتشحط قال سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد
ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن
القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البا كم علي قال
فجيء بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان
رسول الله قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه
مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر
قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله من يشتري
بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي
فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله كان على ثبير مكة
ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير
فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي
عن شيخ من ضبة ان عثمن رضي الله عنه حين ضرب والدما تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها
علي اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يوذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك فقام
علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنته فجعلت تقول ما لي ولصلوة
الغداة قتل زوجي امير المؤمنين صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا لما ضربه
ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضربه ابن ملجم اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله
الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين فقال يا اخي لاي شيء تجزع تقدم على رسول
الله وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما اماك وعلى

حتى وجهه وما عاك قال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسين قال لما نزل القوم بالحسين
ابن علي وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال قد نزل بنا من الامر ما ترون وان الدنيا
قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واشمعرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا
ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين
الا حزنا

تنكرت

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفا والامرا والصالحين

لما حضر معاوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى فقال تذكر ربك يا
معاوية بعد الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب غض ريان ثم بكى حتى علا بكاوه وقال يا رب
ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق
باحد سواك وروى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة على معاوية في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورانا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا
بعيشنا فما لبثتنا الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا
قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف للدنيا من دار وروى ان اخر خطبة
خطبها معاوية ان قال يا ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي
الا وهو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله
بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله وقراضة
من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني
ويا يزيد احفظ وصية الله تعالى في الوالدين فاذا ادرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا
معاوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي
طوى واني لم ال من هذا الامر شيا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق
يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا اكل من كسب يدي يوما بيوم
ولم ال من امر الناس شيا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون
ما نحن فيه واذا حضرنا لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين
قال كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم والـ

قالت فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم
اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت اخر بيني
وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح
فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضرته الوفاة اعهد يا امير المومنين قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه
لا بد لكم منه وروى انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا
امن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل احسست لك
يا امير المومنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب نفسك
قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفاي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم
خر لعمر في لقايك فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المومنين ابشر
فقد احيى الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسال عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت
فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله تعالى الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت
عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت
ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني ارى
حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان
ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول
يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما
فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على فراشه عند موته فقيل له لا باس عليك يا امير المومنين
فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر الى صناديق له فيها
من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر
لي وكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم
قال عسى

بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من اهل التصوف لما حضر معاذا الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك فانا اليوم ارجوك اللهم انك

نعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة
الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان
كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ولما حضر سلمان
الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله ان يكون بلغة احدنا
من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فبلغ بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة
قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك
عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك
قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله
ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني اخاف ان اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر
عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما
يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضر فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال
وابعد سفري وقلة زادي ولما حضر ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى
نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت
فاني سالت الله عز وجل ان يحييني حياة الاغنياء ويميتني موت الفقراء ثم قال لقني ولا تعد علي ما لم
اتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند موته فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد
وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله تعالى قوله انما يتقبل الله من المتقين
ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره
لجدير ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم
النيروز وهو يقرا القران فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم قال ومن اولى بذلك مني وهو ذا
تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر   وتذكارهم وقت المناجاة للسر
اديرت كؤوس للمنايا عليهم   فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر   به اهل ود الله كالانجم الزهر

فاجسامهم في الارض قتلى بحبه   وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم   ولا عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا
وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله
قال الى متى تقولون فانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال
السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن للانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان
ثمة عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله تعالى ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات
وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة
فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري
قالت لما قرب اجل ابي علي وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه
الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا
يقول   وحقك لا نظرت الى سواكا   بعين مودة حتى اراكا   اراك معذبي بفتور لحظ   وبالخد المورد من جناكا
وقيل للجنيد قل لا اله الا الله قال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي
ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم
قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته
ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في اخر عمره ادب من اداب الشريعة وقيل
لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله تعالى شديد وقيل
لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهما الى غيره ولما احتضر
ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون
احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا
قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك قالت عليك ابكي
فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على
سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول

كيف اشكو الى طبيبي ما بي والذي قد اصابني من طبيبي فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف تجد
ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول القلب يحترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق يا رب ان يك شي فيه لي فرج فامنن علي به
وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول
ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج وجهك المامول حجتنا يوم ياتي الناس بالحجج لا اتاح الله لي فرجا
يوم ادعوك بالفرج وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجاب
بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته
الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي ما اخبرتكم وقفت على باب قلبي اربعين سنة وكلما مر فيه غير الله
حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الحكم حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه
سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فافاق وقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك
الموت يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده
قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع
والله ما اعلم اني صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته
انه لا يعلم انه صدق الله في شي من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة
وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تفعل ما تريد فارفق بي ودخل بعض الصالحين على ممشاد الدينوري
في وقت وفاته فقال افعل الله تعالى وصنع من باب الدعا فضحك وقال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة
بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضر النوري
الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس اليه ثم امر ودخل المزني على الشافعي في مرضه
الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان
مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا ادري اروحي تصير
الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بابليس عابد وكيف وقد اغوى صفيك آدما

ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسالة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة
هو ذا يفتح الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما
اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجا وعلى بعضهم الحب والشوق
فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس

في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه
لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنائز غيرهم ينظرون
ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون
ان المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر
عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله في غد او بعد
غد ويروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا راى
جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وقال
اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشي سوى ما هو مفعول به وما هو صاير اليه ولما مات اخو
مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله ما تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما
دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فلقد كان خوفهم من الموت والان لا
ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا والاكثر منهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته
ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي يتناول لهم بها بعض ما خلفه ولا يتفكر احد منهم الا ما شا
الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلب بكثرة المعاصي
والذنوب حتى نسينا الله واليوم الاخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا
يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة عن هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز البكا وهم
على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت
فقال لو ترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد راى
ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملي على
كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات كروعة ثلة لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات

ومن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه في الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين فحملاه الى المصلى فما صلى عليه احد فحملاه الى الصحرا لدفنه وكان على جبل قريب من موضع زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد وتعجب الناس من صلاته عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليها فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح في الجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان لا يخلو بيته من يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم عند القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة

وقال

وقال رسول الله عليه السلام ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك فقال هذا قبر امي امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل فصلى ركعتين فقيل له هذا شي لم يكن يصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي وقال ابو ذر رضي الله عنه الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدردا رضي الله عنه يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي فان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة اتفكر في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقا الثوب قال ثم شهق شهقة وخر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك

ربك إلى دار السلام فانظر من تجيبه إن أجبت من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته
من القبر منعتها. وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر قال ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في باطنك وكان
عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فيا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه
ثم يقول غدا عطاء في القبر فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح. وقال سعيد من أكثر ذكر القبر وجده روضة من
رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار. وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان
إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت
يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل. وقال أحمد بن حرب يتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه
ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم ألا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء. وقال ميمون بن مهران
خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي
بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم
البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد
أمن من عذاب الله. وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل
يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها. ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة
زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت: وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل إنها ضربت فسطاطا على قبره واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة
فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا. وقال
أبو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة فيهم الحسن فقال له الحسن
يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام
الفرزدق على قبرها فقال: أخاف وراء القبر إن لم تعافني أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من أولاد دارم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا
وقيل في أهل القبور: قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها أما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها أما المطيع فنازل في روضة تفضي إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم

والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة يأوي إلى حياتها وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها
ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول: عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعوم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا. يا ابتاه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق
داود مكانه وخر مغشيا عليه. وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:
أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر. قال
فنوديت من بينهم أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول: تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر
قال فرجعت وأنا باك. أبيات مكتوبة على القبور: وجد مكتوب على قبر:
تناجيك أجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
ومكتوب على قبر آخر: أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم. وقال ابن السماك رحمه الله مررت بالمقابر فإذا قبر مكتوب فيه هذه الأبيات:
يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله أسرع ما نسوني. ووجد على قبر مكتوب:
إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وأنت دهرك في اللذات منغمس لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الأجداث مندرس
ووجد على قبر آخر: وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني. ووجد على قبر آخر:
[illegible] إلى رمسه فأين ما لو صف من طبه وحذقه في الكلام حسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه. ووجد على قبر آخر:
يا أيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى مثله سينتقل. فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها
عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم.

ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو
مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا وما فيها بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف لهم حقايق
الامور والعطية وانما حسرتهم في يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد
الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من الحياة وانت
قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج
الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى
النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر ان اقولها يعني الحمد لله احب الي من الدنيا
وما فيها

بيان اقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه
في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تلهفه لانه
لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم او تاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق
المتاخر اذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في حق الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب
قال رسول الله عليه السلام لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل
الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم
توفي ابن لداود فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له ان
لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم
الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة عند رسول الله او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء
لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاجابة وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني
غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم وقف اعرابي على قبر ابنه وقال
اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن
ذر قام ابو عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت
شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه
ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت
له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا
الى

الى انسان من حاجة فقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال
ما رايت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد
قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر للاصغر اتريد ان
اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام
فلجا الى الجبل فرهقه ذئب فاكله فخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر فامثال هذه
المصايب ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منه
وما يدفعه الله تعالى في كل حال فهو الاكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين لاجل التبرك مع الاعتبار
وقد كان رسول الله نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الاخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول
الله قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار
كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت
قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك
بهذا فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الجزع على راس القبور فلا تفي خير زيارتهن بشرها
ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس
بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس
القبر وقال ابو ذر قال رسول الله زر القبور تذكر بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو
موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله عز وجل وقال ابن ابي مليكة
قال رسول الله زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيها عبرة وعن نافع ان ابن عمر
كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي عليه السلام
كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي عليه السلام من زار قبر ابويه او احدهما
في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت
والداه وهو عاق بهما فيدعو الله تعالى لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى من البارين وقال عليه السلام من

زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا
وشهيدا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر
باجنحتهم ويصلون على النبي عليه السلام حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الفا فصنعوا مثل ذلك حتى اذا
انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة
مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى وقال
نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبور ويقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام
على ابي وينصرف وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي فوقف ورفع يديه حتى ظننت انه
افتتح الصلوة فسلم على النبي ثم انصرف وقالت عايشة قال رسول الله ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس
عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمن بن سحيم رايت رسول الله في النوم فقلت يا رسول
الله هولا الذين ياتونك ويسلمون عليك افتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر
الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام
وقال رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى
قلت واين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبحتها
الى ابي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم فقلت اجسامكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام
وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة
كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته
وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم
يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت
بزيارته قيل له ولم ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون
كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلوة على الجنايز فاذا امسى وقف على المقابر وقال آنس
الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سياتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال
الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نايم
فاذا انا بخلق كثير قد جاوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما حاجتكم
قالوا

فقالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت
تدعو لنا قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية
في منامي وكنت كثير الدعا لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة
بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعا المومنين الاحيا اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل
ذلك الدعا على اطباق النور وخمر ذلك بمناديل الحرير ثم اتى به الميت فقيل هذه هدية فلان
اليك وقال عليه السلام ما الميت الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق
له فاذا لحقته كان احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحيا للاموات الدعا والاستغفار
وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فقال اتاني آت بشهاب
من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن
والدعا له قال سعيد بن عبد الله الازدي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد
اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله قال اذا مات احدكم وسويتم عليه التراب فليقم احدكم
على راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة الثانية فانه
يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فيقول له
اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد عليه السلام نبيا وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما
فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول
الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حوا ولا باس بقراة القران على القبر روي عن علي بن موسى
الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جا رجل
ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال
محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي فقال ثقة فقال هل كتبت
عنه شيا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلا بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى
اذا دفن ان يقرا عند راسه اول سورة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له
احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم

المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد ثم اجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه
يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل
ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم
تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها
ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فانه يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال فالمقصود
من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه
وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف
يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد
قيس متعبدة وكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور
فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم
البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة
والى تلك الاجساد المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم
ما انكل مرارتها للانفس واشد بلاها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن
عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان
لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان
عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من
الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان ويستحب ايضا الثناء على
الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة قال النبي عليه السلام اذا مات صاحبكم فدعوه ولا
تقعوا فيه وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات
فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة
تأثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ومروا باخرى فاثنوا
عليها خيرا فقال عليه السلام وجبت فسال عمر بن الخطاب عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت

فانهم قد افضوا الى ما قدموا صح

له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في ارضه وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام
ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله تعالى منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم اني
قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه
لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات
وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بالعقاب
ولا يتنعم بالثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا
تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر
اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وينطق به الايات
والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما
منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء الات
للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب
ها هنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير الة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الغم
والحزن والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف
للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد
الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم
البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل الزمن بفساد
مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة
باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها فالموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها
وكل الاعضاء الات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام
والغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها
قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لا يموت

الا معدوم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى
الزمانة خروج اليد عن ان يكون آلة مستعملة فالموت زمانة في الاعضا كلها مطلقا وحقيقة الانسان
نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده
ورجله وجميع اعضايه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه
وغلمانه ودوره وعقاره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشيا من الانسان وبين ان
يسلب الانسان من هذه الاشيا فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة
بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى
عالم اخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم
تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه
وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به فان لم يكن يفرح الا بذكر الله تعالى ولم يانس الا
به عظم نعمته وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب
الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثانية
ان ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا في الحياة كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسياته وقد كان ذلك
مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا واذا انقطعت الشواغل
انكشفت له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يوثر ان يخوض غمرة النار للخلاص
من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع
النفس وقبل الدفن ويشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمين اليه من هذه الدنيا الفانية
دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته
بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يكن ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة
وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع
من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر
من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمين اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من

الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما
يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته
ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت
الى من يشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة
والحيا والتحسر والندم فهذا حال الفاجر الميت المغتر بالدنيا المطمين اليها قبل نزول عذاب القبر
به بل عند موته نعوذ بالله تعالى منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد
من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصاير بمشاهدة باطنة
اقوى من مشاهدة العين ويشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطا عن حقيقة الموت
اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها
ولم يوذن لرسول الله ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علما الدين
ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان
الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في
الشهدا اذ قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم ولما قتل
صناديد قريش والعرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان
قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم
اموات فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على
الجواب فهذا نص في بقا روح الشقي وبقا ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهدا ولا يخلو
الميت عن سعادة او شقاوة وقال عليه السلام القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض
الجنان فهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وانما يكون من شقاوة الميت وسعادته
يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس
بن مالك عن النبي عليه السلام انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال عليه السلام
اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية فان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان
من اهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة

المقعد من عذاب ونعيم في الحال وعن انس قال كنا مع علقمة في جنازة قال اما هذا فقد قامت
قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم امن اهل الجنة هي ام من اهل النار
وقال ابو هريرة قال رسول الله من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه
من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا في اللحد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب
الله تعالى وقال يعلى بن الوليد كنت امشي مع ابي الدردا فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان
لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن من السجن وانما
احب قلة المال والولد لانهما فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل
ما سوى الله تعالى وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما
مثل المؤمن حين يخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها
وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله تعالى وكانت
شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه وكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات
وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم
واللذات واكمل اللذات للشهدا الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم
عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقا الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها
طوعا بالاخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما
اعظم فرحه بما اشتراه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق
في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت
على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريد قال الله تعالى ولهم فيها
ما يشاؤن فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده
كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا
النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور
اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهدا تدل عليه وكل حديث يشتمل
على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة انها قالت قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله تعالى
احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك
اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال انه قد سلف مني انك اليها
لا تعود وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي اني لم اقتل في الله
الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت
من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليها كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت
مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور
والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال
لرجل مات اصبح هذا مرتحلا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر
احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة الدنيا الى
ظلمة الرحم وقال عليه السلام ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطن امه
بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى بطن امه وكذلك المؤمن يجزع من الموت
فاذا افضى الى ربه عز وجل لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه
وقيل لرسول الله ان فلانا قد مات فقال مستريح ومستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن
وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مررنا مع
وعن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس
يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار
قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر
اليهم وعن مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن
بشير سمعت النبي عليه السلام يقول على المنبر الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في
جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال
النبي عليه السلام لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور
ولذلك قال ابو الدردا اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة

وكان قد مات ويوجد له وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي قال
في جوف طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه وقال صالح المري بلغني أن الأرواح
تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب
أو خبيث وقال عبيد بن عمير أهل القبور يتوكفون الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان
فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا
وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد إن الرجل ليبشر
بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي عليه السلام أنه قال إن نفس المؤمن إذا قبضت
تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح
فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا
سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا إنا لله ذهب به إلى أمه الهاوية

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال التي هي أفصح من تفهيم الموتى من لسان المقال
في تفهيم الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم
ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ويحك ما غرك بي إذ
كنت تمر بي فذاذا فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا ويصعد روحه إلى الله
تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى كذا قاله تفسير الراوي وقال عبيد بن عمير
الليثي ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد
فإن كنت في حياتك مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا
الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن
الرجل إذا وضع في قبره فعذب وأصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في
الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا إياك فكرة أما رأيت
انقطاع أعمالنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات من إخوانك وتناديه بقاع الأرض

الكلام

أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به
أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تتهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي
بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله تعالى فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته
انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتو
شته

أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه
فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد طال ما قام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول
الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ما أظمأه في الدنيا فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه
فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله تعالى لا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه
فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين قد وقعت في يد الله
تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة
فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة
فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله تعالى من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره فيقول
ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من
عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل الآخرة بعث الله إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس
معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك
في السماء وفتحت له أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل
أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ماذا أعددت له من الكرامة فإني وعدته منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد قال فينتهرانه انتهارا
شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن صدقت وهي معنى قوله تعالى

السماء

والثياب

يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا الاية ثم ياتيه ات حسن الوجه طيب الريح فيقول
ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك
الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ثم ينادي
مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فراش من الجنة ويفتح له باب
الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فاذا كان في قبل الاخرة
وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه
فاذا خرجت نفسه لعنه كل ما بين السما والارض وكل ملك في السما وغلقت ابواب السما فليس منها
باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله
سما ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما ذا اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقول لا دريت ولا تليت ثم ياتيه ات قبيح الوجه منتن الريح
قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط الله وبعذاب اليم فيقول وبشرك الله بشر من انت فيقول
انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله تعالى
شرا ثم تقيض له اعمى اصم ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا
لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه
ضربة يسمعها من على الارض الا الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا
له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت
الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال ابو هريرة ان المومن اذا احضرته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه
كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية عنك الى روح الله
وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث
الى عليين وان الكافر اذا احضرته الملائكة بمسح فيه جمرة فينزع روحه انتزاعا ويقال ايتها النفس
الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله تعالى وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت

على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا
قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال اي شي تريد في اي
شي ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار فقال لعلي اعمل
صالحا فيما تركت قال يقول الجبار جل جلاله كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولها عند الموت وقال ابو هريرة
قال النبي عليه السلام المومن في قبره في روضة خضرا ويرحب له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ويضي
حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم
قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون
حية لكل حية سبعة اروس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم القيمة ولا ينبغي
ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بعدد اعداد الاخلاق
المذمومة من الكبر والريا والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا معدودة ثم
يتشعب منها فروع معدودة وتنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها
تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ العقارب وما
بينهما يوذي ايذا الحية وارباب القلوب والبصاير يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب
فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار
خفية ولكنها عند ارباب البصاير واضحة فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل
اقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة
ونراقبه فلا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات
في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي
تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق
بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه
ويومنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي
اهم عليك وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت
وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليس من جنس

كما في عالم الملك من جنس اخر ويدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان يتذكر امر النائم وانه قد يرى في
نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج عن مكانه كل ذلك
يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه
حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ
فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث ان تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها
وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من
غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي
يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها
الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة
السبب والسبب يراد لثمرته وهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند
الموت فتكون كالام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق
موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مولما حتى نزل بالقلب
من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد عذاب الميت
فانه قد سلط عليه العشق في الدنيا على نفسه وعلى ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه
ولو اخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعها منه فما ذا ترى يكون حاله اليس يعظم شقاوته ويشتد
عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط وكنت لا اتأذى بفراقه فالموت عبارة
عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد
فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فيوخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره
على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله تعالى والتنعم
به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابد الاباد وذل الرد
والحجاب عن الله تعالى وذلك هو الذي يعذب به اذ لا يشتعل نار البراكين الا نار جحيم كما قال الله
تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا
الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاسات الشهوات فيها وقدم

على محبوبه وانقطعت عنه العوايق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الاباد
ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يوخذ منه وبين ان
تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه الفرس
هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه وبعيره
وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره
واعضاءه وييأس عن رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه
من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه وكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى
الذي هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب يشغل
بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا يتسلى بعد الموت
اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذن كل مخلف له وهو ميل قد احبه كان يشق عليه
لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان يكفيه من الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون
وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه درهم واحد احسن من حال من يسرق منه عشرة دنانير
وكذلك حال صاحب الدرهم احسن من حال صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو
حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست بمستكثر الا
الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثرت الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين
استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات اهل الايمان في حيات القبر
وعقاربه وفي ساير انواع عذابه رأى ابو سعيد الخراز ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني
عظني قال لا تعامل الله على الجبن قال يا بني زدني قال يا ابة لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك
وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان
من الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من اثبت الا
الثالث واما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر
بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال
الله ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة والتصديق

بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ
بالله من عذابه قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا
والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب
كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه
ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او موسى واهمل طريق
الحيلة في اصل دفع العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب
عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون له استعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول
وتضييع زمان

بيان سؤال منكر ونكير

وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال
ابو هريرة قال النبي عليه السلام اذا مات العبد اتاه ملكان فظان غليظان اسودان ازرقان يقال
لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي عليه السلام فان كان مؤمنا قال هو عبد الله
ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك
ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى
اهلي فاخبرهم فيقال نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى
من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان
انا كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال
معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله لعمر بن الخطاب
كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك
فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا
انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف
يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر
ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال اذن اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير
البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالالام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس
العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل لا ينقسم في نفسه وهو المدرك

للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل
بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرا عليه العدم قال محمد بن المنكدر
بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط راسها مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم
القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله
الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه
وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطنا للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان
جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر ناحية من اللحد فيقول اما اني لو رايت
خللا لكنت انا صاحبه وقال سفيان يتحاجش عنه اعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن اخيه واهله
وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك
وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن
في هذا ضغطة ترد منها حمائله وقالت عائشة قال رسول الله ان للقبر ضغطة ولو سلم او نجا منها
احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس توفيت زينب بنت رسول الله وكانت امراة مسقامة فتبعها
رسول الله فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا
يا رسول الله راينا منك شيئا فمم ذاك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت
ان قد خفف الله عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

(في الهامش: وحاجشت فلانا عن الرجل دافعت عنه)

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب
الله تعالى وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء
واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا يكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على
ما ذا مات وكيف يختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب
التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك
والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين
في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنياوية فصار لا يبصر
بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة

بها ولا يستطيعون ان يبصروا بها شيئا

منقشعة عن اعين الانبيا عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك راى رسول الله ضغطة القبر حتى سعد بن معاذ وفي زينب ابنته

وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبيا والاوليا الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني به المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برويا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق روياه قال عليه السلام اصدقكم رويا اصدقكم حديثا ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف لرسول الله دخول مكة في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرويا ومعرفة الغيب في النوم من عجايب صنع الله وبدايع فطرة الادمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول في حقيقة الرويا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هاهنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مراة يترايا فيها الصور وحقايق الامور وان كل ما قدره الله من ابتدا خلق العالم مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القران فجميع ما جرى في العالم او ما سيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القران وحروفه في دماغ حافظ القران وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حيث يقراه ينظر اليه ولو

مسطور

فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمراة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المراة مراة اخرى لكانت صورة تلك المراة تترايا في هذه الا ان يكون بينهما حجاب والقلب مراة يقبل رسوم العلم واللوح مراة رسوم العلوم كلها وصورة الكاينات كلها موجودة فيها واشتغال الانسان بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلالا في مراة القلب شي من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظا فهو مشغول بما يورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب شيا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شي مما في اللوح كما يقع الصورة من مراة في مراة اخرى اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع ساير الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وتحريكه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد هو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النسا فقال انت موذن توذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المنع ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرويا الذي لا تنحصر عجايبه فكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت عجب من العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اثر في كشف الغطا عن عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال والمخازي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما محفوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا اخر له وعند هذا يقال للاشقيا وقد انكشف الغطا لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون

الصورة

جعله

الامة والبهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف
لهم عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم
[هامش: واحكم الحكماء ينكشف]
الا الفكر في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عند كشف الغطاء من شقاوة
لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين
ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا وذوينا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا
مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقيل له ما قال لسيد
النبيين احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ خليلا ولا حبيبا نعم قال لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن
في حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله فانما احبه من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى الله
واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة
فقد سلكت سبيله الذي سلك وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته
وبقدر ما عدلت عن الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم
فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكر الغرور وانصفت نفسك يا رجل
وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن
الا للعاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا من امته ومن اتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين
كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده وقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده
ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وليس ذلك الا المنامات **بيان منامات** تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة
من ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي

بي رسول الله صلعم

وقال عمر بن الخطاب رايت رسول الله في المنام فقلت ما شاني فالتفت الي فقال الست
المقبل وانت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ودا
لعمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند قرب الحول يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا
اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي ان رسول
الله سنح لي ليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم
ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ
رايت رسول الله فقلت يا رسول الله استغفر لي فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة روى عن
[هامش: فاعرض عني]
محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي وقال غفر الله لك وروى
عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب ومصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر
حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا
فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل
الليالي والايام قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني امية فبشرتني
بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب
في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا
يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي عليه السلام فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى
مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات
[هامش: المنازل]
الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه
فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان
معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني
فقال قم فقد بيض الله تعالى وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت
فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله وابا بكر وعمر جالسين عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس
اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي

وهو يقول قتلني ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة
واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان قبل قتله فانكر اصحابه
فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني
الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله عز وجل فجا الخبر بعد اربع وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي
راه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله
تعالى بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة **بيان منامات المشايخ رحمهم الله** قال بعض
المشايخ رايت متمما الدورقي في المنام فقلت متمم يا سيدي ما فعل الله بك فقال ادنى مني الجنان فقيل يا
متمم هل استحسنت منها شيا فقلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي
ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل
وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه
فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي
فقلت ما كان ذلك قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر
الصيدلاني رايت رسول الله في النوم وحوله جماعة من الفقرا اذ انشقت السما ونزل ملكان احدهما بيده
طست وبيد الاخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله فغسل يديه ثم امرهم فغسلوا ثم وضع الطست
بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك
قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب هولا الفقرا فقال عليه السلام صب على
يديه فانه منهم وقال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب
به المتقربون الى الله عز وجل ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله
عز وجل ورؤي مجمع في النوم فقيل كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا
والاخرة وقال رجل من الشام للعلا بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه
ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا ليفتنني عني وقال محمد بن واسع الرويا تسر
المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطا السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل
الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دايما فقلت في اي الدرجات
انت

انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وسئل زرارة بن اوفي في المنام اي الاعمال افضل
عندكم قال رضي الله عنه الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو
دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل فقال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلما ثم درجة المحزونين
وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل
الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رايت في
المنام امراة لا تشبه نسا الدنيا فقلت من انت فقالت حورا قلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي
وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن افاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في
المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي
انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري رؤي في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى
النائم جارية ما رايت احسن منها وكان يتلالا وجهها فقلت بماذا ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة
بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت
الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك قال طاحت الاشارات وذهبت العبارات وما حصلنا الا على
ركعتين كنا نصليهما في الليل ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات
الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي
لا اله الا الله القى بها ربي ورؤي ابو سليمان في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان
شي اضر علي من اشارات القوم الي ورؤي بشر رحمه الله في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني
ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف وقال ابو بكر الكتاني رايت في المنام
شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا
امراة سودا كاوحش ما يكون فقلت من انت قال انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب
فرح مرح قال فانتبهت وعقدت الا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان
ابليس لعنه الله وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف
من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس في النوم عريانا يمشي فقلت

الا نستحي من الناس قال بالله هولا ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب
الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو
سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي عليه السلام جاني متكيا على ابي بكر وعمر فجاء فوقف علي
وانا اقول شيا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينه قال رايت سفين
الثوري في المنام كانه في الجنه يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصي
قال اقلل من معرفه الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصه بن عقبه قال رايت سفين الثوري في
المنام فقلت ما فعل الله بك قال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اقبل الدجى بعبره مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد
وروى الشبلي بعد موته بثلاثه ايام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني
برحمته وروى مجنون بني عامر بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على
المحبين وروى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل ما حال عبد الله بن المبارك
فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فسيل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا
فاعتقوا وروى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمن بن عفان
عند رويه الجنازه سبحان الحي الذي لا يموت وروي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب
السما مفتحه وكان مناديا ينادي الا ان الحسن قدم على الله وهو عنه راضي وروى الجاحظ فقيل له
ما فعل الله بك فقال ولا تكتب بخطك غير شي يسرك في القيمة ان تراه وراى الجنيد ابليس في المنام
عريانا فقال الا تستحي من الناس فقال وهولا ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزيه قد اضنوا
جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم
على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث وروى النصراباذي بمكه بعد موته
في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال
انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد الصمد جل جلاله وراى عتبه
الغلام حورا في المنام على صورة حسنه فقالت يا عتبه انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيا يحال
بيني وبينك فقال عتبه طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى القاك وقد راى ابو ايوب السختياني جنازة

ابو السختياني

جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام فقيل له ما فعل بك قال
غفر لي قل لايوب قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت
الليلة التي مات فيها داود الطاي رحمه الله نورا وملايكه نزولا وملايكه صعودا فقلت اي ليله هذه فقال
ليله مات فيها داود الطاي وقد زخرفت الجنه لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رايت سهلا الصعلوكي
فقلت ايها الشيخ فقال دع التشيخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك
قال غفر لي بمسايل كان يسال عنها العجز وقال ابو بكر الرشدي رايت محمد الطوسي في المنام فقال لي قل لابي
سعيد الصفار المودن وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا فانتبهت
فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في
النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى فقلت ما صنع الله بك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب فقلت
فسفين الثوري قال بخ بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم بخ بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
الاية وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله تعالى
بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللولو الرطب وراى رجل من اصحاب الحسن البصري ليله مات الحسن
كان مناديا ينادي ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري
الحسن على اهل زمانه وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه
فقلت من هذا قالوا اويس القرني فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني
ارشدك الله فاقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاك
منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن مريم رايت ورقا بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقا
قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكا من خشيه الله وقال يزيد
بن نعامة هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة
فقالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان
او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبه الغلام رايت عتبه في المنام
فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنه بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جيت الى بيتي فاذا
خط عتبه في حايط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم

من العلم

عندك ذا اللطف العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين وقال مزني بن حماد رايت سفين الثوري يطير
في الجنة من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما حال
علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب ورأى رجل من التابعين النبي عليه السلام في المنام فقال
يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان كان الموت خيرا
له وقال الشافعي دهمني في هذه الايام امر امضني والمني ولم يطلع عليه الا الله فلما كان البارحة اتاني
آت في المنام فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا
ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل
في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم
بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى
الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتدا نفخة الصور الى اخر القرار اما في الجنة او في النار

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى
اخر الاستقرار في الجنة او في النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه صفة نفخة
الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة
ودواهيها واساميها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصما ورد المظالم وصفة
الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة
الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس
اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله
تعالى وباب في سعة رحمة الله به ختم الكتاب ان شا الله تعالى **صفة نفخ الصور** قد عرفت
فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة
القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسواله ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك
كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسوال عن
القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار الندا
عند فصل القضا اما بالاسعاد او بالاشقا فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها
على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها
واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم

... الاستعداد لها واكثر الناس
لم يدخل الايمان باليوم الاخر في صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدا افيدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم
واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتا وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال
ثم اذا سيلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام
مسموم فقال لصاحبه الذي اخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب
العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي عليه السلام قال الله تعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني
ويكذبني ولا ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه اياي فيقول لن يعيدني
كما بداني وانما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال
تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل
هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله عز وجل
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق الادمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد
على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته
فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت
قوي الايمان فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك
الراحة والقرار ويشتغل بالتشمر للعرض على الملك الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من
شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة ينفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة
فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك متغيرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا
من شدة الصعقة شاخص العينين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها
بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار
لعاقبة الامر قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير
وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الاية ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون

قال الله تعالى

[illegible]

المتخير

في

ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي
الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات
يعني يموتون الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله كيف انعم وصاحب الصور قد
التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن حتى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان
اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض
وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا صعق من في السموات والارض
اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر
ملك الموت ان يقبض روح جبريل وروح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث
الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية
فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال
عليه السلام حين بعثت اني بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى
ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم عند الانبعاث خوفا
من هذه الصعقة وانتظارا لما تقضي عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم
متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم
اذل اهل الجمع واحقرهم يوطأون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري
والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست
بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم
وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها فاذعنت خاشعة
من هيبة العرض على الله تعالى لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
فتفكر في حالك وحال قلبك هناك **صفة ارض المحشر واهله** ثم انظر كيف يساقون بعد البعث
والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا
ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراها ولا وهدة تنخفض عن الاعين فيها بل صعيد واحد
بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق

فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم
ساقتهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب
ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله يحشر الناس يوم القيامة
على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع
والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ولا تعلم اي ارضنا بيتنا ولا تفاوت برد البصر ولا تظنن ان
تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم
العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها
ونجومها فانظر يا مسكين في هول القيامة وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت
من فوقهم نجوم السماء وطمس القمر والشمس واظلمت الارض بخمود سراجها فبينا انت كذلك اذ دارت
السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وارجائها
فيا هول ذلك اليوم ويا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم ينشق فيه السماء مع صلابتها
وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت
السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان
قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا
الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تكشف فيه
العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشي على بطونهم ووجوههم فلا
قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة على ارجلهم ومشاة على وجوههم فقال رجل وكيف يمشون
على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الادمي انكار
كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لم يمكنه تصور
المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئا
من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا
ثم عرضت عليك قبل المشاهدة

لكنت اشد انكارا لها واحصر لذلك صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا
مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا بالسعادة او الشقاوة واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارض
السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق
على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل
بالعرش وبين مضحى بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلايق يدفع
بعضها بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحيا من الافتضاح والاخزاء
عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحيا والخوف
ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله
تعالى فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه
قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه
الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في
الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث قياما
شاخصة ابصارهم اربعين سنة فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من
يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ
فاه فاشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين
في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى
النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق
واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة
مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف او نهي عن منكر فسيخرجه الحيا والخوف في صعيد
القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق
في تحمل مصاعب ...

تمام الخلق

الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته صفة طول يوم القيمة ثم تقف
فيه الخلايق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظرون في امرهم يقفون ثلثماية سنة
لا ياكلون فيها اكلة ولا يشربون شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثماية عام بل قال عبد الله بن عامر تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر
اليكم وقال الحسن ما ظنكم بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها
اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف
بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم
به كلم بعضهم بعضا في طلب من تكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني
نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن
فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي قولا فتامل طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه
حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة
مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اهون عليه من الصلوة
المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المومنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر
اليك والاستعداد بيديك فاعمل في الايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل
عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة
لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا صفة يوم القيمة ودواهيه واساميه واستعد يا مسكين لهذا اليوم
العظيم شانه المويد برهانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب
من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار
قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت
والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها و

اخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم تحمل الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى
الارض بارزة وترى الارض هامدة يوم ترج الارض رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا
يوم تكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف الجبال نسفا فيتركها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تشقق الارض
يوم تنشق السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع الفصحاء
عن الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم يعلم كل نفس ما احضرت
وتشهدها قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين
فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت واخواتها فيا ايها القارى
العاجز انما حظك من قراتك ان تمج القران وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا
بان تنشق مرارتك فيما شاب فيه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة
القران فالقيمة احد ما ذكر فيه وقد وصف الله عز وجل بعض دواهيها واكثر من اساميها على
كثرة معانيها وليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم
من اسماء القيمة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الان نجمع لك
اساميها فهي يوم القيمة • ويوم الحسرة والندامة • ويوم المحاسبة • ويوم المسالة • ويوم المسابقة •
ويوم المنافسة • ويوم المناقشة • ويوم الزلزلة • ويوم الدمدمة • ويوم الصاعقة • ويوم القارعة •
ويوم الواقعة • ويوم الراجفة • ويوم الرادفة • ويوم الداهية • ويوم الازفة • ويوم الحاقة • و
يوم الطامة • ويوم الصاخة • ويوم التلاق • ويوم الفراق • ويوم المساق • ويوم القصاص • ويوم الجزاء •
ويوم البلاء • ويوم البكاء • ويوم الحشر • ويوم الوعيد • ويوم العرض • ويوم الوزن • ويوم الحق •

ويوم الفرار [margin]

ويوم

ويوم الحكم • ويوم الفصل • ويوم الجمع • ويوم البعث • ويوم الفتح • ويوم الخزي • ويوم عظيم • ويوم عقيم
ويوم عسير • ويوم الدين • ويوم اليقين • ويوم النشور • ويوم الفزع • ويوم الجزع • ويوم المنتهى
ويوم الماوى • ويوم الميقات • ويوم الميعاد • ويوم المرصاد • ويوم القلق • ويوم العرق • ويوم الافتقار •
ويوم الانكدار • ويوم الانتشار • ويوم الانشقاق • ويوم الوقوف • ويوم الخروج • ويوم الخلود •
ويوم الوعد • ويوم التغابن • ويوم عبوس • ويوم معلوم • ويوم موعود • ويوم مشهود • ويوم لا ريب فيه
ويوم تبلى السرائر • ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيا • ويوم تشخص فيه الابصار • ويوم لا تملك نفس
لنفس شيا • ويوم يدعون الى نار جهنم دعا • يوم يسحبون في النار على وجوههم • يوم تقلب وجوههم
في النار • يوم لا تجزي والد عن ولده • يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه • يوم لا
ينطق لهم فيعتذرون • يوم لا مرد له من الله • يوم هم بارزون • يوم هم على النار يفتنون • يوم لا ينفع
مال ولا بنون • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار • يوم ترد فيه المعاذير
وتبلى السرائر • وتظهر الضمائر • وتكشف الاستار • ويوم تخشع فيه الابصار والاصوات • ويقل فيه
الالتفات • وتبرز الخفيات • وتظهر الخطيئات • ويوم تساق العباد ومعهم الاشهاد • ويشيب الصغير
ويسكر الكبير • ويومئذ وضعت الموازين • ونشرت الدواوين • وبرزت الجحيم • واغلي الحميم وزفرت
النار • وييأس الكفار • وسعرت النيران • وتغيرت الالوان • وخرس اللسان • ونطقت جوارح الانسان •
فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الباب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق
وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله
الينا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم
يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث
الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمة ويقول اقتربت الساعة وانشق القمر
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم تكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة
هذا القران عملا ولا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للتخلص
من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة صفة المسالة
ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسال

عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيمة وعرقها وشدة عظايمها اذ نزلت ملايكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال عليه السلام ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة ماية عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملايكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم ومستشعرين تما بكا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون للاذقان حذرا من ان يكونوا هم الماخوذون فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملايكة افيكم ربنا جل جلاله وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملايكة اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما يزعمه اهل الارض فقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملايكة صفا محدقين بالخلايق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبيا عليهم السلام يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبيا وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق وكانوا قد علموا فيدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت العقول وامحيت العلوم الى ان يقويهم الله فيدعى نوح النبي عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويوتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السوال سنين فما اعظم يوما تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السوال ثم تقبل الملايكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرايص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح اعمالهم على الجبار جل جلاله ولا يكشف سترهم على ملا الخلق وقبل الابتداء

بالسوال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسايلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه هو المقصود بالاخذ بالسوال دون ما عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ايتني بالنار فجاء بها جبريل فقال لها اجيبي خالقك ومليكك فصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندايه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق وسمعت وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلايق غضبا على من عصى الله وخالف امره فاخطر ببالك واحضر قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينماهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فيتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقطت الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانتهضت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من الاشقيا والسعدا اجمعين وبعد ذلك اقبل الله على الرسل وقال ماذا اجبتم ماذا رأوا ما قد اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لامره ثم يوخذ واحد واحد فيسال الله تعالى شفاها على قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا جل جلاله يوم القيمة فقال هل تضارون في روية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم جل جلاله فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وترتع فيقول العبد نعم فيقول للعبد افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول واني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك وقد اخذت الملايكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب فيما ذا ابليته الم امهلك في العمر ففيما ذا

الدار زكي الاموال من اين اكتسبت وفيماذا انفقت الم اكرمك بالعلم فيماذا عملت
فكيف ترى حياك وخجلتك وهو يعدد عليك نعمه ومعاصيك واياديه ومساويك فان
انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال
اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه جل جلاله يقول يا رب الم
تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقول لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم تخلي بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
نعوذ بالله من الافتضاح على ملاء الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن بان
يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه
عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها
عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مومن
عورة ستر الله عورته يوم القيمة وهذا انما يرجى لعبد مومن ستر على الناس عيوبهم و
احتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يتحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم
في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازي بمثله يوم القيمة وهب انه قد ستر
عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فتكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك
اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعدة وجوارحك
مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه
الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد
رفعت الخلايق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة
حتى انتهي بك الى عرش الرحمن فرموك بين ايديهم وناداك الله تعالى بعظيم كلامه يا ابن ادم
ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر
واعطاك كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فيذكرك بها
وكم

وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن
وكم لك من عجز وحصر فليت شعري باي قدم تقف بين يديه جل جلاله وباي لسان تجيبه
وباي قلب تعقل ما يقول ثم تفكر في عظم حيايك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي
اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون
عليك من ساير عبادي استخففت بنظري اليك واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا
غرك بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسايله
رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين
يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا
فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق النار
احدكم ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز
وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي ما عملت فيما علمت
يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا تحل
الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد على ساير الاعضاء قال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة
من بين يدي الله حتى يسال عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن جسده
فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيايك عند ربك وبخطرك فانك
بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك
ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملايكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه الاية
فعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما
فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا دنية لم تبق معك **صفة الميزان**
ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمايل فان الناس بعد السوال
ثلث فرق فرقة ليست لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب
وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعدها و
قسم اخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون

كما قال تعالى لا تلهيهم تجارة الخ

اي ثم يفعل كذلك بمن ...

الي الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لا يشغله تجارة الدنيا ولا بيع عن ذكر الله وينادى
عليه سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيائتهم ولكن يابي الله الا ان يعرفهم
حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فيتطاير الصحف والكتب منطوية
على الحسنات والسيات وينصب الميزان وتشخص الابصار الي الكتب اتقع في اليمين او في الشمال
ثم الي لسان الميزان ايميل الي جانب السيات او الحسنات وهذه حالة هايلة تطيش فيها عقول
الخلايق وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راسه في حجر عايشة رضي الله عنها فنعس
فذكرت الاخرة فبكت حتى سال دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عايشة
قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلثة مواطن فان احدا
لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم اتخف ميزانه ام يثقل
وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذ كتابه او بشماله وعند الصراط وقال انس يوتى بابن ادم
يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق
شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الميزان تقبل الزبانية وبايديهم مقامع
من حديد عليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الي النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم
القيمة انه يوم ينادي الله فيه آدم عليه السلام فيقول قم يا ادم فابعث بعث النار فيقول وما بعث
النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة بذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا
بضاحكة فلما راي النبي ما عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين
ما كانتا مع احد الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال
ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم
في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة

الخصماء ورد المظالم فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الي لسان الميزان
فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية الاية واعلم

فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الي الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من
السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على
صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى
يعثر في اول قدم من الصراط فيتردى فتفكر الان فيما تحل من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط
ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت
ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك
عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك
فاحسست بحدته واضطررت الي ان ترفع القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون و
يتعثرون ويتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف تنكسون
فتسفل روسهم الي جهة النار وتعلوا ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه
ومجاز ما اصعبه اضيقه فانظر الي حالك وانت ترجف عنه وتصعد عليه وانت
مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الي الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول
قايم يقول رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة
من زل عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت
بالويل وقلت هذا ما كنت اخافه فياليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت امي لم تلدني وعند ذلك
تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يبقى سبيل الي الصياح
والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير
مومن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مومنا وعنه غافلا وبالاستعداد
له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضى الله
تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر كي
الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب
بالصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من تجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا

الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل
رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان الا انه لا يعلم قدر
عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو
سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب
وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن
الناس من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من
يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون
فحما ثم يوذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين
والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون
فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المومنين ثم يقول ارفعوا روسكم فيرفعون روسهم
فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم ومنهم
من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى
نوره في ابهام قدمه فيضي مرة ويطفا فاذا اضاء قدم قدمه واذا طفي قام ثم ذكر مرورهم على
الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب و
منهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره في ابهام
قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل ويصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله تعالى ما
لم يعط احدا اذ نجاني الله منها بعد ان رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال
انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملايكة ينجون
المومنين وان جبريل لاخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه
اهوال الصراط وعظايمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس عن اهوال القيمة من طال فكره في
الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الاخرة
ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه عن القرب
وتعود

وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه
ومن رجا شيا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعة الله
وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى السنتهم الاستعاذة فقال
احدهم استعنت بالله اعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم
فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما تضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن
فاذا راى انياب السبع وهولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين
بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغنيه ذلك من السبع
وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له
مقصود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق توحيده وامره مخطر في نفسه فان
عجزت عن ذلك فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة
قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة
ان كنت قليل البضاعة صفة الشفاعة اعلم انه اذا حق دخول النار على طوايف من المومنين
فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصالحين بل شفاعة العلماء والصالحين فكل من
له عند الله تعالى جاه وحسن معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن
حريصا على ان تكسب لنفسك رتبة الشفاعة عندهم وذلك بان لا تحقر ادميا اصلا فان الله تعالى خبا
ولايته في عباده ولعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله
تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيها ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبا رضاه
في طاعاته فلعل رضاه فيها ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه و
شواهد الشفاعة في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروي عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل
يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فساله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل

اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوؤك وقال عليه السلام أُعطيتُ خمسًا لم يعطهن احدٌ قبلي نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر وأُحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لاحدٍ قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته فليصلّ وأُعطيت الشفاعة وكلّ نبيّ بُعث الى قومه خاصةً وبُعثتُ الى الناس عامّةً وقال عليه السلام اذا جاء يوم القيمة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر انا اوّل شافع واوّل مشفّع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فاريد ان اخبأ دعوتي شفاعةً لامتي يوم القيمة قال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم يُنصب للانبياء عليهم السلام منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي جل جلاله منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا ربّ امتي امتي فيقول الله عز وجل يا محمد ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجّل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال وقد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقيّة وقال عليه السلام اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة فهل تدرون بم ذاك يجمع الله تعالى الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بادم عليه السلام فياتون ادم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول ادم عليه السلام ان ربي جل جلاله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سمّاك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك جل جلاله الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي جل جلاله قد غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب

قبله

قبله مثله وانه كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي جل جلاله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كذبت ثلث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك عز وجل اما ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي جل جلاله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك عز وجل الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش واقع ساجدا لربي جل جلاله ثم يفتح لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي واقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه السلام يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله قال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة

يعرف

بغتیم بانتول کسنه یکی سو دنیا حاضر کونا بولشدکه بنده برا جم صوا سنه دکس دوخی بنا سن صنوار رحم

على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله لا اعرفك فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى فيقول اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال عليه السلام فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري قال ابن عباس رضي الله عنهما جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر عيسى كلمة الله وروحه وقال اخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روحه وهو كذلك وادم صفي الله وهو كذلك وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

صفة الحوض اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله تعالى بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا وقال انس اغفى رسول الله اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال سورة انزلت علي انفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي جل جلاله في الجنة عليه خير كثير عليه حوضي يرد عليه امتي يوم القيمة آنيته عدد النجوم وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللولو المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك

مسك اذفر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة والصنعاء او مثل ما بين المدينة وعمان وروي ان ابن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك تجري على جنادل اللولو والمرجان قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين قال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر متمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا

ونترك الظالمين في النار جثيا

الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت
من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك
تستعد للنجاة منه وتامل في حال الخلايق وقد قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبينما هم
في كربها واهوالها واقفين ينتظرون حقايق انبائها وتشفيع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين
ظلمات ذات الشعب واظلت عليهم نار ذات اللهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن
شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى
اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي ينادي من الزبانية قايلا اين فلان بن فلان
المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من
حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر جهنم الجحيم
ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم دار ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها
الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك و
مالهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم في ظلمة المعاصي ينادون
من اكنافها ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد
يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود وتقول الزبانية هيهات لات حين
امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه
عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف
بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن
شمايلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات
النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون
في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل
والثبور ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم فيها مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وينقطع من
العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف
اشعارها

وشعورها بل جلودها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعري من اللحوم عظامهم فتبقى
الارواح منوطة بالعروق وعلايق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت
فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا واعميت اعينهم وابكمت السنتهم
وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم
وجمعت بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطاون حسك الحديد باحداقهم فلهب
النار سار في بواطن اجزايهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضايهم هذه جملة احوالهم
وانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون
الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن قال واد
في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه
سعة جهنم واشعابها واوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء
السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا وكما
لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم فلا ينتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق قال ابو هريرة
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله اتدرون ما هذه قلنا الله ورسوله اعلم
قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى الدركات فان
الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر
كالغريق فيها ومن خايض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم
مثقال ذرة فلا يترادف انواع العذاب على كل من كان في النار كيف كان بل لكل حد معلوم على قدر
عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما
هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيمة ينتعل بنعلين من نار
يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت
في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس
فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف

عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طايعين هربًا مما هم فيه
وعن هذا عبّر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة
حتى اطاقها في الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد
على النار الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب
اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في
الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم
الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت خيرا قط نعيما قط
فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول
لا وقال ابو هريرة لو كان في مجلس ماية الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد
قال العلما في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته
عند اعقابها ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو
الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في
الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم ماء صديد يتجرعه
ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب
الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها
فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية
الآية وقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت
على اهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك ولذلك قال انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه
ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها حلّتها لكم ولو كانت قطرة
من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها خبّثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام
من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون
انهم يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع الحميم اليهم بكلاليب الحديد
فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون
ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون
او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فيقولون ادعوا
مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين
دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل قال ابو امامة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه
فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم
وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها
وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا
اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهازمه يعني اشداقه فيقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال عليه السلام ان في النار حيات
مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا فهذه العقارب والحيات انما تسلط
على من سلطت عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات
فلم تمثل له ثم تفكر بعد ذلك هذا كله في عظم اجسام اهل النار فان الله تعالى يزيد في اشخاصهم طولا و
عرضا حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها
دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل جبل
احد وغلظ جلده مسيرة ثلث وقال عليه السلام شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة

قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتوطؤه
الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال
الحسن كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما
اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم
بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول لقائهم النار قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم
يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في
وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق
والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيها مستروح ولكن يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب
لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق
القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب
دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا
فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب
قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا
مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا الآية وقال عليه السلام يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش
املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من
النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل وروي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له
لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل
غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب
حسرة

حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن
بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة من الدنيا اياما قصيرة مكدرة
غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان
ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت علينا ايامه و
بقينا الآن في جوار الرحمن متنعمة بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم
وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم
حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر يوم القيمة بناس من الناس
الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها فيها
نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول
ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما
تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم
العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم وقال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر
الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود عم
الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف صبري على صوت عذابك
فانظر يا مسكين الى هذه الاهوال واعلم ان الله خلق النار باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون
وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة
به الى يوم القيمة ولكن ما قضي الامر يوم القيمة ولكن في ازل الازال ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء
فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت
فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآبي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس
بها وتصدق رجاءك بسببها وهي ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر
لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد من النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وقد تحيط بك العوائق فتدفعه ولا
تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على
النبات ودلالة النار على الدخان فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك
على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين **القول** في صفة الجنة واصناف نعيمها هذه الدار
التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما
استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر
الرجاء بطول الفكر في النعيم الموجود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجاء الى
الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة
في

في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك جالسين على منابر من
الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر
متكئين على الارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان
والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم
يطمثهن قبلهم انس ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في
مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما
يتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة بالدر والمرجان شكلات غنجات
عطرات امنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت
وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب
واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان
كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات و
نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في
وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون
وبانواع التحف من ربهم عز وجل يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون
فيها ولا هم يحزنون وهم من ريب المنون امنون فهم خالدون يتنعمون وياكلون من اطعمتها
ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها من فضة وحصباؤها
مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من
ماء التسنيم على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة
بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب
يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعها ادمي
فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صنعتها به في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس و
اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه
فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع
بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله
في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من
الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها
ولا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضروراتها وكيف واهلها ملوك امنون وفي انواع
السرور متنعمون متمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون
والى وجه الله الكريم ينظرون وهم على الدوام بين هذه اصناف هذا النعيم يترددون

وهم

وهم من زوالها امنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا
فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ان تلكم الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون [illegible] ان تعرف صفة الجنة فاقرا القران فليس وراء بيان الله تعالى بيان
واقرا من القران قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى اخر سورة الرحمن واقرا سورة
الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الان
تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما
وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة
فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل
الصلوة دعي من اهل باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد دعي من
ابوابها ضرورة فهل يدعى احد منها كلها قال نعم وارجو ان تكون وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر
النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من
ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا
منها فاذهب ما في بطونهم من اذى وباس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم
يتغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقيل لهم سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيفون ولدان اهل الدنيا بالحميم تقدم عليهم من غيبة
يقولون له ابشر بما اعد الله تعالى لك من الكرامة كذا وكذا قال فينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه
من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رايته فيقول انا رايته
وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل
اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله
تعالى قدره لالم ان يذهب بصره ثم طاطا راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي
مبثوثة ثم اتكا فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون و
لا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي يوم
القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم
تامل الان في غرف الجنة واختلاف درجاتها في العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان

... الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فلذلك ... يتجاوزون
ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة
تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله
بالمسابقة والمنافسة فيها فقال وسابقوا الى مغفرة من ربكم و ... العجبان
ان لو تقدم عليك اقرانك وجيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ... وتنغص
بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم من اقوام يسبقونك بلطايف
لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما
بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله
وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اصحاب الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع
في افق من افاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم
بغرف اهل الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله
يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات ولا اذن
سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وصلى والناس نيام
ادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك
وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله
من الطعام فقد حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان وفي كل شهر ثلثة
ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس
نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات
عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون الف دار من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون الف
بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش
زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت
سبعون وصيفة ويعطى المومن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع **صفة حايط الجنة**
وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورتها وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم منها بقناعته
بالدنيا عنها فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حايط الجنة لبنة من ذهب
لبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل رسول الله عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء ومسك
خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر في الاخرة فليتركها
في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الاخرة فليتركه في الدنيا انها د الجنة تجري تفجر من تحت تلال
او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما تحليه الله تعالى

به في الاخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا قال ابو هريرة قال النبي عليه السلام ان في الجنة شجرة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرءوا ان شئتم وظل ممدود قال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القران
شجرة موذية وما ... ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر
فان لها شوكا قال الله عز وجل في سدر مخضود تخضد الله شوكه فيجعل الله مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة
منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نايم
تحت شجرة كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ
اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه قال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله يوم القيمة هل تدري
ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال
يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب و
اعلاها الثمر **صفة لباس** اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والايات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار
فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم فلا يباس ولا تبلى ثيابه
ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله
اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض
القوم فقال رسول الله مم تضحكون من جاهل يسال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تتشقق عنها ثمر
الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر
لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون فيها انيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك
ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
على قلب واحد يسبحون الله بكرة واصيلا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال عليه السلام في قوله تعالى
يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق و
المغرب وقال عليه السلام والخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمومن اهل
لا يراه الاخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف
مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الفراشين مثل
ما بين السماء والارض **صفة طعام** اهل الجنة وشرابهم بيان طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه
والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شرابهم في القران مواضع
كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قايما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر
من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين

قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم على
اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين
فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون وقال لاصحابه ان اقر بهذا
خصمته فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم
والمشرب والجماع فقال اليهودي ان الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيجيء بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي فقال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي
يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال
يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود
ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى
ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل
يده فيها ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها

صفة الحور العين والولدان

وقد تكرر في القرآن اوصافهن ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس عن النبي عليه السلام غدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من
الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت وملأت ما بينهما ريحا و
لنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني خمارها وقال ابو سعيد قال النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها
لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها وراء
ذلك وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيذخ عليه خيام اللؤلؤ
والزبرجد الاخضر والذهب الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال
هؤلاء المقصورات في الخيام يستأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات
فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام
وقال مجاهد في قوله تعالى ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني
والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع
اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى
اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل من
اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة مقدار عمره في
الدنيا

في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء
فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين ثم يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان
لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الجوار الحسان خبئن لازواج كرام
وقال ابو امامة الباهلي قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند
رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان
ولكن بتحميد الله وتقديسه

بيان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة

وردت الاخبار بها روى
اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة
نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة
ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا
ان شاء الله تعالى قال ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل
فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال
له رجل اخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك
ولذت عينك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له
الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتاق
اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان
بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلث وثلثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا عرضهم
سبعة اذرع وقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة له ثمانون الف خادم وسبعون زوجة وينصب
له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة
منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عليه السلام نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد
البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد بن حارثة
واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم
بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات
الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء
وانهارها من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال ولم يسفه الاحلام ولا يصدع الرؤوس وان فيها ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوكا ناعمين ابناء ثلث وثلثين في سن

واحد طولهم ستون ذراعا في السما كحل مرد قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها
لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها وثمارها اللولو
لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسماية عام وان لهم الخيل والابل هفافة
رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها ازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون
وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة
قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون
وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليلا بكر الغدو على الرواح والرواح
على الغدو وان اخر من يدخل الجنة وادناهم ليمد له في بصره وملكه مسيرة ماية عام في قصور الذهب
والفضة وخيام اللولو ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم الف صحفة
من ذهب ويراح عليهم مثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم اخره كما يجد طعم اوله وان
في الجنة لياقوتة فيها الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد
ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي
ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة اسورة
سوار من ذهب وسوار من لولو وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان في الجنة لحوراء يقال لها العيناء
اذا مشت مشى عن يمينها وشمالها يسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر قال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الاخرة
وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى
ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الروية والنظر الى وجه الله تعالى قال الله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة فهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم الجنة
وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد له الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال
جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله فراى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم جل جلاله كما ترون
هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم
قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن
صهيب قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار ينادي مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا
ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيرفع الحجاب
وينظرون وجه الله عز وجل فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الروية
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وهذه غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عنده ينسى
وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات اللقاء وقد اوجزنا الكلام
هاهنا

هاهنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضى فلا ينبغي ان يكون هم العبد من الجنة سوى لقاء
المولى واما ساير نعيم الجنة فانها يشارك البهيمة المسرحة في المرعى **نختم الكتاب** بباب في
سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفول بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال و
ليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفول و
نرجوا ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله عز
وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال
من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر من كل ما زلت به
القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وساير كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا يوافقها
اعمالنا ونستغفره فيما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيها
فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفر الله من كل
وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملنا
ها في معصية ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به
ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه
او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه
او سمعه ان يكرمنا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة
واسعة والجود على اصناف الخلايق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله
وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ماية رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن
والانس والطير والبهايم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعة وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله كتابا من تحت العرش فيه
ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد
الا وقد جعل مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى ادم عليه السلام
يوم القيمة في جميع ذريته في ماية الف الف وعشرة الاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول
يوم القيمة للمومنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك
فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال عليه السلام اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله تعالى
معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم
اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل

ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا راي ذلك الكفار
قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وقال عليه السلام لله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها
وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سياته يوم القيمة فذلك الذي
بغير حساب ومن استوت حسناته وسياته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا
ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى
ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث
بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يومر باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى
بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بصرفهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى
يقتحمها ويتلكا الاخر فيومر بردهما فيسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت
من وبال المعصية فلم اكن لا تعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكا حسن ظني بك كان يشعرني
ان لا تردني اليها بعدما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
مناد من تحت العرش يا امة محمد اما ما كان لي من قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا
وادخلوا الجنة برحمتي وروي ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرء وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
منها فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير
فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله
ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف
احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله و
ان محمدا رسول الله حرمه الله على النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا
كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر
فيقول لا يا رب فيقول بلي ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول
انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة فلا يثقل مع اسم الله تعالى شي وقال عليه السلام في اخر حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط
ان الله تعالى يقول للملايكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم

في قلبه

في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به
ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شيتم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله
شفعت الملايكة وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض منها قبضة فيخرج منها
اقواما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون
منه كما يخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها ما يلي الحجر والشجر ما يكون الى الشمس اصفر واخضر
وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللولو
في رقابهم الخواتيم تعرفهم اهل الجنة يقولون هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل
عملوه ولا خير قدموه ثم يقال ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا
من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول
رضائي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن
ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم فمر النبي معه
الرجل والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل
لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا ~~قد سد الافق فقيل لي هولاء امتك~~
~~ومع هولاء سبعون الفا~~ فقيل لي هذا عيسى وقومه ثم قيل انظر فنظرت فرايت سوادا كثيرا قد
سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هولاء امتك ومع هولاء
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فقد ولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هولاء
هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم يا رسول الله
فقال انت منهم ثم قام الاخر فقال مثل ما قال عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها
عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج
الا للصلوة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا
حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل
الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة الايام
المزيد فوجدت ربي جل جلاله واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا

سبعين الفا قال قلت يا رب تبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من العرب وقال ابوذر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق
وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال
ابو الدرداء قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى
وان سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق
يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
القيمة يدفع الى كل رجل مومن رجل من اهل الملل ويقال له هذا فداوك من النار وروى
مسلم في صحيحه عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز
بالله الذي لا اله الا الله هو ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلف له ~~[illegible]~~ وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ~~او في الفتح~~ في يوم
صايف شديد الحر فبصرت به امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها
خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه
الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف
عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه بابنها قالوا نعم قال
ان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة
فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء تبشرنا بسعة رحمة الله ونرجو الله تعالى ان لا
يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين